



دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي ( kpt )

جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية

قسم القرآن الكريم وعلومه

# تنمية القوة عند الفرد والمجتمع المسلم في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن الكريم وعلومه

إعداد الباحثة / أفنان أحمد حسن قاضي

الرقم المرجعي: MTF123AY013

تحت إشراف

د / خالد نبوي سليمان حجاج

كلية العلوم الإسلامية \_ قسم القرآن الكريم وعلومه

العام الجامعي: سبتمبر ٢٠١٣م ربيع الثاني ١٤٣٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## إقرار

أقررتُ بأنّ هذا البحث من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، والنقل والاقتباس من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث.

اسم الطالب: \_\_\_\_\_.

التوقيع: \_\_\_\_\_

التاريخ: \_\_\_\_\_

## DECLARATION

I hereby declare that this dissertation is result of my own investigation, except where otherwise stated.

Name of student: -----.

Signature: -----

Date: -----

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٤ « محفوظة

اسم الباحث هنا

عنوان الرسالة هنا

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن المكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- يمكن الاقتباس من هذا البحث والعزو منه بشرط إشارة إليه.
- ٢- يحق لجامعة المدينة العالمية ماليزيا الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسويقية.
- ٣- يحق لمكتبة الجامعة العالمية بماليزيا استخراج النسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار:-----.

التاريخ:-----

التوقيع:-----

## مُلخَص

تبحث هذه الدراسة توضيح مفهوم القوة في ضوء القرآن الكريم، فتوضح سبل ووسائل تنمية القوة في الإنسان المسلم، بتناول جوانب تكوينه، بداية بالروح وارتباطها بالإيمان، وكيف تنمي قوتها بمعرفة الله عز وجل، والتأسي برسوله صلى الله عليه وسلم، وبالاستغفار، والتفكير، والاجتهاد في بلوغ مرتبة الإحسان، وأخيرا قيام الليل.

لينتقل الحديث بعد ذلك إلى القلب، وكيفية استخراج قوته الكامنة بالدخول إليه من مدخل الخلق، حيث قوة العلاقة بينهما، وسرد طرق ذلك بداية بفهم آلية القلب في صنع المشاعر والسلوكيات، واكتساب قوة الإرادة ثانيا، ثم تحمل المسؤولية، والاستمرارية. وينتقل الحديث إلى النفس الإنسانية، وذكر سبل تنمية القوة فيها بجهادها أولا، ثم في قوة الحب، وقوة الطاقة الإيجابية. ثم يأتي دور العقل، وتوضيح وسائل القرآن الكريم في تنمية قوته الفكرية، من القوة في تحديد الغاية، إلى قوة المعرفة وطرق الوصول إلى أعلى درجاتها، وقوة التقوى، وقوة اللغة، ومملكة حصر الذهن المعروفة بالتركيز. وينتهي الحديث أخيرا عن الفرد بتنمية قوته الجسدية، من حيث لياقته البدنية، والغذاء، وتوضيح كيف يكون الذكر وأداء الشعائر التعبدية قوة لهذا الجسد.

ثم يتوجه البحث إلى الحديث عن المجتمع المسلم ككل واتصال الفرد به، بأسس ثلاثة، أولها القوة الاجتماعية وطرق تنميتها في كيفية تكوين انطباع أولي، وكيفية صناعة المشاعر كما أرشد إليها القرآن الكريم، وسرد بعض الأخلاق المهمة في التواصل الإنساني، وتعلم قواعد الآداب، وأخيرا تعلم فن الاختلاف. أما الأساس الثاني لبناء قوة المجتمع المسلم، فهو القوة الاقتصادية، وكيفية تنميتها بفهم المشكلة الاقتصادية، واتباع سبيل الرشد، وتعظيم الربح، والحديث عن سياسة تقليل الخسائر، ونظريات الفائدة، والزكاة، ونظرية المزايا النسبية، إلى مبدأ توزيع المخاطر، وإعادة توزيع الدخل و الثروة. ويرتبط الحديث بالأساس الثالث، وهو القوة الحضارية، والنهوض بها وتنميتها، بالوحدة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأيضا وقاية النفس من الشح والغل، والانفتاح على الحضارات الأخرى، دون الذوبان فيها وفقدان الهوية الإسلامية، كما ذكرت كيف تكون عمارة الأرض، والتوازن، وصلاح الفئة المستضعفة، واستثمار الوقت قوة حضارية.

وانتهيت بذكر أهم النتائج والتوصيات المرجوة لمزيد من التنمية والارتقاء.

## ABSTRACT

This study examines the clarification of the concept of strength in the light of the holy Qur'an. It clears the ways and means of developing the strength in the Muslim, by undertaking his creation aspects. Starting with the soul and its connection with faith, how to develop its strength by knowing Allah, following the prophet (peace be upon him) leads, asking for forgiveness, meditation, working hard to reach a high level of philanthropy and finally praying at night.

Next, it studies the heart and how to extract the strength within it by accessing it through manners, due to the strong relationship between the heart and manners, and recite this by first understanding how the heart works and how it forms the emotions and behaviors, second by having the power of willing, then taking responsibility and continuity. After that it studies the human soul and mention how to develop its strength by fighting it first, then by the strength of love and by the strength of positive energy.

After that, it studies the mind and clears the Qur'an methods of developing its mental strength from the strength of defining the purpose to the strength of knowledge and reaching its highest levels, and the strength of piety, the strength of language and concentration.

It finally ends with studying the individual and his physical strength development, from its fitness, nutrition and how all worshiping actions strengthen this body.

After that the research talks about the Islamic community as a whole and its connection with the individual, by three basics, first, the social force and the ways of improving it to get a primary expression, building emotions as the Qur'an guides, recite some important manners in human communication, learning behavioral rules and finally the differentiating.

The second basis for building the strength of the Islamic community is the economic force and how to develop it by understanding the economic problem, following the path of rationality, increasing profits, talking about the policy of reducing losses, interest theories, charity, the theory of comparative advantages, the principle of risk distribution and redistribution incomes and fortune as cleared by the holy Qur'an method.

The third basis which is the cultural force, growing with it and developing it by the Islamic uniting, the promotion of virtue and prevention of vice, also protecting the self from stinginess and malevolence and being opened to other cultures without getting affected by and losing the Islamic identity. Also I mentioned how prosperity, balance, righteousness of the vulnerable people and investing time be cultural force.

I ended it by mentioning the most important results and recommendations desired for more development and progressing.



## شكر وتقدير

بداية مُورقة بكل الجمال، أشكر الله سبحانه وتعالى إذ تفضل عليّ بهذا الموضوع والكتابة فيه وبلغني الانتهاء منه، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

أتقدم بالشكر الجزيل لوالديّ العزيزين علي عطائهما ومساندتهما ودعواتهما وأكثر، أدعو الله العظيم أن يعينني على البر والطاعة وأن يجعلني وأخوتي قرة عين لهما.

والشكر موصول للأستاذة / أم إبراهيم الحارثي، على قلبها المعطاء وحثها لي على النجاح والتميز وبلوغ أرقى الدرجات الأكاديمية.

كما أشكر جامعة المدينة العالمية على اهتمامها ومساندتها لطلاب العلم، ولي بشكل خاص أثناء الدراسة وكتابة البحث، فجزاها الله خير الجزاء.

وشكر خاص أقدمه للمشرف الفاضل: الدكتور خالد نبوي حجاج، حيث الحكمة والانفتاح على كل ما هو جديد وقيم، والتشجيع على تبني الأفكار المبدعة والخلاقة، كفيتم ووفيتهم، فجزاكم الله خير الجزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتكم.

والشكر للأساتذة العلماء الأجلاء الذين تفضلوا بقبول مناقشة البحث وإفادة الباحث.

وكلي امتنان لإخوتي وعائلي، وكل من ساهم في إخراج هذه المادة، وساعدني ووقف إلى جانبي، جزاكم الله خيرا.

## إهداء

إلى من علماني أن أكون كالمطر.. أمضي وأترك طيب الأثر..

أمي الحبيبة: حنان إمام بخش

أبي الحبيب: د/ أحمد حسن قاضي

و

إهداء إلى الشعوب الإسلامية الشائرة

علّ البحث يكون مرشدا لاستخراج وتوجيه القوى الكامنة

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	صفحة البسمة
ب	صفحة (قرار توصية اللجنة)، وتوقيعات لجنة المناقشة.
ج	صفحة الإقرار باللغة العربية
د	صفحة الإقرار باللغة الإنجليزية
هـ	صفحة حقوق الطبع
و	ملخص البحث باللغة العربية
ز	ملخص البحث باللغة الإنجليزية
ح	صفحة شكر وتقدير
ط	صفحة إهداء
١	فهرس المحتويات
٤	المقدمة
١١	الباب التمهيدي: مفهوم القوة في ضوء القرآن الكريم
١٢	الفصل الأول: توضيح مفردات معاني البحث والألفاظ ذات الصلة بهما.
١٣	المبحث الأول: تعريف التنمية في اللغة والاصطلاح والألفاظ ذات الصلة بها:
١٩	المبحث الثاني: تعريف القوة لغة واصطلاحاً والألفاظ ذات الصلة بها:
٢٥	الفصل الثاني: الآيات التي تحدثت عن القوة والضعف في القرآن الكريم
٢٦	المبحث الأول: آيات القوة في ضوء القرآن الكريم:
٣٢	المبحث الثاني: مفهوم الضعف في ضوء القرآن الكريم:
٣٨	الباب الثاني: تنمية قوة الفرد المسلم
٣٩	الفصل الأول: تنمية القوة الروحية
٤٠	المبحث الأول: الروح وعلاقتها بالقوة

الصفحة	الموضوع
٤٢	المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الروحية:
٥٦	<b>الفصل الثاني: تنمية القوة الخلقية</b>
٥٧	المبحث الأول: الأخلاق وعلاقتها بالقوة:
٦٣	المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الخلقية:
٧٨	<b>الفصل الثالث: تنمية القوة النفسية</b>
٧٩	المبحث الأول: النفس وعلاقتها بالقوة:
٨٣	المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة النفسية:
١٠٤	<b>الفصل الرابع: تنمية القوة الفكرية</b>
١٠٥	المبحث الأول: الفكر وعلاقته بالقوة:
١٠٨	المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الفكرية:
١٣٢	<b>الفصل الخامس: تنمية القوة البدنية</b>
١٣٣	المبحث الأول: الجسد وعلاقته بالقوة:
١٣٦	المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة البدنية:
١٤٩	<b>الباب الثالث: تنمية القوة في المجتمع المسلم</b>
١٥٠	<b>الفصل الأول: تنمية القوة الاجتماعية</b>
١٥١	المبحث الأول: التنمية الاجتماعية وعلاقتها بالقوة:
١٥٤	المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الاجتماعية:
١٦٨	<b>الفصل الثاني: تنمية القوة الاقتصادية</b>
١٦٩	المبحث الأول: التنمية الاقتصادية وعلاقتها بالقوة:
١٧٢	المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الاقتصادية:
١٨٤	<b>الفصل الثالث: تنمية القوة الحضارية</b>
١٨٥	المبحث الأول: التنمية الحضارية وعلاقتها بالقوة:
١٨٩	المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الحضارية:

الصفحة	الموضوع
٢٠٥	الخاتمة
٢٠٧	الفهارس
٢٠٨	فهرس الآيات القرآنية
٢٢٥	فهرس الأحاديث النبوية
٢٢٨	فهرس الأعلام
٢٣٠	فهرس المصادر و المراجع

## المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعده.. فإن موضوع تنمية القوة عند الفرد والمجتمع المسلم في ضوء القرآن الكريم، موضوع يحتاج لبحث علمي عميق موثق بآيات الترتيل، ونحن في عصرنا الحالي في أمس الحاجة إلى القوة في جميع مجالاتها الصحيحة، لن أقول إننا أمة ضعيفة، بل أستدرك الحرف لأقول نحن أمة أصابها الوهن حيناً.

وفي خضم المعارك الفكرية والثورات العربية وأحوال العالم المعاصر، هناك بذرة تستعيد عافيتها في هذه الأمة، فكان حَرِيًّا بنا أن نساهم في بناء الحضارة الإسلامية وقيام النهضة على منهاج النبوة. والقيادة مجدداً، أمة عزة وكرامة، ولكن اختلطت الأمور على الأفهام، وفسد مفهوم القوة عند البعض، واتهمت الأمة أيضاً بالعنف والإرهاب، بفساد المفاهيم ومنها القوة، تفرقت الأحزاب وسالت الدماء وغشيت الغشاوة، من هو الضعيف ومن هو القوي، ومن الظالم لنفسه أو لغيره، ومن المظلوم.

وفي خضم هذه المعطيات تولدت الحماسة شرارة بدء ولا بد من تثبيتها بركن شديد وركن الله ومنهجه وتشريعه هو الركن الشديد، فبالإسلام والقرآن كانت الأمة قوية لا تعرف الضعف، عزيزة لا تعرف الذل، فدانت لها الشعوب وخضعت لها الدول، وبقي هذا حال المسلمين حتى خلف من بعدهم خلف هجروا الكتاب وحجموا مكانه في حياتهم العملية، واستبدلوا بمنهجه مناهج بشرية ونظريات وضعية فتخلفوا ووهنوا واستكانوا، وتفرقت كلمتهم، حتى طغت السيطرة الخارجية والداخلية بقيادة أعدائنا، واستسلمنا جراء ضعفنا أزماناً طويلة، و ( تنمية القوة ) هي التحدي الكبير الذي يواجهنا لنستجيب بطريقة صحيحة لمجمل المشكلات والمستجدات التي تزيد صعوبة الحياة يوماً بعد يوم.

أدعو الله العظيم الذي وفقني لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، أن يفتح علينا فتوح العارفين لإكمال هذا البحث عملاً مخلصاً لوجهه الكريم، وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

## – أهمية الدراسة:

يستمد هذا البحث العلمي أهميته من الفائدة المرجوة منه وما يحققه من نتائج في المجالات التي سوف تستفيد بإذن الله من هذه الدراسة التي تسعى لتقديم تصور شبه متكامل لتنمية القوة . وتكمن أهمية الدراسة للأسباب التالية:

- ١- لا يخفى على مسلم أهمية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأهمية البحث فيهما، فاكسب هذا البحث أهميته من هذا الجانب .
- ٢- تُعد هذه الدراسة ( تنمية القوة ) \_ فيما أعلم وحسب المعلومات المتوفرة \_ لم يُكتب فيها من قبل بشكل أكاديمي، مما يدل على أنه موضوع جديد . وبعد الاستفسار من بعض الأساتذة الفضلاء جزاهم الله خيرا يتقوى عزمي على كتابة هذا البحث .
- ٣- كما تبين أهمية الدراسة في أنها تقدم وسائل تطبيقية تساعد الفرد على تنمية قوته الداخلية واستخراجها وتوظيفها في المجتمع .
- ٤- وسوف تبرز الدراسة بإذن الله مدى أهمية إسهام الفرد في تنمية قوة المجتمع، وأهمية إسهام المجتمع أيضا في تنمية قوة الفرد .
- ٥- الغاية من تنمية القوة هي تحقيق الغاية التي من أجلها بعث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي التمكين لدين الله تعالى، وهي النتيجة التي نريد الوصول إليها من تنمية القوة، والسعي لتحقيقها في الأرض .

## – أسباب اختيار الموضوع:

- ١- الرغبة في معرفة اسم الله عز وجل ( القوي ) والتخلق به ضمن حدود العبودية لله؛ فذلك ارتقاء للعبد بالشيء الذي يعينه، فتخضع صفاته لمقام التكليف. فالله قوي، والإنسان يستمد قوته من الله تعالى. فحظ العبد من اسم الله القوي هو أن يمتلك كل ما أمكن من القوة المتاحة كأن يكون قوي الجسد، قوي الإيمان، قوي السيطرة، قويا على نفسه، قويا في العمل الذي يعمله، قويا في المهمة الموكلة إليه، ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ

أَسْتَجَرَتِ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿<sup>(١)</sup>.

(١) سورة القصص، من الآية: ٢٦.

٢- دعوة للتخلي بهذه الفضيلة " القوة " ليكون الإنسان المسلم مستخلفا ناهضا في الأرض وقائدا يخدم الأمة الإسلامية ويؤثر في أفرادها وشعوبها بالخير، فالقوة تركز في نفس المسلم على عقيدة التوحيد، وكغيرها من الفضائل تجعله يرفض الهوان في الأرض، لأنه رفيع القدر بانتسابه إلى الإسلام. كما أن الواقع المعاصر في أمس الحاجة لاستخراج هذه القوة من أبناء شعبه ليقود مجددا.

٣- إجابة لما كتبه صاحب كتاب: ( مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية )، ونصه الذي يقول: " إن الكتاب الإسلامي لم يولوا مسألة التنمية الاهتمام الذي تستحقه إلا في الآونة الأخيرة، وعلى نحو ما يزال إلى اليوم غير مرض ولا مجزئ " (١)، وأضاف في مكان آخر: " اتجه عدد من كتابنا في العقدين الأخيرين إلى المناداة بضرورة النهوض الشامل بجميع جوانب الحياة، وأخذوا يولون التنمية غير الاقتصادية بعض الاهتمام، ولكن ذلك لم يشكل تيارا قويا إلى اليوم، كما أن هناك نوعا من العتمة الفكرية والثقافية لدى أبناء هذا التوجه، إلى جانب قصور عظيم في الدراسات والبحوث التي تكشف القناع عن طبيعة التشابك بين جوانب الشخصية الإنسانية وعمليات التشييد الحضاري" (٢).

والذي جعلني أؤكد على اختيار الموضوع وأهميته، قوله: " ما دامت البشرية لم تملك عبر تجاربها الطويلة ما يؤهلها لإدراك الوضعية المثلى لأجيالها، فإني أظن أن ما تبقى لها على هذه الأرض لن يشهد ذلك !. إن الأمة الوحيدة التي تملك إمكانات بلورة تنمية متكاملة و مترنة هي أمة الإسلام؛ لأنها وحدها التي تملك أصول رؤية منهجية وراشدة، حباها بما " (٣) ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ

شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ (٤). فكان القرار الفصل بأن الموضوع له كل العلاقة بالقرآن، بل هو الأصل الثابت والمعجزة في كل عصر وزمان.

---

(١) بكار، عبد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، ط١ ( الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م)، ٢٣.

(٢) بكار، المرجع السابق، ٢٤.

(٣) بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، ٢٨.

(٤) سورة طه، من الآية: ٥٠.



٤- لم أفق على كتاب أكاديمي متخصص في التفسير وعلوم القرآن يتحدث عن تنمية القوة، من جميع الجوانب.

٥- لأن عالمنا الإسلامي النموذج المثالي للقوى الكامنة، فكل ما عندنا (خام) الإنسان والطبيعة والموارد، وهذه القوى الكامنة تحتاج إلى تفجير وإلى إخراج في شكل جديد يمنحها وزنها الحقيقي، فكانت تنمية القوة سيّلي إلى أن أكون جزء من استخراج القوة وبناء الحضارة بمنهج القرآن الكريم بإذن الله.

#### - مشكلة البحث:

ما هي العوامل التي تخلت عنها الأمة الإسلامية، وبات تركها سبب ضعفها، وتخلفها بالنسبة للحضارات الأخرى الرائدة؟ سواء كانت تتعلق بالفرد أو المجتمع ككل؟ وما هي طرق اكتسابها مجددا والثبات عليها بطريقة صحيحة بمنهج القرآن الكريم؟ كيف نستخرج قوتنا وننمي هذه القوة ونطور أنفسنا على صعيد الأفراد والجماعات؟ ندرة المصادر والمراجع المتعلقة بهذا الموضوع.

#### - أهداف البحث:

- ١- فهم حقيقة القوة من خلال آيات القرآن الكريم.
- ٢- جمع أطراف موضوع تنمية القوة في الفرد و المجتمع المسلم في رسالة علمية تعطي فكرة متكاملة عن القوة و تنميتها وأهميتها في بناء الأمة وحضارتها الإسلامية.
- ٣- محاولة للتغيير من الضعف للقوة في النفس وفي المجتمع وتربية الأبناء على القوة بمفهومها الصحيح لتكوين جيل قائد ينصر الإسلام والمسلمين وينهض بحضارتهم.
- ٤- محاولة بلوغ درجة الإحسان في العبادات قدر جهدنا وتعظيم شعائر الله في قلوبنا وهذا من أسمى أنواع القوة.

#### - الدراسات السابقة:

لم أفق على دراسة أكاديمية تناولت تنمية القوة عند الفرد والمجتمع المسلم في التفسير وعلوم القرآن. غير أنني وجدت دراستين، وهي:

- الإسلام ومنطق القوة، محمد حسين فضل الله<sup>(١)</sup>.

وهي دراسة موضوعية، تتبع القوة في القرآن الكريم، فبدأت بالقوة وموقعها في العقيدة، والقوة

---

(١) فضل الله، محمد حسين، الإسلام ومنطق القوة، ط٣ (بيروت: الدار الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

في مواجهة الطغيان، وعرجت على القوة الروحية والاجتماعية، والقوة العددية، ثم تحدثت عن الجانب الأخلاقي للقوة في الإسلام، والدعوة ومنطق القوة، والتغيير ومنطق القوة، وانتهت بالتربية في اتجاه القوة.

غير أن الدراسة ذات توجه شيعي، وتركزت في خدمة وترسيخ الفكر الشيعي، حيث كان واضحاً في عدة مطالب، منها: هل هناك تعارض بين عقيدة المهدي لدى الشيعة وفكرة الدولة ص ٢٦٢، وهل انتهى العنف بانتهاك ثورة الحسين ص ٢٧١، ومطلب آخر في: العمل التنظيمي في التاريخ الشيعي ص ٢٧٦.

- **نظرات في القوة والجهاد على ضوء الكتاب والسنة، أ.د. علي محيي الدين القره داغي،** أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، بجامعة قطر.

تحدثت هذه الدراسة عن القوة في الإسلام بشكل عام، من حيث مفهومها في اللغة، ومواردها في القرآن والسنة والاصطلاح، وأنواعها وعناصرها، وعن وسائل نشر الإسلام هل هي السيف أم غيره، وتحدثت بشكل واسع عن الجهاد في الإسلام، تعريفه، وحكمه، وأنواعه، وشروطه، باعتباره أهم مظهر من مظاهر استعمال القوة.

فهي دراسة تركز على إظهار القوة في فريضة الجهاد، دون غيره من الجوانب، ويُشكر الجهد المبذول فيها.

#### - منهج البحث:

يعد هذا البحث من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وقد استخدمت بصفة أساسية المنهج الوصفي التحليلي، كما قد استخدمت بعض مناهج البحث الأخرى، كالمنهج الاستقرائي، والمنهج الاستنباطي. وقد اكتفيت في عرض المادة العلمية بما يوضح الفكرة ويفي بالمقصود، نظراً لسعة موضوعات البحث وشمولها، وأشار هنا إلى أبرز معالم ما انتهجته في البحث:

١- جمع الآيات القرآنية المتصلة بنقاط البحث؛ وذلك من خلال القراءة المتدبرة للقرآن الكريم، وبالاستفادة من المعاجم التي فهرست آيات القرآن الكريم، ثم اخترت منها ما يكفي لبيان الفكرة المقصودة، والاكتفاء في بعض النقاط على آية واحدة منعا للإطالة في ذكر كل الآيات الواردة.

٢- الرجوع في دراسة وتفسير الآيات إلى أكبر عدد ممكن من تفاسير القرآن الكريم، وكذلك الاستفادة من المعاجم اللغوية في تفسير مفردات القرآن الكريم التي تطلب البحث دراستها.

٣- الاختيار من أقوال المفسرين ما يناسب إيضاح المعاني وتحليلتها، دون الاستطراد في ذكر الأقوال التي ليس لها شأن في إيضاح الفكرة المقصود ببيانها.

٤- ذكر بعضاً من الأحاديث النبوية الشريفة مما له علاقة بتفسير الآيات أو في توضيح المعاني، أو إثرائها، وذكرت في الهامش عن المصدر الذي أخذتها منه، وقد حرصت أن تكون الأحاديث من صحيح الإمام البخاري، أو صحيح مسلم، فإن تعسر ذلك؛ أخذت من كتب السنة الأخرى مع تخريج الحديث وذكر كلام علماء الحديث من حيث الصحة والحسن والضعف.

٥- ترجمة مختصرة للأعلام الذين وردت أسماءهم في متن الرسالة، وقد تركت ترجمة المشاهير من الصحابة.

٦- ذكر بعض المعلومات المفيدة في الهامش لتوضيح معنى، مما لا أرى أن يكون في متن الرسالة.

## - هيكل البحث:

اشتمل البحث على ثلاثة أبواب تسبقها مقدمة وتُعقبها خاتمة بأهم النتائج والتوصيات والمصادر والمراجع وفهارس البحث، كالتالي:

**المقدمة:** وتتناول أربع نقاط: أهمية الموضوع وسبب اختياره، أهداف البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث، خطة البحث.

**الباب التمهيدي:** مفهوم القوة في القرآن الكريم. ويتوي على فصلين: الفصل الأول: توضيح مفردات معاني البحث: ( التنمية، القوة )، والألفاظ ذات الصلة بهما. الفصل الثاني: الآيات التي تحدثت عن القوة والضعف في القرآن الكريم.

**الباب الثاني:** تنمية القوة في الفرد المسلم، وفيه خمسة فصول: الفصل الأول: تنمية القوة الروحية. الفصل الثاني: تنمية القوة الخلقية. الفصل الثالث: تنمية القوة النفسية. الفصل الرابع: تنمية القوة الفكرية. الفصل الخامس: تنمية القوة البدنية.

**الباب الثالث: تنمية القوة في المجتمع، وفيه ثلاثة فصول: الفصل الأول: تنمية القوة الاجتماعية:.** الفصل الثاني: تنمية القوة الاقتصادية. الفصل الثالث: تنمية القوة الحضارية.

**الخاتمة:** وتشمل: أهم النتائج والتوصيات، فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث النبوية، فهرس الأعلام، فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

## الباب التمهيدي

### مفهوم القوة في ضوء القرآن الكريم

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: توضيح مفردات معاني البحث: ( التنمية، القوة )،  
والألفاظ ذات الصلة بهما.

الفصل الثاني: الآيات التي تحدثت عن القوة والضعف في القرآن  
الكريم.

## الفصل الأول:

توضيح مفردات معاني البحث  
والألفاظ ذات الصلة بهما.

وفيه مبحثان

المبحث الأول: تعريف التنمية في اللغة والاصطلاح والألفاظ ذات  
الصلة بها

المبحث الثاني : تعريف القوة لغة واصطلاحاً والألفاظ ذات الصلة  
بها

## المبحث الأول:

### تعريف التنمية في اللغة والاصطلاح والألفاظ ذات الصلة بها

لفظة ( التنمية )، لم تُختر عشوائياً لتكون جزء من عنوان البحث، بل أحداث العصر الحالي وواقع الأمة الإسلامية وموقعنا بين الأمم أجبر الباحث على تحديد المعنى بشكل دقيق، وانتقاء لفظ التنمية، لأن في التنمية معنى عام يخص، وخاص يعم فكان مناسباً. فالتنمية ليست إبقاء هذه البشرية أو المجتمع المسلم بشكل خاص على قيد الحياة، ليكافح من أجل البقاء المجرد فحسب، وإنما من أجل استيعابه اجتماعياً وهيئته للقيام بوظيفته الاستخلافية في الأرض.

قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾<sup>(١)</sup>، و تلك الخيرية المذكورة في الآية، منوطة بقيامنا بوظائف الأنبياء عليهم السلام، من الدعوة و الهداية للخلق، ومعاونتهم على الاستقامة، فحين نعي ذلك، ونرى التكاليف المادية الباهظة التي يتطلبها ذلك نتأكد من ضرورة دفع عجلة التنمية والعمل من أجل توفير الحد المناسب من الرخاء، وما يتطلبه التقدم البشري من شروط وأجواء وإمكانات.

**حقيقة التنمية لغة:** هي النماء: وتعني الزيادة. قال ابن فارس<sup>(٢)</sup>: " ( نَمَى ) النون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة. وَنَمَى المال يُنمى: زاد. وَنَمَى الخِضَابُ يَنمى وَيَنمُو، إذا زاد حمرةً وسواداً وَنَمَى الشيء: ارتفع من مكان إلى مكان " <sup>(٣)</sup>.

وفي اللسان " أُنميتُ الشيء وَنَمَيْتُهُ: جعلته نامياً. والأشياء كلها على وجه الأرض نامٍ وصامتٌ:

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١١٠.

(٢) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمداني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان. أصله من قزوين، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها عام ٣٢٩م - ٥٣٩٥هـ. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي، الأعلام، ١٥ ط، ( بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ١ / ١٩٣. وابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: عباس، إحسان، ( بيروت: دار صادر، ١٤١٠هـ - ١٩٠٠م)، ١ / ١١٨.

(٣) ابن فارس، أبي الحسن زكريا، تحقيق: هاون، عبد السلام محمد، معجم مقاييس اللغة، ( إيران: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ الطبع)، مادة: " نَمَى "، ٥ / ٤٧٩.

فالنامي مثل النبات والشجر ونحوه، والصامت كاللحجر والجبل ونحوه" (١).

وقال غيرهم: " التنمية هي الزيادة والعزو والكثرة والعلو والرفعة. ونميته: رفعتة على وجه الإصلاح " (٢). ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم: ( ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرا أو يقول خيرا ) (٣).

أما تعريف التنمية اصطلاحا: فقد اختلف المفكرون والعلماء المسلمون في تعريفها، فقال بعضهم: " هي مجموعة الجهود المتنوعة والمنسقة التي تؤهل المجتمع المسلم للقيام بأمر الله تعالى " (٤). وقال آخرون: " هي التحريك العلمي المخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية و الاقتصادية من خلال ( عقيدة ) معينة لتحقيق التغيير المستهدف بغية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها " (٥).

استخلص من التعريفين السابقين تعريفا شاملا للتنمية بالمفهوم الإسلامي للتنمية، فأقول وبالله التوفيق: هي ارتقاء وتطوير وتقوية قدرات الفرد والمجتمع، بمجموع الجوانب المادية والمعنوية، الجسدية والروحية، من الوضع المتفقر إلى المتقدم، بمنهجية القرآن الكريم والسنة المطهرة.

### الألفاظ ذات الصلة بلفظ ( التنمية ):

ورد في القرآن الكريم أحد عشر لفظا (٦) قريب المعنى لكلمة ( التنمية ) أو ذات صلة بالتنمية، وهي:

(١) ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ( بيروت: دار صادر، بدون تاريخ طبع )، مادة: " نمي "، ٣٤١.

(٢) النورين، أحمد محمد، كيف تنمي ملكتك الفقهية، ط١ ( الرياض: مجلة البيان مركز البحوث والدراسات، ١٤٣٣ هـ - ١٧٠٠ )، ١٧.

(٣) البخاري، كتاب: الصلح، باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، الراوي: أم كلثوم بنت عقبة، رقم الحديث: ٢٦٩٢، رقم الصفحة: ٤٣٩. مسلم، كتاب: البر و الصلة والآداب، باب: تحريم الكذب والمباح منه، الراوي: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، رقم الحديث: ٢٦٠٥، رقم الصفحة: ١٤٠٤.

(٤) بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، ٨.

(٥) السمالوطي، نبيل، علم اجتماع التنمية دراسة في اجتماعيات العالم الثالث، ط٢ ( بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١ م )، ١٢.

(٦) انظر: عبده، جمال محمد أحمد، دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، ط١، ( بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ - ١٩٨٤ م )، ٢١٧.



اللفظ الأول: " التزكية "، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(١)</sup>، قال الطبري<sup>(٢)</sup> في تفسير التزكية هنا: " ﴿ وَتَزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ يقول: وتنميتهم وترفعهم عن خسيس منازل أهل النفاق بها، إلى منازل أهل الإخلاص<sup>(٣)</sup> .

اللفظ الثاني: " الإنبات "، قال تعالى: ﴿ فَتَقْبَلُهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾<sup>(٤)</sup>. أي: وأنبتها ربها في غذائه ورزقه نباتاً حسناً حتى تمت فكملت امرأة بالغة تامة " <sup>(٥)</sup> .

اللفظ الثالث: " التربية "، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾<sup>(٦)</sup>، قال الرازي<sup>(٧)</sup> في كلمة التربية: " ﴿ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ أي رب افعال بهما هذا النوع من الإحسان كما أحسنا إلي في تربيتهما إياي، والتربية هي التنمية، وهي من قولهم ربا الشيء إذا انتفع، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾<sup>(٨)</sup> " <sup>(٩)</sup> .

اللفظ الرابع: " التكاثر "، قال تعالى: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَزِينَةٌ

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي الطبري، أبو جعفر، (٢٢٤م - ٥٣١٠هـ)، المؤرخ والمفسر، ولد في آمل طبرستان واستوطن بغداد وتوفي بها، من أشهر كتبه: أخبار الرسل والملوك (تاريخ الطبري)، جامع البيان في تفسير القرآن، تهذيب الآثار، الغرائب، التزليل، العدد. انظر: الزركلي، الأعلام، ٦/٦٩. والداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، طبقات المفسرين، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ٣٧٤ - ٣٧٩.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، ٧ / ١٦.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ٣٧.

(٥) الطبري، جامع البيان، ٣ / ٢٤١.

(٦) سورة الإسراء، من الآية: ٢٤.

(٧) الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التيمي البكري فخر الدين الرازي الشافعي المفسر، متكلم أهل زمانه، جمع كثيراً من العلوم، ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة ٦٠٦هـ بالري. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٤ / ٢٤٨ - ٢٥٢.

(٨) سورة فصلت، من الآية: ٣٩.

(٩) الرازي، فخر الدين، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط٣، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، ١٠ / ١٩٣.

وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴿١﴾.

اللفظ الخامس: " الأثمار "، قال تعالى: ﴿ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾<sup>(٢)</sup>، أمر سبحانه بالنظر في حال الثمر في أول حدوثها. وقوله: ﴿ وَيَنْعِهِ ﴾ أمر بالنظر في حالها عند تمامها وكما لها، وهذا هو موضع الاستدلال والحجة التي هي تمام المقصود من هذه الآية. ذلك لأن هذه الثمار والأزهار تتولد في أول حدوثها على صفات مخصوصة، وعند تمامها وكما لها لا تبقى على حالاتها الأولى، بل تنتقل إلى أحوال مضادة للأحوال السابقة، مثل أنها كانت موصوفة بلون الخضرة فتصير ملونة بلون السواد أو بلون الحمرة، وكانت موصوفة بالحموضة فتصير موصوفة بالحلاوة، وربما كانت في أول الأمر باردة بحسب الطبيعة، فتصير في آخر الأمر حارة بحسب الطبيعة<sup>(٣)</sup>، وهذا يوافق معنى التنمية.

اللفظ السادس: " التنشئة "، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾<sup>(٤)</sup>، " فالمعنى أنه ما أحلى الديار من مكلفين أنشأهم وبلغهم حد التكليف حتى قاموا مقام من كان قبلهم في عمارة الدنيا " <sup>(٥)</sup>، ومعنى التنشئة يظهر في التفسير السابق في النمو وأيضا التربية. اللفظ السابع: " النشور "، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا ﴾<sup>(٦)</sup>، قال ابن كثير<sup>(٧)</sup> في قوله: ﴿ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا ﴾ أي: أرضاً ميتة، فلما جاءها الماء، اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج<sup>(٨)</sup>، فهو انتقال من حال الموت إلى إلى حال الحياة والإنبات. وكذلك التنمية ينتقل بها الإنسان من حال متقهقر إلى متقدم.

(١) سورة الحديد، من الآية: ٢٠.

(٢) سورة الأنعام، من الآية: ٩٩.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ٧ / ١١٧.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٤٢.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٢ / ١٠١.

(٦) سورة الزخرف، من الآية: ١١.

(٧) ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي، أبو الفداء عماد الدين ( ٧٠١م - ٧٧٤هـ ) حافظ مؤرخ، كان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، فقيه تناقل الناس تصانيفه في حياته، ومن أشهرها: البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، طبقات الشافعية، انظر: الزركلي، الأعلام، ١/ ٣٢٠. والداوودي، طبقات المفسرين، ٨٠.

(٨) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ط ١، ( بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م )، ١٦٧٧.

اللفظ الثامن: " النشوز "، قال تعالى: ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾<sup>(١)</sup>، " لكلمة نشزها لغتان، فمن قرأها بالزاي ﴿ نُنشِرُهَا ﴾ فمعناه نرفعها. والنشز: المرتفع من الأرض. وقال بعضهم، المعنى: أنظر إلى العظام كيف نرفع بعضها على بعض في التركيب للإحياء؛ لأن النشز الارتفاع، ومنه المرأة النشوز، وهي المرتفعة عن موافقة زوجها؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فانشُرُوا ﴾<sup>(٢)</sup> أي ارتفعوا وانضموا. وأيضاً فإن القراءة بالراء (نشرها) بمعنى الإحياء " <sup>(٣)</sup>.

اللفظ التاسع: " البناء "، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرِيسَالِهِمْ فَاصْطَفَاهُمْ كَأَنَّهُمْ بِنِيَّانٍ مَبْنِيَّةٍ قَدِ رَصَّ، فَأَحْكَمَ وَأَتَقَنَ، فَلَا يَغَادِرُ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: بِنِي بِالرِّصَاصِ " <sup>(٤)</sup>. فالبناء هو نصر واتقان ونماء.

اللفظ العاشر: " الشفاء "، قال تعالى: ﴿ وَنُنزِلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾<sup>(٥)</sup>، قال الفخر الرازي: " القرآن شفاء للمؤمنين، من الأمراض الأمراض الروحانية، وشفاء أيضاً من الأمراض الجسمانية " <sup>(٦)</sup>، وأضاف ابن كثير: " إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه " <sup>(٧)</sup>، وهذه ذروة التنمية والنماء في الحياة.

اللفظ الحادي عشر: " البركة "، قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا كُفَرًا وَسَعَةً الْأَرْزَاقِ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ﴾<sup>(٨)</sup>. والبركة هي: " الخصب وسعة الأرزاق " <sup>(٩)</sup>.

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٥٩.

(٢) سورة المجادلة، من الآية: ١١.

(٣) القرطبي، محمد أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ الطبع)، ٣ / ٢٩٥.

(٤) سورة الصف، الآية: ٤.

(٥) الطبري، جامع البيان، ١٤ / ٨٦.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٧) الرازي، مفاتيح الغيب، ١١ / ٣٥، (بتصرف يسير).

(٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١٣٥.

(٩) سورة الأعراف، من الآية: ١٣٧.

(١). وهو من التنمية والنماء بلا شك.

اللفظ الثاني عشر : " الرفع " ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى

الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ (٢) .

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط١، ( بيروت: دار الفكر،

١٤٠٣-١٩٨٣م)، ٢ / ١٠٩ .

(٢) سورة الأعراف ، من الآية : ١٧٦ .

## المبحث الثاني:

### تعريف القوة لغة واصطلاحاً والألفاظ ذات الصلة بها

**تعريف القوة لغة:** تدل كما يقول ابن فارس على معنيين: " أحدهما على شدة وخلاف الضعف، والآخر القَوَاءُ وهو الأرض الخربة، والقوة هنا مأخوذة من المعنى الأول، والوصف من ذلك: القوي خلاف الضعيف، وأصل ذلك من القَوَى التي هي جمع قُوَّة من قُوَى الجبل " (١).

وقال الأصفهاني (٢): " القوة تستعمل تارة في معنى القدرة نحو قوله تعالى: ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ (٣) وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء، نحو أن يقال: النوى بالقوة نخل، أي: متهيئ ومرشح أن يكون منه ذلك. ويستعمل ذلك في البدن تارة، نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ (٤)، وفي القلب أخرى نحو قوله: ﴿ يَنْحَبِي خُذِ أَلَكْتَبَ بِقُوَّةٍ ﴾ (٥)، وقد تستعمل القوة في المعاون من خارج كما في قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ (٦) قيل: معناه: من أتقوى به من الجند، وما أتقوى به من المال، وفي القدرة الإلهية نحو قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٧) " (٨).

**القوة اصطلاحاً:** قال الجرجاني (٩): " القوة: هي تمكن الحيوان ( أي الكائن الحي ) من الأفعال

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة " قوى "، ٥ / ٣٦ - ٣٧.

(٢) الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، أديب من الحكماء والعلماء، متحقق في أكثر من فنون عدة، سكن بغداد، من أشهر كتبه: محاضرات الأدباء، الذريعة إلى مكارم الشريعة، المفردات في غريب القرآن، أفانين البلاغة. انظر: الزركلي، الأعلام، ٢ / ٢٥٥. والحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: عباس، إحسان، ط ١، ( بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م )، ٣ / ١١٥٦. والداوودي، طبقات المفسرين، ٥١٩ - ٥٢٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٥.

(٥) سورة مريم، الآية: ١٢.

(٦) سورة هود، الآية: ٨٠.

(٧) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

(٨) الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: داوودي، صفوان عدنان، ط ١، ( دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م )، مادة: " قوى "، ٦٩٣-٦٩٤.

(٩) الجرجاني: علي بن محمد الجرجاني، المعروف بالشريف الجرجاني، ( ٧٤٠ - ٥٨١٦هـ )، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، من مؤلفاته: التعريفات، وشرح مواقف الإيجي، انظر: الأعلام للزركلي، ٧/٥. والسخاوي، شمس الدين أبو الخير

الشاقة، فإن كان الكائن نباتاً سميت قوته قوة طبيعية، وإن كان حيواناً سميت قوته قوة نفسانية، وإن كان إنساناً سميت قوته قوة عقلية، والقوى العقلية باعتبار إدراكها للكليات تسمى القوة النظرية، وباعتبار استنباطها للصناعات الفكرية من أدلتها بالرأي تسمى القوة العملية " (١).

وفي المعجم الاشتقاقي: " القوة: شدة في الأثناء بالالتزام أو الالتواء مع امتداد: كطاقة الحبل تلتوي على ذاتها عند الفتل مع امتدادها فتشدد أثنائها وذلك مع التوائها على الطاقة الأخرى " (٢).

أستنتج مما سبق أن القوة: هي استخدام قدرة الإنسان واستغلالها إلى منتهائها باستخدام عقله وجسده والوصول بهما إلى أعلى درجات الاتقان والإحسان في القيام بجميع الأفعال والأقوال. الألفاظ ذات الصلة بكلمة ( القوة ):

اللفظ الأول: " الشدة "، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ (٣). فأصل الشدة: " شدة العقد، وتدل أيضا على القوة في الشيء " (٤)، وفي البدن، وفي قوى النفس. وفي اللسان: " الشدة الصلابة وهي نقيض اللين وتكون في الجواهر والأعراض، وكل شيء أحكم فقد شُدَّ، وفي الحديث الشريف: ( ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه ) (٥) أي يقاويه و يقاومه، والشدة أيضا: النجدة وثبات القلب، وكل شجاع شديد " (٦).

اللفظ الثاني: " الغلظة "، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتَلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ

---

محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ( بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ الطبع )، ٥ / ٣٢٨.

(١) الجرجاني، الشريف علي محمد، كتاب التعريفات، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣-١٩٨٣ م)، مادة: " القوة "، ١٧٩.

(٢) جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، ط٢ ( القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٣٣-٢٠١٢ م )، مادة: " قوو "، ٤ / ١٧٦١.

(٣) سورة الإسراء، من الآية: ٥.

(٤) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: " شد "، ٣ / ١٧٩.

(٥) البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، الراوي: أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث: ٣٩، رقم الصفحة: ١٠.

(٦) ابن منظور، اللسان، مادة: شدد "، ٣ / ٢٣٢.

الْكُفَّارِ وَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴿١﴾. قال القرطبي<sup>(٢)</sup>: أي شدة وقوة وحمية " (٣) وفي المعجم الاشتقاقي: " غلظ: عظم الجرم وتجسسه مع صلابه، ويلزمه الشدة والقوة، والحدة " (٤).

اللفظ الثالث: " البأس "، قال تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۗ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ (٥). من معاني البأس في القرآن الكريم ما عبر عنه بالشدّة بمعنى القوة، " وشديد البأس: شجاع، وقد وصف القرآن الكريم الحديد بالبأس، فقال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ (٦) فإن ذراته هي أكثر الذرات التي نعرفها تماسكا، وله خواص طبيعية وكيميائية تجعل وصفه القرآني هذا إعجازا. وكل ما جاء في القرآن على صيغة ﴿ بَأْسٌ ﴾ فهو بمعنى الشدة " (٧).

اللفظ الرابع: " القدرة " قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۗ هَلْ يَسْتَوُونَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِنِجْمٍ ۗ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٨). نوضح معنى القدرة هنا بما ذكره التهانوي<sup>(٩)</sup> في كشفه، حيث قال:

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

(٢) القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي المالكي، من كبار المفسرين، من أهل قرطبة، رحل إلى مصر و توفي بها سنة ٥٦٧١هـ، من أشهر كتبه: جامع أحكام القرآن، الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، شرح التقصي، قمع الحرص بالزهد و القناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة. انظر: الزركلي، الأعلام، ٣٢٢/٥. والداوودي، طبقات المفسرين، ٣٤٧.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨ / ٢٩٨.

(٤) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: " غلظ "، ٣ / ١٦٣٨.

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٤.

(٦) سورة الحديد، من الآية: ٢٥.

(٧) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: " بأس "، ١ / ١٢٠.

(٨) سورة النحل، الآية: ٧٥ - ٧٦.

(٩) التهانوي: التهانوي: محمد علي بن الشيخ علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي السني الحنفي التهانوي، باحث هندي. ولا نعلم شيئا عن ولادته ونشأته، ولكن وفاته بعد عام ٥١١٥٨هـ، لأنه في هذا التاريخ قد فرغ من تأليف كتابه " كشف اصطلاحات الفنون "، ومن مصنفاته أيضا: سبق الغايات في نسق الآيات. انظر: الزركلي، الأعلام، ٦ / ٢٩٥.

قال: " إن للقدرة لازما وهو الإمكان الذاتي، لأن القادر لما صح منه الفعل وتركه كان إمكان الفعل لازما للقدرة فنقل اسم القوة إليه، ونقل أيضا من القدرة إلى سببها وهو إمكان الحصول مع عدمه " (١).

**اللفظ الخامس: " الاستطاعة "**، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٢) وفي هذه العلاقة القريبة الدلالة بين القوة والاستطاعة، قال الشنقيطي (٣) موضحا المعنى في تفسير هذه الآية الكريمة: " العمل في إعداد المستطاع من القوة، امثالاً لأمر الله تعالى وسعياً في مرضاته " (٤).

**اللفظ السادس: " التمكين "**، قال تعالى: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ (٥). قال صاحب المعجم الاشتقاقي: " مكنه من الشيء، ومكن له: جعل له عليه سلطاناً وقدّره. والتمكين من الشيء (إنالة) ما يصح به الفعل من الآلات والقوى، وهو أتم من الإقدار، لأن الإقدار إعطاء القدرة خاصة والقادر على الشيء قد يتعذر عليه الفعل لعدم الآلة. وهذا معنى كل (مكن) في القرآن الكريم " (٦).

**اللفظ السابع: " الثبات "**، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٧). ذكر الشوكاني (١) في تفسير ﴿ فَاثْبُتُوا ﴾: "

---

(١) التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، ط١، (لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، مادة " القوة "، ٣ / ٥٨٠.

(٢) سورة الأنفال، من الآية: ٦٠.

(٣) الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ولد بموريتانيا، رحل إلى الحج ومن ثم استقر بالمدينة المنورة، ودرّس بالمسجد النبوي، من مؤلفاته: مذكرة الأصول على روضة الناظر، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. انظر: ترجمة تلميذه عطية سالم في أول كتاب أضواء البيان ١ / ٧ - ٦٤.

(٤) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ٦ / ٤٧٩.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٨٤.

(٦) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: " مكن "، ٤ / ٢١٦٢. وانظر: البحر: ٤ / ٧١.

(٧) سورة الأنفال، من الآية: ٤٥.



أي ﴿فَأَثْبِتُوا﴾ لهم ولا تجبنوا عنهم، فإن الأمر بالثبات هو في حال السعة، والرخصة هي في حال الضرورة. وقد لا يحصل الثبات إلا بالتحرف والتحيز. ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد، وقيل المعنى: اثبتوا بقلوبكم واذكروا بألستكم فإن القلب قد يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمرهم بالذكر حتى يجتمع ثبات القلب واللسان. قيل وينبغي أن يكون الذكر في هذه الحالة بما قاله أصحاب طالوت: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢) " (٣) فهذا الثبات من القوة.

اللفظ الثامن: " البطش "، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (٤). " البطش: التناول بشدة " (٥). وفي محاسن التأويل: " الأخذ بعنف. وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم. وهو بطشه بالجبايرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (٦) " (٧).

اللفظ التاسع: " الجهد "، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (٨). أي: " أغلظ أيمانهم وأشدّها " (٩)، وفي المعجم: " غاية أيمانهم وأقواها " (١٠) وهو معنى يوافق معاني القوة.

(١) الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (١١٧٣م - ١٢٥٠هـ)، فقيه من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، له ١١٤ مصنف، منها: نيل الأوطار، فتح القدير في التفسير، البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، إرشاد الفحول في الأصول. انظر: الزركلي، الأعلام، ٦/٢٩٨.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢٥٠.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، ط ٢، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، ١٩٦٤م)، ٢ / ٣١٤ - ٣١٥.

(٤) سورة البروج، الآية: ١٢.

(٥) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: " بطش "، ١ / ١٣٩.

(٦) سورة هود، الآية: ١٠٢.

(٧) القاسمي، محمد جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ٧ / ٢٩٧.

(٨) سورة النور، من الآية: ٥٣.

(٩) الطبري، جامع البيان، ١٠ / ١٥٧.

(١٠) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: " جهد "، ١ / ٣٥٤.

وتعريف الجهد: " هو إفراغ قوة الشيء وقوامه الذي في باطنه... والجهد والاجتهاد في العلم وفي طلب الأمر: بذل الوسع ( وغاية القوة ) في طلبه، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾<sup>(١)</sup>، أي غاية وسعهم وطاقتهم " <sup>(٢)</sup>.

اللفظ العاشر: " الربط "، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>. " الرباط: شد الشيء، والملازمة والاستمرار، ثبات وارتباط... وربط الله على قلبه بالصبر: ألهمه الصبر وشده وقواه وثبته " <sup>(٤)</sup>، لقوله عز وجل: ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

اللفظ الحادي عشر: " الطاقة "، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلِقُوا اللَّهَ كَمَا مَّ. فَنَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَنَّةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾<sup>(٦)</sup>. " والطاقة هي أدنى درجات القوة " <sup>(٧)</sup>.

القوة " <sup>(٧)</sup>.

(١) سورة التوبة، من الآية: ٧٩.

(٢) جبل، المعجم الاشتقاقي، مادة: " جهد "، ١ / ٣٥٤.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ٢٠٠.

(٤) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: " ربط "، ٢ / ٧٦٠.

(٥) سورة الأنفال، من الآية: ١١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

(٧) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، ط ١ ( بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ -

١٩٩٩ م )، ٢ / ٣٩٢.

## الفصل الثاني:

### الآيات التي تحدث عن القوة والضعف في القرآن الكريم

وفيه مبحثان

المبحث الأول: آيات القوة في ضوء القرآن الكريم

المبحث الثاني: مفهوم الضعف في ضوء القرآن الكريم

## المبحث الأول: آيات القوة في ضوء القرآن الكريم:

تحدثت آيات الذكر الحكيم عن هذه الصفة ( القوة ) في أغلب السور، إما مستشهدا بها في المعنى، أو في اللفظ. بل القرآن هو الدستور المتكامل في توجيه القوة داخل الإنسان وخارجه. وقد ذُكر لفظ " القوة " تسعاً وعشرين مرة في القرآن الكريم، تحت مجالات ومواضيع مختلفة، أسردها في هذا المقام، وأترك الاستفاضة فيها، وتفصيل الحديث عنها وعن مواضع القوة في القرآن من جهة المعنى، في الفصول القادمة من البحث بإذن الله تعالى:

- آيات تذكر ( القوة ) اسم من أسماء الله الحسنى، وأن قوة الله عز وجل فوق كل شيء:  
وقد ذكرت في مواضع مختلفة، تحت مواضيع متنوعة، منها: قوة الله جل جلاله في معرض الوعيد والعذاب، وأن المتمردين لا يملكون لها دفعا مهما كانت درجة قوتهم لأنها قوة الله سبحانه التي ليس لها حد:

١- ﴿ وَمَنْ أَلْتَمَسْ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤- ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنْ اللَّهُ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٤)</sup>.

في معرض نصره الإنسان. قوة الله هي عنصر ضمان للإنسان الذي يواجه قوى البغي

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٣٩.

(٤) سورة الحج، الآية: ٧٤.

والباطل بالموقف الحاسم المنطلق من موقع الرسالة، وقدرته على الثبوت والصمود، فقوة الله تقف معه لتشد أزره وتقوي موقفه مهما كانت قوة العدو كبيرة لأن الله معه ينصره ويقويه ويثبته، فقوة الله جل جلاله لا تلغي قوة الإنسان المحدودة بل تزيدها، قال تعالى:

٥ - ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾<sup>(١)</sup>.

٦ - ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ هُدَّتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

٧ - ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۗ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

٨ - ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٤)</sup>.

٩ - ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۗ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾<sup>(٥)</sup>.

في الحديث عن القوة في موضع الرزق:

١٠ - ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ۗ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾<sup>(٦)</sup>.

١١ - ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة هود، الآية: ٦٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٢١.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٦) سورة الشورى، الآية: ١٩.

(٧) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

- آيات تذكر ( القوة ) بمعنى: قوة الإرادة في الطاعات:

١٢- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ  
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

١٣- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ  
وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ بِكُفْرِهِمْ الْعَجَلِ قُلْ بِسْمَا  
يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

١٤- ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا  
بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

١٥- ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ  
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

١٦- ﴿ يٰحَيِّ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاٰتَيْنٰهُ الْحِكْمَ صَبِيًا ﴾<sup>(٥)</sup>.

- ذكر لفظ ( القوة ) بمعنى: القوة في الحروب والأعمال والعهود، أو القوة بالاتباع:

١٧- ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ  
اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ  
شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

١٨- ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾<sup>(٧)</sup>.

١٩- ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ  
دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَنَّ

(١) سورة البقرة، الآية: ٦٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٩٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧١.

(٥) سورة مريم، الآية: ١٢.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

(٧) سورة الكهف، الآية: ٩٥.

لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾ .

٢٠ - ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ﴿٢﴾ .

٢١ - ﴿ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ ﴿٣﴾ .

- ذكر لفظ ( القوة ) بمعنى: الإيمان يُكسب القوة:

٢٢ - ﴿ وَيَقَوْمٍ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٤﴾ .

- آيات تذكر ( القوة ) بمعنى: القوة تقتضي الأمانة، والأمانة تقتضي القوة:

٢٣ - ﴿ قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ ؕ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ ﴿٥﴾ .

٢٤ - ﴿ قَالَتْ إِحَدُهُمَا يَتَأْتٍ آسْتَفْجِرُهُ ؕ إِن خَيْرٌ مِّنْ آسْتَفْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ ﴿٦﴾ .

- ذكر لفظ ( القوة ) : صفة لجبريل عليه السلام:

٢٥ - ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَحَىُّ الْوَحَىُّ عَلَيْهِ شَهِدُ الْقَوَى ﴾ ﴿٧﴾ .

٢٦ - ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٢﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ﴿٨﴾ .

- ذكر لفظ ( القوة ) في أطوار خلق الإنسان:

٢٧ - ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

(١) سورة النحل، الآية: ٩٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٠.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٦.

(٤) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٥) سورة النمل، الآية: ٣٩.

(٦) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(٧) سورة النجم، الآية: ٤ - ٥.

(٨) سورة التكويد، الآية: ١٩ - ٢٠.

قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿١﴾

- ذكر لفظ ( القوة ) مقترنة بالكبر والاستعلاء وظلم الناس:

٢٨- ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا

أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَايُنِنَا جَحْدُونَ ﴿٢﴾

٢٩- ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ

مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمْ

الْمُجْرِمُونَ ﴿٣﴾

- سورة ( ق ) : سورة القوة والعلو<sup>(٤)</sup>:

وفي الحديث عن القوة في معرض السور وموضوعاتها، بعد الآيات التي تحدثت عن القوة، تُعتبر سورة ( ق ) هي سورة القوة، حيث قال ابن القيم<sup>(٥)</sup> عن سورة ق: " السورة مبنية على على الكلمات القافية، من ذكر القرآن وذكر الخلق، وتكرير القول ومراجعته مرارا، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين قول العبد، وذكر الرقيب، وذكر السائق والقرين، والإلقاء في جهنم، والتقدم بالوعيد، وذكر المتقين، وذكر القلب والقرون، والتنقيب في البلاد، وذكر القيل مرتين وتشقق الأرض وإلقاء الرواسي فيها وبسوق النخل والرزق وذكر القوم وحقوق

(١) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٥.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧٨.

(٤) انظر: العويد، عصام بن صالح، المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، ط ١ ( الرياض: مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، ٥١٤٣٠ - ٢٠٠٩م )، ١٠٩.

(٥) ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن حريز الزرعي الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، ( ٦٩١م - ٧٥١هـ )، الإمام الفقيه الحنبلي، الأصولي المفسر النحوي، ولد في سابع صفر عام ٦٩١هـ، متفنن في علوم كثيرة وكان عارفا في التفسير وبأصول الدين وبالحدِيث، صاحب التصانيف الشهيرة: تهذيب سنن أبي داود، سفر المهجرتين وباب السعادتَيْن، مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، إعلام الموقعين عن رب العالمين، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، بدائع الفوائد. انظر: كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفِي الكتب العربية، ط ١، ( طبعة الرسالة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م )، ٣/١٦٤ - ١٦٥، وابن عماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ( بيروت: دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ الطبع )، ٦/١٦٨. والداوودي، طبقات المفسرين، ٣٦٣ - ٣٦٥.



الوعيد. ولو لم يكن إلا تكرار القول والمحاورة.

وسر آخر وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر والعلو والانفتاح " (١).

فتعتبر هذه السورة: سورة القوة، بمعانيها ومواضيعها، وفي أدق تفاصيلها المعجزة، من القافية واستخدام حرف القاف الذي يتميز بالقوة أكثر من غيره، وقد خُصّ اسماً للسورة دلالة على القوة، والله أعلم.

---

(١) ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، بدائع الفوائد، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، ٣ /

## المبحث الثاني:

### مفهوم الضعف في ضوء القرآن الكريم

الضعف في اللغة: "خلاف القوة، والضعف بفتح الضاد لغة تميم، وبضمها لغة قريش" (١). اصطلاحاً: "الضعف وهن القوة حساً أو معنى، وقيل: خلاف القوة ويكون في النفس وفي البدن وفي الحال" (٢). وفي الكلبيات: "الضعف ضد القوة في العقل والرأي" (٣).

### آيات الضعف في ضوء القرآن الكريم:

ورود لفظ (الضعف) في القرآن الكريم لا ينفي صفة (القوة) في الإنسان، ولكن يحددها في نطاق قدرته البشرية وخلقته الطينية، من أجل التيسير عليه، أو أن يُذكر في معرض الذم.

فمن أهم معاني الضعف ومقاصده التي ذكرها القرآن الكريم:

- (الضعف) بقصد حماية حق الضعيف، لقوله تعالى: ﴿وَدَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (٤).

جاءت الآية في معرض الحفاظ على مال الصغار واليتامى، فقال عز وجل: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ "لأنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون الصغار ولا البنات، وذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾، فنهى الله عن ذلك، وبين لكل ذي سهم سهمه، فقال: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ (٥)، صغيراً أو كبيراً" (١). وأضاف السعدي (٢): "أي: ويفتيكم في

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "ضعف"، ٩/٢٠٣. وابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: "ضعف"، ٣/٣٦٢.

(٢) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مادة: "الضعف"، ٣/١١٥.

(٣) الكفوي، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: المصري، محمد، ودرويش، عدنان، الكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ٥٧٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٧.

(٥) سورة النساء، من الآية: ١١.

المستضعفين من الولدان الصغار، أن تعطوهم حقهم من الميراث وغيره وأن لا تستولوا على أموالهم على وجه الظلم والاستبداد " (٣). فالضعف هنا لصغر السن وعدم النضوج بعد، وهو طور طبيعي من أطوار نمو الإنسان.

- (الضعف) بقصد التلاوم والعتاب، لقوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدِيَّتِكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٤).

المقصود بالضعفاء في هذه الآية: " هم الأتباع لقادتهم وسادتهم وكبرائهم الذين استكبروا عن عبادة الله وحده لا شريك له، وعن موافقة الرسل، فقالوا لهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أي: مهما أمرتمونا ائتمرنا وفعلنا، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ؟ أي: فهل تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله، كما كنتم تعدوننا وتمنوننا ؟ " (٥). وهذا من الضعف المذموم في الاتباع بغير الحق، والذي حق عليه العذاب من الله تعالى، وهؤلاء الكبراء لا يستطيعون أن يمنعوا عنهم ولا عن أنفسهم العذاب يوم القيامة.

- (الضعف) بقصد الرحمة، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٥٣٨.

(٢) السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي، مفسر من علماء الحنابلة، من أهل نجد، توفي عام ١٣٧٦هـ.  
انظر: الزركلي، الأعلام، ٣/٣٤٠.

(٣) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط ١ (الرياض: دار المعنى للنشر و التوزيع، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، ١٩٧.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢١.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٠٢٦.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٩١.

والضعفاء هنا هم أهل العذر، سماهم الله ضعفاء رحمة بهم وتخفيفاً عنهم، وضح ذلك البغوي<sup>(١)</sup> في تفسيره: " عن قول ابن عباس: يعني الزمى والمشايخ والعجزة. وقيل: هم الصبيان. وقيل: النسوان"<sup>(٢)</sup>.

- ( الضعف ) ليس عذرا لمن ظلم نفسه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿١٩﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>.

أيضا يذكر الله تعالى الضعف المذموم، في سورة النساء في موضع آخر، يظهر جليا في سياق هذه الآيات، فيكون حوارا توبيخيا، فصله السعدي، فقال: " هذا الوعيد الشديد لمن ترك الهجرة مع قدرته عليها حتى مات، فإن الملائكة الذين يقبضون روحه يوبخونه بهذا التوبيخ العظيم، ويقولون لهم: ﴿ فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ أي: على أي حال كنتم؟ وبأي شيء تميزتم عن المشركين؟ بل كثرتم سوادهم، وربما ظاهرتموهم على المؤمنين، وفاتكم الخير الكثير، والجهاد مع رسوله، والكون مع المسلمين، ومعاونتهم على أعدائهم. ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: ضعفاء مقهورين مظلومين، ليس لنا قدرة على الهجرة. وهم غير صادقين في ذلك لأن الله وبخهم وتوعدهم، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، واستثنى المستضعفين حقيقة.

ولهذا قالت لهم الملائكة: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعاً وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى: ﴿ يَبْعَادِيَّ

(١) البغوي: الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، أو ابن الفراء أبو محمد، ويلقب بمحبي السنة، من أشهر كتبه: شرح السنة في الحديث، لباب التأويل في معالم التنزيل، انظر: الزركلي، الأعلام، ٢ / ٢٥٩.

(٢) البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي ( معالم التنزيل )، ط ١ ( بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، ٥٧٦.

(٣) سورة النساء، الآيات: ٩٧ - ٩٩.

الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿١﴾ قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ وهذا فيه ذكر بيان السبب الموجب، فقد يترتب عليه مقتضاه، مع اجتماع شروطه وانتفاء موانعه، وقد يمنع من ذلك مانع " (٢).

- (الضعف) بقصد التخفيف واليسر وعدم تكليف الإنسان مالا طاقة له به، لقوله تعالى:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخْفِفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٣).

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ تَخْفِفَ عَنْكُمْ﴾ " أي: في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم. وقال ابن أبي حاتم: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ أي: في أمر النساء، وقال وكيع: يذهب عقله عندهن.

وقال موسى الكليم عليه الصلاة والسلام لبينا صلوات الله وسلامه عليه ليلة الإسراء حين مر عليه راجعا من عند سدرة المنتهى، فقال له: ماذا عهد إليك ربك؟ قال: (عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك، فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم"، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشيريه في ذلك، فأشار إليه جبريل: أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه: "يارب، خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا"، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد، والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذه فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأسماعا... فقال الجبار: فكل حسنة عشر أمثالها، فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك) (٤) " (٥).

- (الضعف) من سمة الإنسان في طور النمو، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ

ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ

(١) سورة العنكبوت، من الآية: ٥٦.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٨٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٨.

(٤) البخاري، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، الراوي: أنس رضي الله عنه،

رقم الحديث: ٧٥١٦، رقم الصفحة: ١٢٩٥ - ١٢٩٦.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٦٦.

## الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿١﴾.

يبين الله تعالى الضعف والقوة في هذه الآية الكريمة المعجزة من خلال خلق الإنسان نفسه وتنقله في أطوار الخلق حالا بعد حال " فأصله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظاما ثم يكسى لحما، ويُنفخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفا نحيفا واهن القوى. ثم يشب قليلا قليلا حتى يكون صغيراً، ثم حدثاً، ثم مراهقاً، ثم شاباً. وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص فيكتهل، ثم يشيخ ثم يهرم، وهو الضعف بعد القوة. فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللمة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة " (٢).

- (الضعف) سمة الكيد الشيطاني قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (٣).

" والكيد: سلوك الطرق الخفية في ضرر العدو، فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنه في غاية الضعف، الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق ولا لكيد الله لعباده المؤمنين " (٤)، فالمؤمن لا يضعف أمام كيد الشيطان ولا يضعف أيضا أمام المصائب، لقوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (٥).

وفي مواضع أخرى نهي الله عز وجل عن الضعف، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٦)، فعلق القوة بالإيمان لأنها مصدر كل قوة في الإنسان وأبعد عنه الضعف، قال السعدي: " يقول تعالى مشجعا لعباده المؤمنين، ومقويا لعزائمهم ومنهضا لهممهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في

(١) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، ١٤٥٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٧٦.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتكم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

هنا انتهى إلى النتيجة النبوية، حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: ( المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله. ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لم يصبني كذا. ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل )<sup>(٢)</sup>، وهذه القوة لا تختص بالجهاد؛ بل تشمل كل أمور الحياة، إذا فُهمت بالوجه الصحيح، كما وضع ذلك القرآن، والسنة النبوية، ولذا نجد من باب الإشارة إلى الفهم الصحيح، أنه في صحيح مسلم، قد أدرج هذا الحديث الشريف تحت باب: الأمر بالقوة وترك العجز. والاستعانة بالله، وتفويض المقادير لله تعالى.

---

(١) السعدي، مرجع سابق، ١٣٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله و تفويض المقادير لله، الراوي: أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث: ٢٦٦٤، رقم الصفحة: ١٤٣٢.

# الباب الثاني

## تنمية قوة الفرد المسلم

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول : تنمية القوة الروحية

الفصل الثاني : تنمية القوة الخُلقية

الفصل الثالث : تنمية القوة النفسية

الفصل الرابع : تنمية القوة الفكرية

الفصل الخامس: تنمية القوة البدنية



## الفصل الأول: تنمية القوة الروحية

وفيه مبحثان

المبحث الأول : الروح وعلاقتها بالقوة

المبحث الثاني : وسائل تنمية القوة الروحية

## المبحث الأول: الروح وعلاقتها بالقوة

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾<sup>(١)</sup>. وردت ( الروح ) في " القرآن الكريم على عدة أوجه، منها: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين، كما في الآية السابقة " <sup>(٢)</sup>، وفي تفسير الآية دلالة على هذا المعنى، ذكره الطبري: " ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: وقواهم ببرهان منه ونور وهدى " <sup>(٣)</sup>، وأضاف ابن عاشور<sup>(٤)</sup>: " والتأييد: التقوية والنصر. والروح هنا: ما به كمال نوع الشيء من عمل أو غيره، وروحٌ من الله: عنايته ولطفه"<sup>(٥)</sup>.

يتضح مما سبق، أن الروح علاقتها بالقوة، علاقة وثيقة، الرابط بينهما: الإيمان بالله ودرجته في قلب المؤمن، فكلما ازداد الإنسان إيمانا، ازدادت قوته الروحية وسمت به إلى عليين، لأنه يؤمن بوجود عالم روحي مقابل العالم المادي الذي يعيش فيه، لهذا لما اكتفت الحضارات المادية بالمادة فقط، ضاق منها الإنسان وانهار، وظهرت الأمراض الروحية.

والروح خلق من أعظم مخلوقات الله شرفها الله وكرمها غاية التشريف والتكريم فأضافها إلى ذاته العليا، إضافة تخصيص وتشريف، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، ومن جلاله وعظمته هذا التشريف لهذا المخلوق أن الله اختص بالعلم الكامل بالروح فلا يمكن لأي مخلوق كائن من كان أن يعلم كل العلم عن هذا المخلوق إلا ما أخبر به

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله أبو بكر الزرعي، الروح، تحقيق: محمد علي القطب، وليد الذكري، ( بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م)، ١٨٥.

(٣) الطبري، جامع البيان، ٢٧/١٤.

(٤) ابن عاشور: محمد الطاهر رئيس المفتين المالكيين بتونس، وهو من أعضاء الجمعيتين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة منها: مقاصد الشريعة الإسلامية وأصول النظام الاجتماعي، توفي عام ١٣٩٣هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ١٧٤/٦.

(٥) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٤٠٥-١٩٨٤م)، ٢٧-٢٨/٩١.

(٦) سورة الحجر، الآية ٢٩.

الله، لقوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>. وهذا التشريف العظيم يدعو الإنسان نفسه إلى الحفاظ على هذه الروح وتقويتها، فحاء الإسلام ينمي قوة الروح ويسمو بها من الأمراض الدنيوية والآثام، وأنزلت العبادات المختلفة، من الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وحُث على الاستزادة في العبادات لأنها غذاء الروح، " فسميت الروح روحاً لأن بها حياة البدن " <sup>(٢)</sup>.

فكانت العلاقة بين الروح والقوة واضحة وثيقة لا تنفك بأي حال من الأحوال، وقوة الإيمان بالله هو السبيل والحبل المتين الذي ينمي هذه القوة في روح المؤمن. واعين تماماً أن قوة الروح لا تتنافى مع قوة الجسد، وضمان الآخرة لا يتم بضياح الدنيا، " لأن كل تدبُّن يجافي العلم، ويخاصم الفكر، ويرفض عقد صلح شريف مع الحياة، هو تدبُّن فقد كل صلاحيته للبقاء. لأن التدبُّن الحقيقي إيمان بالله عظيم، وشعور بالخلافة في الأرض، وتطلع إلى السيادة التي اقتضتها هذه الخلافة، أعني السيادة على عناصر الكون وقواه... والراشدون من رجالات الفكر يتفقون على أن شفاء العالم من سقامه مرتبط بعودة الإيمان إلى القلوب الفارغة " <sup>(٣)</sup>. وهو تنمية قوة الروح بالإيمان.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) ابن القيم، الروح، ٢٥٥.

(٣) الغزالي، محمد، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ط ٢ (دمشق: دار القلم، ١٤٠٨-١٩٨٨ م)، ٢٢-٢٩، (بتصرف يسير).

## المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الروحية

بما أن الروح مرتبطة بالإيمان، كانت الوسائل هي توثيق هذه العلاقة والصلة بين العبد وربّه، وأداء شعائره وتطبيق تشريعاته، نذكر منها:

أولاً: معرفة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَخَشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾<sup>(١)</sup>، قال ابن كثير: " أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنة كلما كانت المعرفة به أتم و العلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر " <sup>(٢)</sup>.

والعلم بأسماء الله تعالى وصفاته، هي طريقة الكَمَل من السائرین إلى الله وهي طريقة مشتقة من قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾<sup>(٣)</sup>، أي: " سبحوه واذكروه واعبدوه بها، كي نرتقي في ذلك إلى أسمى غاية، ونشرب من رحيق المعرفة الكفاية. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة " <sup>(٤)</sup>، ومعنى أحصاها: حفظها ووعاها ودعا بها، وكرر تلاوتها عالماً بمعناها، والله سبحانه سمي نفسه بما سماها، وجميع الأسماء إلى ربك منتهاها " <sup>(٥)</sup>.

فإن معرفة أسماء الله الحسنى هي أصل الإيمان ومادة حصوله وقوته وثباته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيماناً وقوة في روحه، فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٥٥٤.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث ٢٧٣٦، رقم الصفحة: ٤٥١. صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء و لتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث ٢٦٧٧، رقم الصفحة: ١٤٣٩.

(٥) ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، أسماء الله الحسنى، تحقيق: يوسف علي بديوي، وأيمن عبد الرزاق الشوآ، (دمشق: دار الكلم الطيب، ١٤١٩-١٩٩٨ م)، ١٠.

معرفة الأسماء والصفات بلا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تحريف.

قال ابن القيم: " من أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه وشدة الاعتناء به، فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، فالأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان، ومتى كان الأساس وثيقا حمل البنيان واعتلى عليه، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد.

فالعارف همته تصحيح الأساس وإحكامه، والجاهل يرفع في البناء عن غير أساس، فلا يلبث بنيانه أن يسقط، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنْ رَبِّهِ وَاللَّهُ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانَهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١).

فالأساس لبناء الأعمال كالقوة لبدن الإنسان، فإذا كانت القوة قوية حملت البدن ودفعت كثيرا من الآفات، وإذا كانت القوة ضعيفة ضعف حملها للبدن وكانت الآفات إليه أسرع. فاحمل بنيانك على قوة أساس الإيمان، فإذا تشعث شيء من أعالي البناء وسطحه كان تداركه أسهل عليك من خراب الأساس. وهذا الأساس أمران: صحة المعرفة بالله وأمره وأسمائه وصفاته، والثاني: تجريد الانقياد له ولرسوله صلى الله عليه وسلم دون ما سواه. فهذا أوثق أساس أسس العبد عليه بنيانه، وبحسبه يعتلي البناء ما شاء " (٢).

فليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة خالقها وبارئها ومعرفة أسمائه وصفاته، ومحبه وذكره والتقرب إليه أقرب ما يكون. تلك قوة الروح المؤمنة التي تزداد ارتقاء بمعرفة الله عز وجل، فتكون ممن قال الله سبحانه عنهم: ﴿ إِنَّمَا تَحَشَىٰ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٣).

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.

(٢) ابن القيم، شمس الدين محمد أبي بكر الزرعي، الفوائد، ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣-١٩٧٣ م)، ١٥٥.

١٥٦-

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

ثانياً: تدبر القرآن: لقوله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾<sup>(١)</sup>، فالتدبر قوة روحية ترتقي بنا في معرفة الله ومعرفة الحق والضلال فرقانا ونورا يرفعنا إلى أعلى المنازل. قال ابن كثير: " ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة، قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي: ذوو العقول، وهي الألباب، جمع لب، وهو العقل، وقال الحسن البصري<sup>(٢)</sup>: والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل"<sup>(٣)</sup>.

فالتدبر هو: " تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر "<sup>(٤)</sup>.

وقد وردت آيات كثيرة في التدبر، منها قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى قُلُوبِهِمْ أَقْفَالُهَا ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾<sup>(٧)</sup> فكان الوصول لهذه القوة الروحية السامية في التدبر لكلام الله عز وجل بالغ الأهمية والأثر.

وقد ذكر سيد قطب<sup>(٨)</sup> نظرية جديدة لتدبر القرآن، وهي نظرية ( التفسير الحركي ) فكتب: "

(١) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٢) الحسن البصري: الحسن بن أبي الحسن أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، إمام مفسر واعظ، فقيه حجة مأمون، مات بالبصرة سنة ٥١٠هـ. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ط٤، ( بيروت: مؤسسة الرسالة، ٥١٤٠٦ - ١٩٨٦م )، ٤/٥٦٣.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٦٠٥.

(٤) ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ( بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٢-١٩٧٢م )، ١/٤٥١.

(٥) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٦٨.

(٧) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٨) سيد قطب بن إبراهيم، ( ١٣٢٤م - ١٣٨٧هـ )، مفكر إسلامي مصري، من أشهر كتبه: في ظلال القرآن، العدالة الاجتماعية، معالم في الطريق. انظر: الزركلي، الأعلام، ٣/١٣٧.

إن المسألة - في إدراك مدلولات القرآن وإيجاءاته - ليست هي في فهم ألفاظه وعباراته، ليست هي تفسير القرآن - كما اعتدنا أن نقول ! - المسألة ليست هذه، إنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب: تشابه المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله، وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك، معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس، جهاد الشهوات وجهاد الأعداء، والبذل والتضحية والخوف والرجاء، والضعف والقوة، والعثرة والنهوض، جو مكة، والدعوة الناشئة، والقلّة والضعف، والغربة بين الناس، جو الشعب والحصار، والجوع والخوف، والاضطهاد والمطاردة، والانقطاع إلا عن الله، ثم جو المدينة، جو نشأة الأولى للمجتمع المسلم بين الكيد والنفاق والتنظيم والكفاح، وجو نشأة الأمة المسلمة، نشأة نظامها الاجتماعي، والاحتكاك الحي بين المشاعر والمصالح، في هذا الجو الذي تنزلت فيه آيات القرآن حية نابضة واقعية، كان للكلمات وللعبارات دلالاتها وإيجاءاتها، وفي مثل هذا الجو الذي يصاحب محاولة استئناف الحياة الإسلامية من جديد، يفتح القرآن كنوزه للقلوب، ويمنح أسرارها، ويشيع عطرها، ويكون فيه هدى ونور " (١).

ويدلنا على الطريقة الصحيحة لتدبر القرآن فيقول: " إن هذا القرآن ينبغي أن يقرأ، وأن يتلقى من أجيال الأمة المسلمة بوعي، وينبغي أن يُتدبر على أنه توجيهات حية، تنزل اليوم لتعالج مسائل اليوم، ولتنير الطريق إلى المستقبل. لا على أنه مجرد كلام جميل يرتل، أو على أنه سجل لحقيقة مضت ولن تعود " (٢).

وهالة التدبر المكتسبة من هذه النظرية الحركية لسيد قطب تُنمي القوة الروحية، حيث توجه شعور القارئ المتدبر لذاته، وبأن الآية موجهة له، فتزيده رهبة وخشوع وقرب من الله عزوجل. وأورد الغزالي (٣) وصفا آخر لهذه النظرية، فقال: " التخصيص: وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمرا أو نهيا قدر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعدا أو وعيدا فكمثل

(١) قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط٨، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٣-١٩٨٣ م)، ٧ - ٨.

(٢) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط٣، (القاهرة: دار الشروق، ١٣٩٧-١٩٧٧ م)، ٦١/١.

(٣) الغزالي: محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام، (٤٥٠ م - ٥٥٠ هـ)، متصوف، من أشهر كتبه: إحياء علوم الدين، المستصفى من علم الأصول. انظر: الزركلي، الأعلام، ٢٢/٧ - ٢٣.

ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود، وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه " (١) إلى أن يقول " وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فماله ولسائر الناس، فليقدر أنه المقصود، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (٢) " (٣).

ولن ننتفع بهذا القرآن حتى نقرأه قراءة متدبرة، نتلمس عنده توجيهات حياتنا المعاصرة، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يتلقونه ويطبّقونه في شؤون حياتهم الواقعية، فحين نقرأ القرآن بهذا الوعي سنجد عنده ما نريد، وسنشعر بكلماته وتوجيهاته حية تنبض وتتحرك وتشير إلى معالم الطريق، وما أجمل أن يقيد القارئ المتدبر خواطره ولفئاته ولطائفه لحظة ورودها، وأن يدون المعاني والحقائق التي تأتت له قبل أن ينساها أو يصرف عنها، لتكون رصيذاً ثميناً معطاءً، يعود إليه عندما يحتاجه ليمنه أيضاً بالقوة والثبات.

ثالثاً: التأسّي بالرسول صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٤).

قال ابن كثير: " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسّي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسّي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته، ومرابطته ومجاهدته، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ أي: هلا اقتديتم به، وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم وأكمل بقوله تعالى: ﴿ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٥).

فكان دليلاً على أن إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم سبب في النصر والتمكين وتنمية القوة

(١) الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، ١/ ٢٦٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٣) الغزالي، المرجع السابق، ٢٦٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٤٨٧.



الروحية. كيف لا والمنهج النبوي هو: المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم. فالقرآن هو الدستور الذي يحوي الأصول و القواعد الأساسية للإسلام، عقائده، وأخلاقه، ومعاملاته، وآدابه. والسنة هي البيان النظري والتطبيق العملي للقرآن في ذلك كله. فهي قوة متنامية وثابتة للروح، بتفصيلها لتعاليم الإسلام، ولتربيتها الأمة الإسلامية .

والشواهد على أن في اتباع السنة النبوية قوة للروح كثيرة في القرآن الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

رابعا: الاستغفار قال تعالى: ﴿ وَيَنْقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية وتأكيدها لهذه القوة الروحية في الاستغفار: " ثم أمرهم بالاستغفار الذي فيه تكفير الذنوب السالفة، وبالتوبة عما يستقبلون من الأعمال السابقة، ومن اتصف بهذه الصفة يسر الله عليه رزقه، وسهل عليه أمره وحفظ عليه شأنه وقوته، ولهذا قال: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ <sup>(٤)</sup> " <sup>(٥)</sup> .

وأضاف الألوسي <sup>(٦)</sup>: " ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴾ أي عزاً مضموماً إلى عزكم أو مع

(١) سورة النور، الآية: ٥٤ .

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧ .

(٣) سورة هود، الآية: ٥٢ .

(٤) سورة نوح، الآية: ١١ .

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٥٩ .

(٦) الألوسي: شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله أبي الثناء الألوسي، المفتي البغدادي، آية في النباهة والذكاء، خاتمة المفسرين، ونخبة المحدثين، أخذ عن الشيخ علي البغدادي، ومحدث الشام عبد الرحمن الكزبري، وغيرهما، كتب دروس، وتلمذ عليه كثيرون، من تصانيفه: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، شرح درة الغواص، توفي عام ١٢٧٠هـ، انظر: القنوجي، صديق حسن، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ط ١ (الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، ٥١٧، ومردم بك، خليل، أعيان القرن الثالث عشر، قدم له عدنان مردم بك، ط ٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧م)، ٤٧ .

عزكم ويرجع هذا إلى قوله تعالى: ﴿ وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَنَّ ﴾<sup>(١)</sup>، لأن العز الدنيوي بذلك، وقيل: المراد بها قوة الجسم، ورغبتهم عليه السلام بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات، وقيل: حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نساءهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الاستغفار والتوبة كثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل، وقيل: القوة الأولى في الإيمان. والثانية في الأبدان أي يزدكم قوة في إيمانكم إلى قوة في أبدانكم<sup>(٢)</sup>.

فهي قوة تتصل أولاً وأخيراً بالروح داخل الإنسان في نمائها وارتقائها، فالاستغفار قوة، عندما نقرنه بالصبر والصدق والقنوت وحسن الإنفاق، وأنه لذلك سبب من أسباب مدح المؤمنين المخلصين، في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَعْمَانَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾<sup>(٣)</sup> الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ<sup>(٤)</sup>.

والاستغفار قوة وحصن مكين ضد النقم والبلايا والنكبات والحن، كما قال عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>. قوة الاستغفار أيضاً تكمن في أنه مفتاح من مفاتيح الرزق ومجلبة للخصب وسبب لتدفق بركة الأرض والسماء، فهي إعانة على القوة وزيادتها، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾<sup>(٦)</sup> يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا<sup>(٧)</sup> وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَنَّ وَتَجْعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَتَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا<sup>(٨)</sup> .<sup>(٩)</sup>

كل ذلك وأكثر يقودنا إلى حقيقة أن القوة الروحية والإيمانية في المعنويات والمحسوسات، هي بكثرة الاستغفار، فهو طهارة وتزكية للقلب وسمو للروح. فما أحوجنا اليوم إلى الاستغفار بلسان

(١) سورة نوح، من الآية: ١٢.

(٢) الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار التراث العربي)، ١١-١٢ / ٨١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٦ - ١٧.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٥) سورة نوح، الآية: ١٠ - ١٢.

(٦) انظر: حقي، مصطفى شيخ إبراهيم، المنتقى من الفوائد الإيمانية، ط١، (الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع،

١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ٧٣.

واع وقلب صادق ونية عازمة على عدم الرجوع.

خامسا: التفكير في ملكوت الله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١﴾.

قال الرازي في قوة التفكير في هذه الآيات: "دلائل التوحيد محصورة في قسمين: دلائل الآفاق، ودلائل الأنفس ولا شك أن دلائل الآفاق أجل وأعظم كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾، ولما كان الأمر كذلك لا جرم أمر في هذه الآية بالتفكير في خلق السموات والأرض لأن دلائلها أعجب وشواهدا أعظم" (٣).

فالتفكير عبادة جليلة وقيمة عقلية كبرى تؤدي إلى يقظة الأفراد ونهضة الأمم، قوتها ليست كأى قوة؛ لأنها ذكر القلب، وهو خير من الجوارح، فكان مفتاح الخيرات كلها، لأنه إذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح، فالتفكير خير من الذكر والتذكر لأنه ذكر وزيادة (٤).

فكانت عبادة التفكير، قوة عظيمة في تنمية الطاقة الروحانية، وحياة منسرحة للقلب وسكينة، امتلأت آياتها في القرآن وفي الكون وفي الأنفس. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٥).

سادسا: الاجتهاد في الإحسان، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٦). قال ابن القيم: "الإحسان من منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٧) وهذه المترلة

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠ - ١٩١.

(٢) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٣) الرازي، تفسير الفخر الرازي، ١٤٢.

(٤) انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣٦٨/٤.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ٢١٩.

(٦) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٧) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

هي لب الإيمان وروحه وكماله، وهي جامعة لما عداها من المنازل، فجميعها منظوية فيها، ومما يشهد لهذه الميزة قوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾، إذ الإحسان جامع لتنمية القوة الروحية، وهو أن تعبد الله كأنك تراه " (١).

والخالق عز وجل عندما أنزل آدم عليه السلام، وجعل بني البشر مستخلفين في الأرض، وحملهم الرسالة، كلفهم أن يُحسنوا ويتقنوا العمل، فيبلغوا أعلى درجات الكمال، وعليهم أن يجاهدوا ويغلبوا شهواتهم، وإن لم يفلحوا يكرروا المحاولات، حتى ينجحوا، فلا يستريحوا إلى نقص أو قصور، ولا تكون همّتهم إلا في علو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إن الله كتب الإحسان على كل شيء ) (٢)، فدل ذلك على قوة الإحسان في تنمية الروح ورقي الفرد في الدنيا والآخرة.

" ويكون الإحسان في القصد بتنقيته من شوائب الحظوظ، وتقويته بعزم لا يصاحبه فتور، وبتصفيته من الأكدار الدالة على كدر قصده " (٣).

فالإحسان قوة تُدخل العبد في معية الله وحبه، وكفى به شرفاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (٤).

وذكر في المحسن وقوة الإحسان: " قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ المحسن: هو الذي يُلزم نفسه في عبادة الله بأكثر مما ألزمه الله، ومن جنس ما ألزمه الله به، فإن كان الشرع فرض عليك خمس صلوات في اليوم والليلة، فالإحسان أن تزيدها ما تيسر لك من النوافل، وإن كان الصوم شهرَ رمضان، فالإحسان أن تصومَ من باقي الشهور كذا من الأيام، وكذلك في الزكاة، وغيرها مما فرض الله. لذلك نجد أن الإحسان أعلى مراتب الدين، وهذا واضح في حديث جبريل حينما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان، فقال:

---

(١) ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، تهذيب مدارج السالكين، تهذيب: عبد المنعم صالح العزي، ( الإمارات: وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف )، ٤٨١ ( بتصرف يسير ).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، الراوي: شداد بن أوس، رقم الحديث ١٩٥٥، رقم الصفحة: ١٠٨٠ - ١٠٨١.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة: " حسن "، ١١٥/١٣ - ١١٨.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

الإحسان ( أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك ) .<sup>(١)</sup>

والآية الكريمة تُوجي لنا بأن الذين اتقوا لهم جزاء ومعية، وأن الذين هم محسنون لهم جزاء ومعية، كُلُّ على حسب درجته؛ لأن الحق سبحانه يعطي من صفات كماله لخلقه على مقدار معيتهم معه سبحانه، فالذي اكتفى بما فرض عليه، لا يستوي، ومن أحسن وزاد، لا بُدَّ أن يكون للثاني مزية وخصوصية " (٢).

وفي سورة الذاريات يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴿١٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾<sup>(٣)</sup>، " لم يقل ( مؤمنين ) لأن المؤمن لا يأتي بما فرض عليه فحسب، لكن ما وجه الإحسان عندهم ؟ يقول تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾<sup>(٤)</sup>، وكلها أمور نافلة تزيد عما فرض الله عليهم. ويجب أن ننتبه هنا أن المراد من قوله تعالى : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾<sup>(٥)</sup> " (٦) " ليس الزكاة وإنما الصدقة، لأنه في الزكاة قال سبحانه : ﴿ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾<sup>(٥)</sup> " (٦).

وأيضاً من الآيات الدالة على قوة الإحسان و معية الله للمحسنين، التي هي قوة لهم، قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٧)</sup>، وقد أكد الرازي قوة قوة الإحسان في تفسيره لهذه الآية فكتب: " لما فرغ من التقرير والتقريع ولم يؤمن الكفار سَلَّى قلوب المؤمنين بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ أي من جاهد بالطاعة هداه سبل الجنة ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ إشارة إلى ما قال : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث ٥٠، رقم الصفحة: ١٢. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث ٩، رقم الصفحة: ٢٣.

(٢) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، ( القاهرة: أخبار اليوم قطاع الثقافة )، ١٣ / ٨٣٠١.

(٣) سورة الذاريات: الآية: ١٥ - ١٦.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ١٧ - ١٩.

(٥) سورة المعارج، من الآية: ٢٤.

(٦) الشعراوي، تفسير الشعراوي، ١٣ / ٨٣٠٢ - ٨٣٠٣.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾<sup>(١)</sup>، فقوله: ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ ﴾ إشارة إلى الحسنى وقوله: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ إشارة إلى المعية والقربة التي تكون للمحسن زيادة على حسناته"<sup>(٢)</sup>.

وجزاء الله وكرمه للمحسنين قوة روحية متنامية، تدل على أهمية الاجتهاد لبلوغ أعلى درجات الإحسان، لاكتساب هذه القوة، والأدلة كثيرة على هذا المعنى، نذكر منها: قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، قال فيها الطبري: " وقوله: ﴿ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ يقول تعالى ذكره: أعطيناه حينئذ الفهم والعلم. وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما جزيت يوسف عليه السلام فأتيته بطاعته إياي الحكم والعلم، ومكنته في الأرض، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله، كذلك نجزي من أحسن في عمله، فأطاعني في أمري وانتهى عما نهيته عنه من معاصي. وهذا وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فإن المراد به محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم. يقول له عز وجل: كما فعلتُ هذا بيوسف عليه السلام من بعد ما لقي من إخوته ما لقي وقاسى من البلاء ما قاسى، فمكنته في الأرض ووطأت له في البلاد، فكذلك أفعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكن لك في الأرض وأوتيك الحكم والعلم، لأن ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهيي"<sup>(٤)</sup>.

وأضاف الزمخشري<sup>(٥)</sup>: " ﴿ حُكْمًا ﴾ حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه. وقيل: حكما بين الناس وفقها، ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ تنبيه على أنه كان محسناً في عمله، متقياً في عنفوان أمره، وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه "<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ٩٥.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٢.

(٤) الطبري، جامع البيان، ١٧٨.

(٥) الزمخشري: محمد بن عمر بن محمد بن أحمد العلامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، النحوي، اللغوي، المعتزلي، المفسر، يلقب بجار الله لأنه جاور بمكة زماناً، ولد في رجب سنة ٤٦٧هـ بمخشر قرية من قرى خوارزم، من تصانيفه: الكشاف، الفائق، أساس البلاغة، المفصل، المقامات، المستقصى من الأمثال، فصوص الأخبار، المفرد في النحو، توفي عام ٥٣٨هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ١٧٨/٧. والداوودي، طبقات المفسرين، ٥١٠ - ٥١١.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ٣١٠ / ٢.

فقوة الإحسان تثمر الاستمساك بالعروة الوثقى التي يُرجى معها خير الدنيا والآخرة، أي أن المحسن يحتاط لنفسه بأن يستمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه<sup>(١)</sup>، وما ذلك إلا تنمية القوة الروحية.

سابعاً: قيام الليل، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلاً ﴿٢﴾ نَصَفَهُرَ أَوْ أَنْقَصَ مِنْهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴿٦﴾<sup>(٢)</sup>.

فالخُلوة بالله قوة للإيمان وتلذذ بالمناجاة، أفضل أوقاتها في الليل، لما في النهار من الانشغال بالناس والأحوال والمعاش، قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾.

ذكر الزمخشري: " النفس الناشئة بالليل، التي تنشأ من مضجعتها إلى العبادة، أي: تنهض وترتفع، من نشأت السحابة: إذا ارتفعت، ونشأ من مكانه ونشز: إذا نهض. وقيام الليل، على أن الناشئة مصدر من نشأ إذا قام ونهض على فاعلة: كالعاقبة ويدل عليه ما روى عن عبيد بن عمير: قلت لعائشة: رجل قام من أول الليل، أتقولين له قام ناشئة؟ قالت لا؛ إنما الناشئة القيام بعد النوم. ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل، أي: تحدث، وترتفع. وقيل: هي ساعات الليل كلها؛ لأنها تحدث واحدة بعد أخرى. وقيل: الساعات الأولى منه. وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول: أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ هي خاصة دون ناشئة النهار، أشد مواطاة يواطىء قلبها لسانها: إن أردت النفس. أو يوطئ فيها قلب القائم لسانه: إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات، أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص. وعن الحسن: أشد موافقة بين السر والعلانية، لانقطاع رؤية الخلائق. والمعنى في أي: ﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل. أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا قوة متنامية للروح تعين على القيام بباقي الواجبات في الحياة.

(١) انظر: ابو حيان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) في تفسير العروة الوثقى، ١٨٥/٧.

(٢) سورة المزمل، الآية: ١ - ٦.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ١٧٦/٤.

وأضاف سيد قطب كلاماً جميلاً في تفسير هذه الآية يثبت قوة الخلوة بالله وقيام الليل و دوره في تنمية القوة الروحية فكتب: " ولا بد لأي روح يراد لها أن تؤثر في واقع الحياة البشرية فتحولها وجهة أخرى، لا بد لهذه الروح من خلوة وعزلة بعض الوقت، وانقطاع عن شواغل الأرض، وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة التي تشغل الحياة. لا بد من فترة للتأمل والتدبير والتعامل مع الكون الكبير وحقائقه الطليقة، وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها، والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتزل من الملاء الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشري ولا عبارة، واستقبال إشعاعاته وإيقاعاته وفي الليل الساجي، إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل! وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير" (١).

وتتحلى هذه القوة الروحية، في قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٢)، أي: " إنهم يقومون لصلاة الليل. صلاة العشاء الآخرة، الوتر. ويتهجدون بالصلاة، ودعاء الله. ولكن التعبير القرآني يعبر عن هذا القيام بطريقة أخرى: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ في رسم صورة المضاجع في الليل تدعو الجنوب إلى الرقاد والراحة والتذاذ المنام. ولكن هذه الجنوب لا تستجيب. وإن كانت تبذل جهداً في مقاومة دعوة المضاجع المشتهاة. لأن لها شغلاً عن المضاجع اللينة والرقاد اللذيذ، شغلاً برهها، شغلاً بالوقوف في حضرته، وبالتوجه إليه في خشية وفي طمع يتنازعها الخوف والرجاء. الخوف من عذاب الله والرجاء في رحمته. والخوف من غضبه والطمع في رضاه. والخوف من معصيته والطمع في توفيقه. والتعبير يصور هذه المشاعر المرتجفة في الضمير بلمسة واحدة، حتى لكأنها مجسمة ملموسة: ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ وهم إلى جانب هذه الحساسية المرفهة، والصلاة

(١) قطب، في ظلال القرآن، ٦/٣٧٤١ - ٣٧٤٥.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٦.



الخاشعة، والدعاء الحار يؤدون واجبههم للجماعة المسلمة طاعة لله وزكاة " (١).  
 وقال تعالى أيضا: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴾ (٢)، وقال سبحانه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ إِذْ أَمَّ أَلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا مَخَذِرُ الْأَخْرَةِ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ (٣).  
 فكان العزلة وقيام الليل، في بدايتها اتخاذ قرار بالخروج الفوري من دوامة التوتر والقلق والانفعالات السلبية الناتجة من صعوبات الحياة، والتوقف عن تبديد وإهدار الطاقة النفسية، بطرد جميع الأفكار الانهزامية، والانفتاح بالتوجه لله تعالى، بكل الجوارح الحسية والمعنوية، فيدخل في حالة تأمل شفيف لأحواله وحالته، فيتذكر نعم الله عليه وفضله، وبمعن التفكير في الخير الكثير الذي لا يدرك كمهه في كل أحواله، يتأمل آيات الله تعالى، ويعيد شحن وتوجيه إرادته وحواراته الداخلية الذاتية، يجدد العزم ويلتجأ بالدعاء الذليل بين يدي الله في الظلمات وهو موقن بالإجابة، مغمور الشعور بمعية الله تعالى له، تسمو قوة العزلة والقيام في روحه أيما سمو، يعود لمشاغل الدنيا متشبع بالرضا، وغاية خلقه أمام عينيه، يقوم بتأدية رسالة المستخلف في الأرض، وروحه تشتاق للسماء.

(١) قطب، مرجع سابق، ٥ / ٢٨١٢ - ٢٨١٣.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٤.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

## الفصل الثاني: تنمية القوة الخُلُقِيَّة

وفيه مبحثان

المبحث الأول : الأخلاق وعلاقتها بالقوة

المبحث الثاني : وسائل تنمية القوة الخُلُقِيَّة

## المبحث الأول: الأخلاق وعلاقتها بالقوة

ويندرج تحت هذا المبحث سؤال يحضر الذهن، وهو: كيف تعتبر الأخلاق قوة للفرد؟ وقد انقلبت المفاهيم في عصرنا الحالي، وأعطيت الأخلاق أسماء ليست من طباعها، فالحليم عاجزاً، والصبور بليداً، واللين ضعيفاً، والعفيف خائباً، والقوة غرور، والسمو كبرياء! مع العلم بأن الخلق هو: "عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً. وإنما قلنا إنها هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ" (١).

أقول هنا إلى إن العلاقة بين الأخلاق والقوة، علاقة وثيقة، بل تكاد لا تنفك عنها؛ لأنها تحقق في الفرد التالي:

- ١- نضوج روح الخيرية فيه بحيث يلتزم السلوك الخَيْر (٢)، فكأنه مفتاح للخير مغلاق للشر. قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣).
- والسبيل إلى هذه الروح الخيرة، هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال أبو السعود (٤): ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ "صفتان لأمة أجرين عليهما تحقيقاً لمخالفتهم اليهود

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٤٩/٣.

(٢) راجع: ياجن، مقداد، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ط ١ (بيروت: دار الشروق، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م)، ٣٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٤.

(٤) أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى، أبو السعود، الحنفي، ولد عام ٨٩٣هـ، وتوفي عام ٩٨٢هـ، وهو من بيت عرف أهله بالعلم والفضل، فجمع بين العلم والأدب. انظر: الزركلي، الأعلام، ٥٩/٧. والذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، ط ٧ (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م)، ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦.

في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير إثر بيان مُبايئتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس،  
وتعريضاً بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الأمر بإضلال الناس وصدّهم عن سبيل الله  
فإنه أمرٌ بالمنكر ونهيٌ عن المعروف ﴿وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ صفةٌ أخرى لأمة جامعة  
لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير، والمسارة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في  
الأمر سارع في تولّيه والقيام به وآثر الفور على التراخي أي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل  
أصناف الخيرات اللازمة والمتعدية " (١).

تلك القوة الخلقية التي تكسب الفرد شخصية خيرة، حين يتخلق بالأخلاق روحاً فيما يحدده  
الضمير الأخلاقي لديه فيستحسن كل حسن ويستقبح كل قبيح، فيظهر حسن خلقه كما حدده  
الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: ( إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، ومن الناس  
ناساً مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن كان مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل مفاتيح  
الشر على يديه ) (٢) ومعنى مفاتيح الخير أنه أينما يجد الخير يسعى إليه ويأمر به. ومعنى مغاليق للشر  
أنه يكف عن ارتكاب الشر، ويسعى للحيلولة دون الوقوع فيه، وإذا وجد باب الشر يبذل جهده  
لإغلاقه وإذا وجد باب الخير مقفولاً يسرع إلى فتحه، وأضح ما يكون هذا المعنى في الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال تعالى في صفة الأنصار وحبهم للمهاجرين وإيثارهم على أنفسهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ  
وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا  
وَيُؤَثِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣). ثم إلى جانب هذه الصفات الخيرة نجد المؤمنين يتسابقون في عمل الخيرات،  
قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهَا سَابِقُونَ﴾ (٤). فكل هذه الأخلاق الفاضلة

(١) أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،  
بدون تاريخ الطبعة)، ١ - ٢ / ٧٤.

(٢) البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، الباب العاشر: محبة الله عز وجل، الراوي: أنس بن مالك، رقم الحديث: ٦٨٧، رقم  
الصفحة: ١٧٨، إسناده ضعيف، وحسنه الألباني لطرقه المختلفة، "الصحيحة: ١٣٣٢".

(٣) سورة الحشر، من الآية: ٩.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

كانت بسبب قوة القلب الذي هو موطن الخير ومرتبطة دائماً بالخير، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا مِّنَ الَّذِينَ يَدْعُونَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ لِيُظَاهِرَ فِيكُمْ بِمَا أَنتُم مِّنْهُم مَّا أُمِرْتُ بِهِمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١).

٢- اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

وهذه الميزة توضيح رائع، للعلاقة بين الأخلاق والقوة، والآثار العظيمة الناتجة عن هذه التنمية في أخلاق المسلم، قال الطبري: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: "لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة" (٣).

والآية فيها ترقى من المجاهدة إلى الهداية إلى مرتبة الإحسان، ذكره الزمخشري: " لتريدهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقاً " (٤)، وأضاف الرازي: " أي لنحصل فيهم العلم بنا. ولنبين هذا فضل بيان، فنقول أصحابنا المتكلمون قالوا إن النظر كالشرط للعلم الاستدلالي والله يخلق في الناظر علماً عقيب نظره ووافقهم الفلاسفة على ذلك في المعنى وقالوا النظر معد للنفس لقبول الصورة المعقولة، وإذا استعدت النفس حصل لها العلم من فيض واهب الصور الجسمانية والعقلية، وعلى هذا يكون الترتيب حسناً، وذلك لأن الله تعالى لما ذكر الدلائل ولم تفدهم العلم والإيمان، قال: إنهم لم ينظروا فلم يهتدوا وإنما هو هدى للمتقين الذين يتقون التعصب والعناد فينظرون فيهديهم، وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إشارة إلى درجة أعلى من الاستدلال " (٥).

فهذا العلم المكتسب من غير تعلم، هو من إدراك القلب بضميره الأخلاقي. قال الغزالي في هذه المعرفة المكتسبة بقوة الروح وقوة الخلق: " اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفاً بصحة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به، فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جداً، ويشهد

(١) سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٣) الطبري، جامع البيان، ١١ / ١٥.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٣ / ٢١٣.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣ / ٩٥.

لذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١) يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ (٢) قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج من الشبهات " (٣)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمي أحد فإنه عمر) (٤).

٣- التمتع بشخصية متحدة الذات، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (٥).

قال الفخر الرازي: " إن الله لما أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالاتقاء في الآيات التي تسبقها، بقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (٦)، كان ذلك أمراً له بتقوى لا يكون فوقها تقوى ومن يتقى ويخاف شيئاً خوفاً شديداً لا يدخل في قلبه شيء آخر ألا ترى أن الخائف الشديد الخوف ينسى مهماته حالة الخوف فكأن الله تعالى قال يا أيها النبي اتق الله حق تقاته، ومن حقها أن لا يكون في قلبك تقوى غير الله فإن المرء ليس له قلبان حتى يتقى بأحدهما الله وبالأخر غيره فإن اتقى غيره فلا يكون ذلك إلا بصرف القلب عن جهة الله إلى غيره وذلك لا يليق بالمتقي الذي يدعي أنه يتقى الله حق تقاته " (٧).

والفرق بين الخوف والخشية: " أن الخوف توقع مكروه عن أمانة مظنونة، أو معلومة، ويستعمل في الأمور الدنيوية والأخروية، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ﴾

(١) سورة الطلاق، من الآية: ٢-٣.

(٢) سورة الأنفال، من الآية: ٢٩.

(٣) الغزالي، إحياء علوم الدين، ٣ / ٢٢، ( بتصرف يسير ).

(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث: ٣٦٨٩، رقم الصفحة: ٦٢٠.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٦) سورة الأحزاب، من الآية: ١.

(٧) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٣ / ١٩٢.

عَذَابُهُ ﴿١﴾ . أما الخشية خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه، ولذلك حُصَّ العلماء بها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ عَلَّمُوا﴾ (٢) " (٣) .

فالقلب، إما أن ينحاز ويغلب صاحب الحق، وإما أن يغلب جانب الباطل، وما دام الإنسان أمام أمرين متناقضين لا يمكن أن يجتمعا، فلا بُدَّ أن يغلب جانب الحق؛ لأن الله تعالى قال: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ فالقلب هو مكنن القوة، وهو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وتنمية القوة الخلقية صلاح للقلب، الذي يجعل جميع الأعضاء تتجه إلى طاعة الله، بشخصية واضحة بعيدة عن الصراع والتناقض الداخلي.

" فالقلب واحد، وهو مرتكز الذات التي لها خبراتها الانفعالية الإيجابية و السلبية كالحب والكره والفرح والحزن، ولذلك فإن حب الإنسان لشيء ما حباً داخلياً وإظهار كرهه له ظاهرياً يجعله كأن له قلبين، وهذا ما يُخالف الواقع؛ لأن الخبرة الانفعالية واحدة في قلب واحد، ولا يمكن أن يكون له خبرتان متناقضتان لشيء واحد في وقت واحد (٤) " (٥)، وهو موافق للآية: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ وقوة الخلق في الفرد المسلم تكون شخصية قوية متحدة الذات متماسكة. والمقصود أيضا بتوحيد الذات: التوحيد في الدين، ثم توحيد الوجهة، وأخيرا توحيد الطريق. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٦).

لأن الإسلام كما وحد المعبود، وحد الطريق أيضا إلى الحياة وهذا من وسائل توحيد الذات، ومن ثم ليوحد وجهته دعا الإسلام الإنسان إلى أن يتجه إلى الله وأن يسلم وجهه إليه: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَنَقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٧).

(١) سورة الإسراء، من الآية: ٥٧ .

(٢) سورة فاطر، من الآية: ٢٨ .

(٣) انظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٢٨٣، و ٣٠٣ .

(٤) ومنه النفاق في الدين: بأن تظهر الإيمان وتبطن الكفر، وهو ليس المقصود هنا، بل التناقض بين الظاهر والباطن فيما هو أخف كالصدق والكذب.

(٥) المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته، ٢٤٠، (بتصرف يسير).

(٦) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣ .

(٧) سورة لقمان، الآية: ٢٢ .

ولكي لا يضل الطريق إطلاقاً دعاه الإسلام إلى الاستمسك بجبل الله فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup>.

قال الرازي في تفسير هذه الآية: " المراد من الحبل ههنا كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين، وهو أنواع كثيرة، فذكر كل واحد من المفسرين واحداً من تلك الأشياء، فقال بعضهم: إنه القرآن " <sup>(٢)</sup>.

فالقرآن الكريم هو منبع الأخلاق، وعن أم المؤمنين عائشة لما سُئلت رضي الله عنها: كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: ( كان خلقه القرآن )<sup>(٣)</sup>، وهذا بيان واضح على العلاقة الوثيقة بين الأخلاق والقوة، كمنهج صالح، وكقدوة في النبي صلى الله عليه وسلم، في جميع تعاملاته وأخلاقه في الحياة.

---

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٣.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ٤/١٧٧-١٧٨.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، رقم الحديث: ٣٠٨، رقم الصفحة: ١٠٠.



## المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الخلقية

للارتقاء بالأخلاق وسائل كثيرة، أولها الإيمان والقوة الروحية وقد تم تفصيل ذلك في الفصل الأول، فترك الحديث هنا للوسائل الأخرى المكملة، والتي هي أيضا وسائل أساسية للتخلق بالموكارم، وللقيام بأي خطوة إيجابية سواء كانت عبادة روحية أو خلقية، كالتالي:

أولاً: فهم آلية القلب في صنع المشاعر والسلوكيات، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الرازي: " تدل الآية على أن العقول هي العلم وعلى أن محال العلم هو القلب. لأن المقصود من قوله: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ العلم، وقوله: ﴿يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ كالدلالة على أن القلب آلة لهذا التعقل، فوجب جعل القلب محلاً للتعقل ويسمى الجهل بالعمى لأن الجاهل لكونه متحيراً يشبه الأعمى " <sup>(٢)</sup>.

فالقلب مدخل الإنسان للمعرفة وللتخلق بالأخلاق الحسنة، وترسيخها بالتطبيق في السلوكيات اليومية.

وقال الألوسي: " أنه لا يعتد بعمى الأبصار وإنما يعتد بعمى القلوب فكأن عمى الأبصار ليس بعمى بالإضافة إلى عمى القلوب، فالكلام تذييل لتهويل ما بهم من عدم فقه القلب وأنه العمى الذي لا عمى بعده بل لا عمى إلا هو أو المعنى إن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما العمى بقلوبهم فكأنه قيل: أفلم يسيروا فتكون لهم قلوب ذات بصائر فإن الآفة ببصائر قلوبهم لا بأبصار عيونهم وهم الآفة التي كل آفة دونها كأنه يحثهم على إزالة المرض وينعم عليهم تقاعدهم عنها، ووصف القلوب بالتي في الصدور للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٢ / ٤٦.

فكيف تثبت الأخلاق في قلب المسلم وتنعكس في سلوكياته ؟ أقول وبالله التوفيق، أن كل ذلك يرجع إلى آلية القلب منذ الولادة؛ لأن كل الخبرات تنعكس وتنضج في القلب، أوضح ذلك فيما يلي:

### - القلب مكان الخبرات الانفعالية:

إن الخبرات الانفعالية هي التي يدركها الإنسان منذ الصغر عند كل انفعال يحدث بداخله وبطبيعته الخلقية، وعادة ما تكون مصحوبة بحالة وجدانية، إيجابية أو سلبية، سارة أو غير سارة، وإن هذه الخبرات تمثل منهج وأسلوب الإنسان في توجيه سلوكه. وأذكر هنا بعض الآيات التي وردت فيها كلمة " القلب " موضحة أنه هو مكان الخبرات الانفعالية الداخلية، وبالأخص السائدة، التي تُعرف بالعواطف، مثل:

الحب: قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (٣).

الكره و الاشمزاز: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤).

الخشية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (٥).  
والخوف والرعب: ﴿سَنَلْقَى فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (٦).

### - القلب هو المؤشر للوجدان الباطني:

أي له الإدراك والأحاسيس والمشاعر الوجدانية الباطنية التي تشعره بحسن الحسن وقبح القبيح، والذي يُعرف بالضمير.

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٦٧.

(٢) الألوسي، روح المعاني، ١٧- ١٨ / ١٦٧ - ١٦٨.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٤٥.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٦٠.

(٦) سورة آل عمران، من الآية: ١٥١.

فلإنسان وسائل إدراك هي الحواس التي تلتقط المحسوسات يُسمونها تأدباً مع العلم: الحواس الخمس الظاهرة، فكل أمر استقر في القلب هو إدراك بالحواس وتمييز بالعقل ووقوف عند مبدأ بالقلب، وما دام استقر المبدأ في القلب فقد أصبح دستوراً للحياة، وكل الجوارح تخدم هذا المبدأ الذي انتهت إليه، واستقر في القلب والوجدان<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإن إدراك القلب يساعد على الوصول باستنتاجات العقل المنطقية إلى مرحلة الانتخاب منها، أيها الحسن وأيها القبيح، وهذا المؤشر الباطني الوجداني قد يكون قويا أو ضعيفا حسب خبراته الانفعالية إيجابا أو سلبا، كما أنه قد يخطئ، إما لتكون خبرات انفعالية خاطئة، أو لأن استنتاجاته العقلية خاطئة أو منقوصة، ولذلك فإن الإنسان لا يؤاخذ على اجتهاده إذا أخطأ، وإنما يؤجر عليه<sup>(٢)</sup>.

- القلب مرتكز الذات الإنسانية، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

كما أن القلب مرتكز الجسد من الناحية العضوية، فهو مرتكز الذات الإنسانية كذلك، وضح الرازي هذا المعنى، فقال: ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ " المراد منه سلامة القلب عن الجهل والأخلاق الرذيلة، وذلك لأنه كما أن صحة البدن وسلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب والاتصال ومرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور فكذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلة الفاضلة، ومرضه عبارة عن زوال أحدهما فقهله: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أن يكون خالياً عن العقائد الفاسدة والميل إلى شهوات الدنيا ولذاتها فإن قيل فظاهر هذه الآية يقتضي أن من سلم قلبه كان ناجياً وأنه لا حاجة فيه إلى سلامة اللسان واليد جوابه: أن القلب مؤثر واللسان والجوارح تبع فلو كان القلب سليماً لكانا سليمين لا محالة " <sup>(٤)</sup>.

وهذا دليل واضح على مركزية القلب على باقي الأعضاء وأهميته في بناء الفضائل والتخلق بالمكارم. وعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ( الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه،

(١) انظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ٩٨٦١ - ٩٨٦٢.

(٢) انظر: المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، ٢٢٥ - ٢٢٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٢ / ١٥١.

ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب (١). (٢)

فالحديث يوضح لنا أهمية القلب ومركزيته في النفس الإنسانية، وأنه أساس الصلاح أو الفساد على حسب ما يلج إليه ويوجهه، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ( ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه. كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ) (٣). فإذا كانت تلك الواردات والموجهات والخبرات صحيحة وإيجابية، وتجاوب القلب معها وسيطر عليها، صلح سلوكه وحسنت أخلاقه. فالفتاح إلى تنمية الأخلاق فهم وقائع الخبرات الانفعالية على القلب، وتعديلها، والعلاقة بين تزكية القلب والتخلي بالأخلاق الحسنة مطردة.

ثانياً: قوة الإرادة، لقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿٨﴾ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿٤﴾ .

قال أبو السعود: " ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ﴾ بأعماله التي يعملها سواءً كان ترتبُ المراد عليها بطريق الجزاءِ كأعمالِ البرِّ أو بطريق ترتبِ المعلولاتِ علمِ العللِ كالأَسبابِ، أو بأعمالِ الآخرة " (٥).

وقال صاحب محاسن التأويل: " هذه الآية داخلة في معنى قوله: ﴿ وَكُلٌّ إِنسَابٌ آلِزَّ مِنْهُ طَبِيرُهُ رُ فِي عُنُقِهِ ﴾ (٦) فالآية الأولى تشير إلى من جعل طائر نفسه شؤماً. والثانية لمن جعله يمناً وخيراً. وفي قوله تعالى: ﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ أي: ما يحق ويليق بها من الأعمال الصالحة، تبين لقوله:

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، الراوي: النعمان بن بشير، رقم الحديث: ٥٢، رقم الصفحة: ١٢.

(٢) انظر: المطرودي، الإنسان وجوده وخلافته في الأرض في ضوء القرآن الكريم، ٢٣٠ - ٢٣٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث: ٢٦٥٨، رقم الصفحة: ١٤٢٨ - ١٤٢٩.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٨ - ١٩.

(٥) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥ - ٦ / ١٦٣.

(٦) سورة الإسراء، من الآية: ١٣.

﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ﴾ بأن إرادتها هو بالسعي والنصب " (١).

وأضاف ابن عاشور: " والاختلاف بين جملة ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ ﴾ وجملة ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ ﴾ يجعل الفعل مضارعاً في الأولى وماضياً في الثانية للإيماء إلى أن إرادة الناس العاجلة متكررة متجددة. وفيه تنبيه على أن أمور العاجلة متقضية زائلة، وجعل فعل إرادة الآخرة، ماضياً لدلالة المضي على الرسوخ تنبيهاً على أن خير الآخرة أولى بالإرادة " (٢).

فكل التفاسير السابقة وغيرها، تتفق في أن الإرادة هي خيار داخلي، يتخذه الإنسان بقرارة نفسه أولاً.

وقد عرف الجرجاني الإرادة، بأنها: " صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه، ولا تتعلق إلا بمعدوم فإنها صفة تخصص أمر بحصوله ووجوده. وقيل: ميل يعقب اعتقاد النفع" (٣).

وعرفها التهانوي: " نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه " (٤). أما علماء النفس فقالوا في الإرادة: " بأنها العملية النفسية التي ترمي إلى تكييف الاستجابة التي كان قد أدى الصراع القائم بين مجموعتين من الميول إلى إرجائها وذلك بترجيح كفة الميول التي تبدو في نظر الشخص أنها أسمى من غيرها " (٥).

وتتمية القوة الخلقية تقوم على حرية الإرادة، حيث تنبع الرغبة في الارتقاء الخُلقي من ذات الفرد، وليس من العوامل الخارجية، كضغط المجتمع أو نظرة الآخرين للمصدقية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٦)، ومن هنا غالباً ما تكون النصوص المتعلقة بالإرادة موجهة للقلب، لأنه مصدر الإرادات الموجهة للسلوك، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ٤ / ٥٨٢.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٣ - ١٤ - ١٥ / ٦٠.

(٣) الجرجاني، التعريفات، مادة " الإرادة "، ١٦.

(٤) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مادة: " الإرادة "، ٣/ ٣٢.

(٥) مراد، يوسف، مبادئ علم النفس العام، ط٤، ( القاهرة: دار المعارف: ١٣٨١ - ١٩٦٢ م )، ٣٢٣.

(٦) سورة الرعد، من الآية: ١١.

تَعَمَّى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١﴾، وقوة الإرادة هي الفضيلة التي يكون حصولها سبباً ووسيلة في تنمية القوة الخلقية في الفرد المسلم. والرجوع لآيات القرآن الكريم، وكتب التربية، وكتب الأخلاق الإسلامية عموماً، جعلني استخلص الخطوات العملية التالية، في سبيل السمو إلى هذه القوة " قوة الإرادة "، كما يلي:

١- العلم، قال تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (٢).

فهي دعوة القرآن الأولى، دلالة على شرف العلم وأهميته، قال ابن كثير: " أن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البشرية آدم على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال: ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ وفي الأثر: قيدوا العلم بالكتابة، وفيه أيضاً: من عمل بما علم، ورثه الله علم ما لم يكن يعلم " (٣).

ذلك أن الإرادة الناشئة عن إدراك، هي التي تحول الحركات والتصرفات إلى أعمال اختيارية، يسميها علماء الأخلاق بالسلوك، فحين تكون الإرادة قوية ومقرونة بالعلم والعقل الدراك، تكون تصرفاتها الأخلاقية حكيمة نافعة، وإن لم تكن مقرونة بالعلم تكون مصيبة على صاحبها، بحيث تدفعه إلى التهلكة وأنواع المصائب مالا طاقة له به (٤).

فيكلف نفسه مالا يطيق أو يتبع سبيل المشقة ظناً منه أن ذلك هو الأنفع له، والله عز وجل وضح السبيل الصحيح في اليسر، كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٥)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً في هذا الصدد وهو ينصح عبد الله بن عمرو بن

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٢) سورة العلق، الآية: ١ - ٥.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٠١١.

(٤) انظر: الميداني، عبد الرحمن حنبلية، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط٢، ( دمشق: دار القلم، ١٤٠٧-١٩٨٧ م )، ١٢٣/٢ - ١٢٥.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ١٨٥.

العاص عندما علم أنه انقطع للحياة الروحية تاركاً الحياة المادية على جانب: ( يا عبد الله ألم أخبرك أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ "، قلت: بلى يا رسول الله، قال: " فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينيك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً)<sup>(١)</sup>.

ويصف الغزالي هذه المرحلة في قوله: " الإرادة لا تنهض من مكانها، ولا تخرج من مكانها ما لم يأت إليها رسول العلم، فإذا أتى وجزم الحكم انبعثت الإرادة ولا تجد بُدًّا من الانقياد والإذعان، وإذا جزمت الإرادة الحكم انبعثت القدرة لتحريك الأعضاء فلا تجد محيصاً وخلاصاً من الامتثال والارتسام بموجب رسمها، وإذا جزمت القدرة الحكم تحركت الأعضاء بحيث لا تجد محيصاً من الحركة"<sup>(٢)</sup>.

ومن الآيات التي تحت على طلب العلم أيضاً، وتدل على أهميته وفضله، قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>. أي لا يفهم هذه الأمثال ويتدبرها ويطبّقها على ما ضربت له، ويعقلها في القلب، إلا أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم<sup>(٤)</sup>.

٢- النية و الدوافع، قال تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: " فعلم ربك يا محمد ما في قلوب المؤمنين من أصحابك إذ يباعدونك تحت الشجرة، من صدق النية، والوفاء بما يباعدونك عليه، والصبر معك ﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ يقول: فأنزل الطمأنينة، والثبات على ما هم عليه من

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، الراوي: عبد الله بن عمرو بن العاصي، رقم الحديث: ١٩٧٥، رقم الصفحة: ٣١٧.

(٢) الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط ٥، ( بيروت: دار الآفاق الجديدة، ٥١٤٠١ - ١٩٨١ م )، ٣٨.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٦٨٨.

(٥) سورة الفتح، من الآية: ١٨.

دينهم وحُسن بصيرتهم بالحقّ الذي هداهم الله له " (١).

فالآية الكريمة توضح أهمية النية وارتباطها بالدوافع، لأن النية هي إجابة الدوافع، وقد وضع الحديث الشريف مسار هذا المعنى الذي ذكره، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنية) (٢)، وهذه الجملة تثبت النية المباشرة كشرط صحة، بمعنى: شرط وجود أخلاقي، والدوافع نراها تستخرج كلما اطرده الخطاب وأصبح محسوسا شيئا فشيئا، ففي الجملة التي بعدها: (وإنما لا يرى ما نوى) (٣)، يثبت ذلك أنه يكون في حالة عمله، ثم يختم الحديث بهذه الجملة: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) (٤)، فتظهر جليا النية عند الانطلاقة الواقعية لدوافعنا. ولذلك كانت الدوافع مرتبطة دائما بالنية.

فكان تعريف النية بالمعنى الواسع لها: "بأنها حركة تترع بها الإرادة نحو شيء معين" (٥). وكان تعريف الدافع: "حالة داخلية تثير السلوك و توصله حتى ينتهي إلى غاية معينة" (٦). فموضع النية القلب، لما لها من الأهمية عظيم المكان، حيث هي البداية لكل عمل، وخاتمته لتحفظه من الضياع والنقصان، وحسنها يكتب للعمل القبول بإذن الله وفضله على العباد.

ومن حيث اختيار الفرد نيته في قصد العمل، تتدخل فيها إرادة الله وقدرته، وإرادة الإنسان تبدأ من نيته لعلم ما إيجابيا أو سلبيا، ولدوافعه، ثم تدخل إرادة الله فيبدأ بتوجيهه وتوفيقه فيما تتجه إليه نيته وإرادته، فإن كانت في الخير أعانه الله، وإن كانت في غيره أظهره الله عليه وأبطله، فدلّل الأول، قوله تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾، ودليل الثاني، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ

(١) الطبري، جامع البيان، ١٣ / ٨٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم، الراوي: عمر بن الخطاب، رقم الحديث: ١٩٠٧، رقم الصفحة: ١٠٥٦ - ١٠٥٧.

(٣) صحيح مسلم، الحديث السابق.

(٤) صحيح مسلم، الحديث السابق.

(٥) دراز، محمد عبد الله، دستور الأخلاق في القرآن، ط ١٠، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، ٤٢١.

(٦) محمد، محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء القرآن، ط ١، (جدة: دار الشروق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، ١٣٣.



مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ ﴿٢﴾.

٣- التخيل <sup>(٣)</sup>، قال تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ نَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أُسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾.

ذكرت أنه لبلوغ قوة الإرادة لا بد من تحقق الإدراك بالعلم، والنية، وأضيف هنا: التخيل، فهو يعد مرحلة فائقة الأهمية للوصول إلى التي بعدها ومن ثم التنفيذ على أرض الواقع، لأن مبدأ الإرادة في القلب، والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد، فلا بد أن يكون القلب متصوراً متخيلاً، فالبدء بعمل أو التخلق بخلق يقتضي تصور النهاية أو الغاية لتنسجم وتتناغم مع الإرادة، لأنه في نقطة ما إذا تصارع الخيال مع الإرادة وعندما يسير كل واحد منهما في الاتجاه المعاكس، فسينجح الخيال دائماً! وهذه حقيقة تؤكد أنها جميع مبادئ البرمجة اللغوية العصبية، وكل الكتب التربوية، وقبلهما كتاب الله.

لذا نرى في آيات كثيرة هذا التخيل، ليربط العقل الباطن في الإنسان بالغاية وبالإرادة، والغاية هي الجنة والإرادة هي السعي لها، وجميع الأمور الحياتية والمعيشية مهما صغرت مرتبطة في النهاية بهذه الغاية النهائية للإنسان المسلم.

فلإنسان غاية من خلقه، مرتبطة بصورة العمل في حياته، منسجمة بين السلوك الظاهري

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٦.

(٣) وهو ما يعرف أيضا بـ (التصور) عند الغزالي، و(الإيجاء)، عند بعض علماء التربية، وبـ (التوهم) عند المحاسبي في كتابه الذي يحمل نفس الكلمة.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ١٣ - ٢١.

التمثل في الأخلاق والمعاملات، والإرادة الباطنية المتمثلة في النية والدوافع والعزم والإخلاص، وبين خيال الإرادة، المتمثل بالفائدة الدنيوية، وخيال الغاية، الذي هو تخيل الجنة ونعيمها في الآخرة.

وفصل سبحانه في بيان وصف الجنة، كما في الآية السابقة، ووصف بعض نعيمها ليتخيلها الإنسان ولو بشكل محدود<sup>(١)</sup>، فتقوى إرادته لبلوغها والعمل لأجلها، وتتفق إرادته مع خياله المحلق في الغاية، ومن الآيات أيضا قوله تعالى: ﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَبِّلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بَاكُونَ وَأَبْرَارٌ وَكَأْسٌ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصَدَّغُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفِكَهَةٌ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ <sup>(٢)</sup> وتدل كلمة: ﴿ كَأَمْثَلِ ﴾ على وجود قدرة التخيل، وعلى دعوة آيات القرآن العظيم لهذه القدرة (التخيل) لتتسجم مع إرادته الداخلية.

فالعقل الباطن الذي مورده القلب يزودك بالإرادة لتخطو الخطوة الأولى الضرورية في طريق التخلص من خلق سيء أو اكتساب خلق حسن، ولديك الدوافع سواء كانت فطرية أو مكتسبة، شعورية أو غير شعورية، ثم استخدم خيالك لبرمجة عقلك الباطن بأفكار إيجابية في الدنيا والآخرة، فإن البداية دائما تبدأ بتخيل النهاية.

#### ٤ - العزم، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

العزم هو آخر درجات الإرادة المؤكدة الراسخة في القلب، فهو قوة الإرادة بيد التنفيذ حتى آخره بالتحقيق، وقد عرفه الأصفهاني: " عقد القلب على إمضاء الأمر، يقال: عزمتم الأمر، وعزمت عليه، واعتزمت " <sup>(٤)</sup>. وقال ابن القيم: " العزم هو القصد الجازم المتصل بالفعل، وحقيقته هو استجماع قوى الإرادة على الفعل " <sup>(٥)</sup>.

فقوة الإرادة عبر عنها القرآن بلفظ " العزم " لأنها إرادة جازمة، تواجه العقبات بالثبات

(١) راجع: المحاسبي، الحارث بن أسد، تحقيق: العجمي، أبو اليزيد، التوهم، ط ١ ( الزقازيق: دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م ).

(٢) سورة الواقعة، الآية: ١٥ - ٢٣.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

(٤) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة " عزم "، ٥٦٥.

(٥) ابن القيم، مدارج السالكين، ١/١٣٣.

والصمود، فهي تنمي قوة الفرد وتنهض به إلى معالي الأمور، ولذلك جعل الله الصبر مع التقوى، وجعل الصبر مع المغفرة لمن أساء من عزم الأمور، أي: من الأمور التي تتطلب عزيمة، أي: إرادة جادة قوية، قادرة على متابعة الأمور الشديدة الصعبة على النفوس بالتطبيق، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فكان العزم أعلى درجات الإرادة، التي تحرك الجوارح للقيام بالعمل الذي علمه ونواه وتخيله فصمم على تنفيذه. والجدير بالتنويه أن طريقة الاتصال بالعزيمة داخلنا، هي نفس الخطوات السابقة: من الإرادة، العلم، النية، الدوافع، والتخيل.

ثالثاً: تحمل المسؤولية، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۗ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۗ مَن أَهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾<sup>(٣)</sup>.

فبعد أن اكتسب الإنسان قوة الإرادة وبدأ بتنمية قوة الخلق الذي وضعه لنفسه كهدف بفعل سلوكيات معينة، يتأتى دور المسؤولية، إذ إنها قبل كل شيء هي استعداد فطري بداخلنا. والمسؤولية بوجودها لا تفصل بدهيا عن الالتزام والجزاء. لأن المسؤولية تفرض الالتزام، ووجود المسؤولية نفسه يترتب عليه وجود الجزاء والحساب.

قال ابن كثير في تفسير الآية السابقة: " وطائره هو ما طار عنه من عمله، من خير وشر، ويلزم به، ويجازى عليه، والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره " <sup>(٤)</sup>، وقال سيد قطب في تفسير هذه الآية: " هي التبعية الفردية التي تربط كل إنسان بنفسه، إن اهتدى فلها، وإن ضل فعليها، وما من نفس تحمل وزر أخرى، وما من أحد يخفف حمل أحد، إنما يُسأل كل عن عمله،

(١) سورة آل عمران، من الآية: ١٨٦.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٣ - ١٥.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١٠٦.

ويجزى كل بعمله، ولا يسأل حميم حميماً" (١).

فالآية تثبت مسؤولية الإنسان عن أعماله الإرادية وأن مناط مسؤوليته أمر داخل فيه وملازم له، وسيجزى على أساس عمله. ومن هنا أجد أن معنى المسؤولية الخلقية هو: "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة" (٢). فالإنسان لا يمكن أن يكون صاحب خلق ما لم يتكون عنده شعور عام بالمسؤولية، وأستطيع أن أقول إن كل مسؤولية هي مسؤولية أخلاقية متى ارتضيهاها.

وقد أورد القرآن الكريم المسؤولية الخلقية في سياقات ثلاثة:

أولاً: ضمن الأمر باستباق الخير وفعل الحسنة والتحذير من الشر واقتراف السيئة، كقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٤). إلى غير ذلك من الآيات التي يفهم من إطلاقها الدلالة على الترغيب في التحلق بالأخلاق الحيرة وعلى الترهيب من الاتصاف بالأخلاق السيئة. وجمال الأخلاق وحسنها الأخاذ يظهر غالباً عند الاختلاف.

ثانياً: ضمن الأمر بالتزام مكارم الأخلاق ومجانبة مساوئها، وكان من مقتضى عناية الشريعة أن كانت الأخلاق من أول ما خاطب به القرآن، لذا كثر ورودها في السور المكية، وذلك كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥).

ثالثاً: جاء السياق صريحاً بإناطة المسؤولية ببعض الفضائل الخلقية في الآيات التالية:

(١) قطب، في ظلال القرآن، ٢٢١٧/٤.

(٢) يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ٣٣٤.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٠.

١- قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾<sup>(١)</sup>، ذلك أن الوفاء بالعهد فضيلة خلقية مؤكده في الإسلام، وجاءت في هذه الآية مطلقة، لتشمل كل العهود المبرمة سواء كانت فردية أم جماعية، فإنه يلزم الوفاء ويسأل المكلف عنها، ويتأكد الوفاء بعهد الله لعظمه، كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾<sup>(٣)</sup>، قال ابن عباس: " معناه لا ترم أحداً بما ليس لك به علم، وقال قتادة: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله " <sup>(٤)</sup>.

وجماع ذلك النهي عن ارتكاب هذه المخالفات الخلقية، وإلقاء التبعة على هذه الأعضاء من سمع أو فؤاد فيما تُقدم عليه من عمل وإشعار صاحبها بضرورة حفظها عن الحرام واستعمالها في الحلال، لكونه محاسباً عليها، وموفى له جزاؤه غير منقوص.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>، أي من الكذب والظلم اللذين يسأل عنهما العبد يوم القيامة، وهذا فيه وعيد وزجر عن التخلف بخلق الافتراء عموماً لأنه من الأخلاق المفسدة للباطن والظاهر. قال الزمخشري: " ﴿ وَلَيَسْئَلَنَّ ﴾ سؤال تفرع ﴿ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ أي يختلقون من الأكاذيب والأباطيل " <sup>(٦)</sup>.

٤- قوله تعالى: ﴿ لَيَسْئَلَنَّ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾<sup>(٧)</sup>، فالآية وإن كانت في سياق أخذ الميثاق على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ووصفهم بالصادقين في بلاغهم لأممهم إلا أن فيها معنى عاماً ذكره الراغب الأصفهاني في تفسيره للآية بمعنى: " يسأل من

(١) سورة الإسراء، من الآية: ٣٤.

(٢) سورة الأحزاب، من الآية: ١٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١١٨.

(٥) سورة العنكبوت، من الآية: ١٣.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ٣ / ٢٠٠.

(٧) سورة الأحزاب، الآية: ٨.

صدق بلسانه عن صدق فعله، تنبيها أنه لا يكفي الاعتراف بالحق دون تحريه بالفعل " (١).  
وهنا يمكن تقرير ما سبق بأن القرآن الكريم أناط المسؤولية بالأعمال الخلقية، وأنها تعني في  
القرآن المطالبة بالتزام الأخلاق الحميدة واجتناب الأخلاق السيئة والمحاسبة على ذلك (٢).

رابعا: الاستمرارية، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ (٣).  
فأمر الله المؤمنين بالمصابرة والمرابطة على أنفسهم أولا، " أي رابطوا أنفسهم أولا بالمشاركة، ثم  
بالمراقبة، ثم بالمحاسبة، ثم بالمعاقبة، ثم بالمجاهدة، ثم بالمعاقبة " (٤)، فكانت درجات الوصول إلى القوة  
القوة الخلقية الراسخة بالاستمرارية.

وأعني بالاستمرارية المواظبة على الفعل حتى يصبح خلقا راسخا ثابتا في سلوك الفرد، قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل ) (٥) وذلك يقتضي  
الاستمرارية، والطريقة المثلى للاستمرار في الفعل، تكون في تنمية قوة المراقبة.

فكل فعل يحتاج إلى المراقبة لضمان الاستمرارية والتحقيق. فبعد الوعي وقوة الإرادة وتحمل  
المسؤولية، يأتي دور المواظبة والاستمرارية كآخر خطوة لتنمية القوة الخلقية في سلوك الفرد المسلم،  
وتتم من خلال المراقبة، بحيث يكون الإنسان رقيبا على ذاته يحاسبها ويعيد تقويمها كلما اجتالته  
الوساوس، ورقيبا على قلبه، يحفظه من تداول التصورات القبيحة والنيات والإرادات السيئة، وإلى  
جانب ذلك يزود قلبه بالأفكار الخيرة ويملاها بالإرادات والنيات الحسنة، وقد وجه الخالق عباده  
لهذه المراقبة فقال عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ  
وَآتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦)، فجملة: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ تبين  
لنا أهمية مراقبة النفس، على مستوى السلوك والعمل.

(١) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ٢٧٧.

(٢) انظر: الحلبي، أحمد عبد العزيز محمد، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، ط١، ( الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٧هـ -  
١٩٩٦م)، ٦١ - ٦٤.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ٢٠٠.

(٤) حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، ط١، ( القاهرة: دار السلام، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م)، ١١١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، الراوي: عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث:  
٦٤٦٤، رقم الصفحة: ١١٢١.

(٦) سورة الحشر، الآية: ١٨.

كما لا ينسى الإنسان مراقبة الملائكة لأعماله، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾<sup>(١)</sup> وهم الملائكة الموكلون بمراقبة أعمال الإنسان وكتابتها، كما تدل الآيات التي تليها: ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وأيضا قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسًا بِهِءَ نَفْسُهُرُ وَخَنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾<sup>(٤)</sup> إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾<sup>(٥)</sup> مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾<sup>(٦)</sup>.

وفوق المراقبة الذاتية ومراقبة الملائكة، مراقبة الله عز وجل للإنسان في كل أفعاله وخطراته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله الحق: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾<sup>(٨)</sup>، وذكر الطبري في تفسير ﴿ رَقِيبًا ﴾: " ويعني بقوله: ﴿ رَقِيبًا ﴾: حفيظاً، محصياً عليكم أعمالكم، أي: يعلمها ويعرفها " <sup>(٩)</sup>.

فالمراقبة هي طريق الاستمرارية للفعل، التي لا بد أن يحيا بها الإنسان، فيكون رقيباً لنفسه يحاسبها ويؤدبها، وأن يستشعر دائماً معية الله ومراقبته له فيما أعلن وفيما أخفى، فيستقيم على نهج الشريعة والأخلاق بوعي ويقظة، مستدركا أدنى غفلة تحاول أن تنقض أو تنتزع كل العهود والمواثيق والالتزامات التي قررها القلب بإرادته الحرة، وتساييره إلى طريق المعصية، أو الضعف مرة أخرى. ذلك قلب المؤمن الخلق الذي إذا صلح، صلح الجسد كله.

(١) سورة الانفطار، الآية: ١٠.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ١١ - ١٢.

(٣) سورة ق، الآية: ١٦ - ١٨.

(٤) سورة النساء، من الآية: ١.

(٥) سورة العلق، الآية: ١٤.

(٦) الطبري، جامع البيان، ٣/٢٢٨.

## الفصل الثالث: تنمية القوة النفسية

وفيه مبحثان

المبحث الأول: النفس وعلاقتها بالقوة

المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة النفسية



## المبحث الأول: النفس وعلاقتها بالقوة

النفس تتعلق بالقوة من ناحيتين: من حيث تعلقها بالبدن، ومن حيث تعلقها بالروح.  
فأما الأولى: من حيث تعلقها بالبدن وتدبيره إياه، فهي تحتاج إلى قوى ثلاث، ذكرها التهانوي،  
كالتالي:

" إحداهما: القوة التي بها تعقل ما يحتاج إليه في تدبيره، وتسمى بالقوة العقلية، والنطقية،  
والمملكية، والنفس مطمئنة، وتعبر عنها أيضا بقوة هي مبدأ إدراك الحقائق والشوق إلى النظر في  
العواقب، والتميز بين المصالح و المفسد.

وثانيتها: القوة التي تجذب ما ينفع البدن ويلائمه من المآكل، والمشارب، وغير ذلك، وتسمى  
بالقوة الشهوانية، البهيمية، والنفس الأمارة.

وثالثتها: ما تدفع به ما يضر البدن ويؤلمه، وتعبر عنها أيضا بما هي مبدأ الإقدام على الأهوال،  
والشوق إلى التسلط، والترنع، وتسمى قوة غضبية سبعة و نفسا لوامة " (١).

وأما الناحية الثانية: من حيث تعلقها بالروح، فهي نفس واحدة ولكن يطغى سلطان بعضها  
على بعض على حسب قوة الإيمان وضعفه، وقد ذُكرت في القرآن الكريم بمفاهيم ثلاثة مرتبطة  
بالقوة النفسية والروحية لتبسيط هذا المعنى، كالتالي:

النفس الأمارة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ (٢)  
وسُميت أمارة " باعتبار ما يأتيها من المقتضيات الطبيعية الشهوانية للانهماك في اللذات  
الحيوانية، وعدم المبالاة بالأوامر والنواهي " (٣)، قال الطبري: " إن النفوس نفوس العباد تأمرهم بما  
تهووا وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ يقول: إلا أن يرحم ربي من  
شاء من خلقه، فينجيه من إتباع هواها وطاعته فيما تأمره به من السوء " (٤).

(١) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مادة: " الخلق "، ٢ / ٦٤.

(٢) سورة يوسف، من الآية: ٥٣.

(٣) التهانوي، مرجع سابق، مادة " النفس "، ٢٢٢.

(٤) الطبري، جامع البيان، ٤/٢٠٠٤.

فالنفس الأمارة موجودة في كل إنسان لوجود هذه الدوافع فيه، أكد ذلك البيضاوي<sup>(١)</sup> في تفسيره فقال: " ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ من حيث إنها بالطبع مائلة إلى الشهوات فتهم بها، وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات " <sup>(٢)</sup>، وأضاف الألووسي: " والمراد أنها كثيرة الميل إلى الشهوات مستعملة في تحصيلها القوى والآلات " <sup>(٣)</sup> .

**النفس اللوامة**، لقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ <sup>(٤)</sup> وسميت بذلك " باعتبار أخذها في الرجوع والإقلاع، فكأنها تلوم نفسها عن الخوض في تلك المهالك " <sup>(٥)</sup> فهي رقابة داخلية ضاغطة وقوية تحاسب الإنسان عما يصدر عنه، قال عنها القرطبي: " ومعنى: ﴿اللَّوَّامَةُ﴾ أي بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكذا ؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه. وقيل: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الشر لم فعلته، وعلى الخير لم لا تستكثر منه. وقيل: هي والله نفس المؤمن، ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلامي ؟ ما أردت بأكلي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه. وقيل: إنها ذات اللوم. وقيل: إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها، فعلى هذه الوجوه تكون اللوامة بمعنى اللائمة، وهو صفة مدح، وعلى هذا يجيء القسم بها سائغاً حسناً " <sup>(٦)</sup> .

**النفس المطمئنة**، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ <sup>(٧)</sup>، وسبب تسميتها بالمطمئنة: " لاعتبار سكونها إلى الحق واطمئنانها به، وذلك إذا

(١) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي، كان إماماً علامة، عارفاً بالفقه والتفسير والأصول والعربية والمنطق، نظاراً صالحاً متعبداً زاهداً شافعيّاً، من مصنفاته: مختصر الكشاف، المنهاج في الأصول، مختصر ابن الحاجب في الأصول، شرح المنتخب في الأصول، شرح المطالع، الإيضاح، الغاية القصوى توفي عام ٥٦٨٥ هـ بتبريز، كذا ذكره الصفدي. انظر: الداوودي، طبقات المفسرين، ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: السيد، مجدي فتحي، أبو شادي، ياسر سليمان، (القاهرة: المكتبة التوقيفية، بدون تاريخ الطبعة)، ١/٦٢١.

(٣) الألووسي، روح المعاني، ١٣ - ١٤ / ٢.

(٤) سورة القيامة، الآية: ١ - ٢.

(٥) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مادة: " النفس "، ٤ / ٢٢٢.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٩ / ٩٢ - ٩٣.

(٧) سورة الفجر، الآية: ٢٧ - ٢٨.

قطع الأفعال المذمومة والخواطر المذمومة مطلقاً، فإنه متى لم ينقطع عنها الخواطر المذمومة لا تسمى مطمئنة بل هي لوامة " (١).

ولا يمكن بلوغ النفس المطمئنة إلا بتعهد النفس اللوامة وتزكيتها عن طريق الاستجابة لكل خير.

ذكر القرطبي وصفا جميلا في النفس المطمئنة، فكتب: " لما ذكر حال من كانت همته الدنيا فاتهم الله في إغناؤه وإفقاره، ذكر حال من اطمأنت نفسه إلى الله تعالى، فسلم لأمره، واتكل عليه. وقيل: هو من قول الملائكة لأولياء الله عز وجل. والنفس المطمئنة: الساكنة الموقنة، أيقنت أن الله ربها، فأخبت لذلك. وقال ابن عباس: أي المطمئنة بثواب الله. وعنه المؤمنة. وقيل: التي عملت على يقين بما وعد الله في كتابه. وقيل: المطمئنة هنا: المخلصة. وقيل: العارفة التي لا تصبر عنه طرفة عين. وقيل: المطمئنة بذكر الله تعالى، بيانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ (٢). وقيل: المطمئنة بالإيمان، المصدقة بالبعث والثواب. وقيل: المطمئنة لأنها بشرت بالجنة عند الموت، وعند البعث، ويوم الجمع " (٣).

ومما سبق تظهر العلاقة بين النفس والقوة جلية؛ لأن الوصول إلى النفس المطمئنة يتطلب القوة والبذل، فهي مطمح كل مؤمن، والآيات الدالة على هذا كثير، منها:

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ (٤)، قال الطبري في تفسير هذه القوة: " أي بجد واجتهاد. وقال آخرون: معنى ذلك: فخذها بالطاعة لله " (٥). وأضاف الزمخشري: " ومعنى ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل " (٦).

فالنفس تحتاج إلى مجاهدة ومعاينة لتتصف بالقوة، فتقدر على مهمة الاستخلاف في الأرض،

(١) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مادة: " النفس "، ٤ / ٢٢٢.

(٢) سورة الرعد، من الآية: ٢٨.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٠ / ٥٧ - ٥٨.

(٤) سورة الأعراف، من الآية: ١٤٥.

(٥) الطبري، جامع البيان، ٦ / ٥٨.

(٦) الزمخشري، الكشاف، ٢ / ١١٦ - ١١٧.

ومحاربة الشر من داخلها، وممن حولها من شياطين الإنس والجن. ومن جهة أخرى تحتاج لمدد القوة من الله تعالى لتقوم بتحصيل الخير والتعبد إلى خالقها في كل خطوة، وفي كل عبادة، لتصير نفس مطمئنة، فالقوة كلها أولا و أخيرا هي من الله سبحانه و تعالى.

و من الآيات الدالة على تعلق النفس بالقوة، قوله تعالى: ﴿يَلِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾<sup>(١)</sup>، إذ أمر الله سبحانه ييحي بأن يأخذ الكتاب بقوة لتطمئن نفسه، وقد عبر الشوكاني عن هذا المراد بقوله: " والمراد بالأخذ: إما الأخذ الحسي أو الأخذ من حيث المعنى، وهو القيام بما فيه كما ينبغي، وذلك بتحصيل ملكة تقتضي سهولة الإقدام على الأمور به، والإحجام عن المنهي عنه، ثم أكد بقوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي بجدّ وعزيمة واجتهاد " <sup>(٢)</sup>.

---

(١) سورة مريم، من الآية: ١٢.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ٣ / ٣٢٥.

## المبحث الثاني:

### وسائل تنمية القوة النفسية

وجدت أن أساس هذه القوة النفسية تكمن أولاً في ثلاثة أمور مهمة داخل الإنسان، هو في أمس الحاجة ليتحكم بها ويسيطر عليها لتكون بالتالي قوة مسخرة له، بل ونعيماً في دنياه قبل آخرته، وهذه الأمور هي: نفسه وجهادها، وتوجيه قوة الحب بداخله، والتحكم في طاقته وتحويلها من سلبية إلى إيجابية. وبيان ذلك، مايلي:

١- جهاد النفس، لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

فجهاد المرء نفسه من أعظم أنواع الجهاد وأكملها، والمقصود: "هى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله، ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك، وخالف هواها إلى ما أمره به ربه، فإن الجنة هي مأواه ومترله يوم القيامة"<sup>(٢)</sup>.

وهو كما عرفه الجرجاني: "محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع"<sup>(٣)</sup>، وفي اللسان: "المجاهدة فطام النفس عن الشهوات ونزع القلب عن الأمان والشهوات"<sup>(٤)</sup>.

فأستخلص من ذلك إلى أن مجاهدة النفس هي: إتباع الحق على إتباع الهوى. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>، قال فيها ابن القيم: "علق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا وأفرض الجهاد جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا. فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل

(١) سورة النازعات، الآية: ٤٠ - ٤١.

(٢) الطبري، جامع البيان، ٤٨/١٥.

(٣) الجرجاني، التعريفات، مادة: "المجاهدة"، ٢٠٤.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة "جهد"، ١٣٣/٣-١٣٥.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

من الجهاد، قال جنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطنا، فمن نصر عليها نصر على عدوه، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه" (١).

أما كيفية المجاهدة: إنما تكون بمنع النفس عن المعاصي، والصبر على الشعائر التعبدية حتى يذوق فيها الحلاوة، ومصاحبة الأخيار من الناس، الذين يستمرون في مجاهدة أنفسهم وأهوائهم، فإن لم يجد، فبالرجوع إلى سير السابقين الأوائل والنظر في مجاهدتهم وأحوالهم، قال تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (٢).

وأيضاً من طرق المجاهدة: التذكير والتذكر.

فأما التذكير: فهو تذكير النفس الدائم، بثواب وخير الآخرة، وعاقبة إتباع الهوى في الدنيا والآخرة، ومن ذلك تدبر آيات القرآن الكريم، لنتار المشاعر وتتحرك بعيداً عن الغفلة أو جمود المشاعر، وتوقف المهمة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ تَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٤). وقال سبحانه: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥). فهو تذكير متعلق بتصور العاقبة الحاصلة في حال المستقبل.

(١) ابن القيم، الفوائد، ٥٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٣٧.

(٤) سورة الشورى، الآية: ١٥.

(٥) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

وأما التذكر: فهو تذكر لما مضى من العلوم والمعارف الواقعة في القلب والنفس<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن أساليب المجاهدة كذلك: كف النفس عن التمتع بكثرة الشهوات المباحة، ولذات الحياة الدنيا؛ مخافة أن يعتاد على الإكثار فيألفه ويفضي به إلى البطر وغيره، أو يجره إلى الشبهات، فلا يأمن الوقوع في المحرم من المتع والملذات، أو يتعلق بها؛ لأن تعلق النفس بشيء من العاجلة يخفف من تعلقه وشوقه إلى الآجلة، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾<sup>(٤)</sup> وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٨﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٤﴾، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾<sup>(٥)</sup>.

قوة الحب، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أُنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾<sup>(٦)</sup>.

وإن في الحب نماء للقوة في الإنسان، هذا إن لم يكن أصل القوة في النفس البشرية وسبب الحياة، فذكر القوة متبوعة بالحب، دليلاً على الصلة الوثيقة بينهما، فالحب: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ دليل قوة وصدق على إيمانهم، فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هي صلة الحب والانقياد التي لا تنقطع، وذكر القوة: ﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ هي تأكيد لعظم وقوة المحبة إذ أنها تقرر نهاية أفعال العالمين وتؤثر في عبادة الإنسان لله، أو اتخاذ غيره استحواذاً بهذه

(١) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ١ / ٤٤١.

(٢) سورة ق، الآية: ١٨.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ١٨ - ٢٠.

(٥) سورة محمد، الآية: ١٤.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

القوة ( قوة الحب ) عندما لا تكون هداية بل ضلال.

فالحب هو ميل النفس للمحجوب وموالاته، وله درجات ومقامات كثيرة تفضي كلها إلى العبودية الحققة: قمة الذل مع قمة المحبة لله تعالى. حيث هي قوة الحب الأساسية في هذا الكون الفسيح، والتي هي مصدر كل محبة أخرى صادرة في النفس، سواء كانت محبة الذات، أو محبة الخلق.

ويؤكد ( قوة الحب ) قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا ۗ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِعَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ ﴾<sup>(١)</sup>، فذكرت أيضا القوة مع الحب، وفصلت الآية أن سبب كفرهم كان لامتلاء قلوبهم بمحبة العجل، وانتقى لقوة الحب التي تملكتهم لفظ (الإشراب) <sup>(٢)</sup> ليكون أكثر دلالة ودقة في وصف الحب الذي تخللهم لفرط شغفهم بالعجل. فجميع الآيات التي تتحدث عن القوة ترتبط ارتباطا وثيقا بالحب حيث يظهر ذلك جليا بلفظ ( الحب )، لقوله تعالى: ﴿ تَحِبُّهُمْ وَتُحِبُّونَهُمْ ۗ ﴾<sup>(٣)</sup>، أو خفيا في معنى أو تفسير الآية أو في تطبيق المراد أو الفعل.

فكيف تكون تنمية قوة الحب لتقوى بالتالي الأنفس تتشرب بأعظم حب وهو حب الله عز وجل؟ في تتبع آيات المحبة وسردها، حيث ستتجلى بشكل واضح طرق الوصول إلى هذه المحبة القوية، وفي نفس الوقت سيزداد اليقين بالارتباط الدائم بين الحب والقوة، والطريق الموصل لهما، كالتالي:

(١) سورة البقرة، الآية: ٩٣.

(٢) ذكر المفسرون في معنى ( الإشراب ) أربعة أقوال: الأول: أنه داخلهم حب العجل، ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما داخل الصبغ الثوب. رجحه الطبري وبه قال الدامغاني، الثاني: من أشربت البعير: إذا شددت في عنقه حبلا، كأن العجل شد في قلوبهم لشغفهم به. الثالث: من الشراب: ومن عادتهم أنهم إذا عبروا من مخامرة حب أو بغض؛ استعاروا له اسم الشراب إذ هو أبلغ منساع في البدن، الرابع: وذكره ابن حيان: أن الذين تبين لهم حب العجل أصابهم من ذلك الماء الجبن، وقال القرطبي عن القشيري: ما شربه أحد إلا جن. انظر: الطبري، جامع البيان، ١/٤٢٢-٤٢٣.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٥٤.



أولاً: قوة الإيمان، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾<sup>(١)</sup> قال الرازي: " في بيان أن الذين آمنوا هم أشد حبا لله، أما المتكلمون فقالوا: إن حبههم لله يكون من وجهين. أحدهما: أنه ما يصدر منهم من التعظيم، والمدح، والثناء والعبادة خالصة عن الشرك وعملا لا ينبغي من الاعتقاد ومحبة غيرهم ليست كذلك. والثاني: أن حبههم لله اقترن به الرجاء والثواب والرغبة في عظيم منزلته والخوف من العقاب والأخذ في طريق التخلص منه، ومن يعبد الله ويعظمه على هذا الحد تكون محبته لله أشد، وأما العارفون فقالوا: المؤمنون هم الذين عرفوا الله بقدر الطاقة البشرية، وقد دللنا على أن الحب من لوازم العرفان فكلما كان عرفانهم أتم وجب أن تكون محبتهم أشد " <sup>(٢)</sup>.

ثانياً: محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، فعلامة قوة الحب لله محبة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، ذكره القرطبي، فقال: "علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم، وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة، وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبي وحب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه، وعلامة حب نفسه أن يبغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلا الزاد والبُلغة"<sup>(٤)</sup>.

وهو كلام رائع، يوضح لكل إنسان كيف يقيس حبه، ودرجته، وأين هو منه !  
كما وضع البيضاوي حقيقة هذه المحبة فقال: " المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدركته فيه، بحيث يحملها على ما يقربها إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا الله، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو غيره فهو من الله وباللهم وإلى الله لم يكن حبه إلا الله وفي الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه، فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمه لإتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته. ﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جواب للأمر أي يرضَ عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويوئلكم

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٦٥.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢/٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) القرطبي، الجامع، ٤/٦٠ - ٦١.

في جوار قدسه، عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة أو المقابلة. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تحب إليه بطاعته وإتباع نبيه صلى الله عليه وسلم " (١).

و أضاف السعدي: " وهذه الآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى، بل لا بد من الصدق فيها، وعلامة الصدق إتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له إتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من إتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص " (٢).

**ثالثا: التقرب إلى الله بالنوافل**، لقول الله عز وجل في الحديث القدسي: ( وما زال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبته فكنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ) (٣).

فالتقرب إلى الله بالنوافل وسيلة لنيل حب الله عز وجل.

**رابعا: الإحسان** (٤)، لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥).

ويدخل فيها الإحسان بكل أنواعه، من الإنفاق في سبيل الله، وعدم إلقاء النفس إلى التهلكة، قال السعدي: " ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعا من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموما

(١) البيضاوي، أنوار التنزيل، ٢٠٠/١.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١١٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث ٦٥٠٢، رقم الصفحة: ١١٢٧.

(٤) تم الحديث عن " الإحسان " بشكل أوسع في الباب الثاني: تنمية القوة عند الفرد المسلم، الفصل الأول: تنمية القوة الروحية، ص ٤٩ - ٥٣.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ١٩٥.

فقال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيد به بشيء دون شيء، فيدخل فيه الإحسان بالمال. ويدخل فيه الإحسان بالجاه، بالشفاعات ونحو ذلك، ويدخل في ذلك الإحسان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس، من تفريج كرباتهم وإزالة شداتهم، وعيادة مرضاهم، وتشجيع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملاً والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك مما هو من الإحسان الذي أمر الله به، ويدخل في الإحسان أيضاً، الإحسان في عبادة الله تعالى، وهو كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: ( أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك )<sup>(١)</sup> " (٢).

خامساً: التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فالتقوى هي: " العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله " (٤)، وعرفها الجرجاني بقوله: " هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك " (٥).

وقد ذكر القاضي أبو السعود في تفسيره، أن للتقوى ثلاث مراتب:

" الأولى: التوقي عن العذاب المخلد بالتبرؤ عن الكفر، وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾<sup>(٦)</sup>. الثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم، وهو المتعارف بالتقوى في الشرع، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا﴾<sup>(٧)</sup>

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث ٥٠، رقم الصفحة: ١٢. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام وإحسانه ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث ٩، رقم الصفحة: ٢٣.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٧٩.

(٣) سورة التوبة، من الآية: ٤.

(٤) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م)، ٦١/١.

(٥) الجرجاني، التعريفات، مادة " تقوى "، ٦٥.

(٦) سورة الفتح، من الآية: ٢٦.

(١) الثالثة: أن يتزهر عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل، ويتبتل إليه بكليته، وهي التقوى الحقيقية المأمور بها في قوله تعالى: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ (٢). ونجد هذه المراتب مجتمعة في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) " (٤).

ولا يدل ذلك إلا على شرف وعظم التقوى في قلب المؤمن، التي متى كان الوصول لأعلى مراتبها، قوة متنامية للنفس الإنسانية.

سادسا: التوبة والتطهر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٥). فالتوبة هي العودة لله تعالى والتوجه إليه بقلب ذليل منكسر خاشع تائب من الذنب الذي اقترفته يده عازم على عدم الرجوع إليه، وفي تفسير الآية السابقة: " الله يحب التوابين من الذنوب، ويجب المتطهرين بالماء للصلاة " (٦).

وأضاف السعدي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ " أي من ذنوبهم على الدوام ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ أي: المتزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث. ففيه مشروعية الطهارة مطلقا، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة مطلقا شرطا لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة " (٧).

والله عز وجل يفرح بتوبة العبد، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ( لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجلٍ في أرضٍ دويةٍ مهلكةٍ. معه راحلته عليها طعامه وشرابه. فنام فاستيقظ وقد

(١) سورة الأعراف، من الآية: ٩٦.

(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

(٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٤٨/١.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٢.

(٦) الطبري، جامع البيان، ٣٩٠/٢.

(٧) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٩١.

ذهبت. فطلبها حتى أدركه العطش. ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه. فأنام حتى أموت. فوضع رأسه على ساعده ليموت. فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاد طعمه وشرابه. فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده. وفي رواية: من رجل بداوية من الأرض. وفي رواية: لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن (١)، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٢).

سابعا: الصبر، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِيشُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣). قال الطبري: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ " والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته، وطاعة رسوله، في جهاد عدوه، لا من فشل ففر عن عدوه، ولا من انقلب على عقبيه فذلَّ لعدوه لأن قتل نبيه أو مات، ولا من دخله وهن عن عدوه وضعف لفقد نبيه " (٤). وأضاف الرازي: " والمعنى أن من صبر على تحمل الشدائد في طريق الله ولم يظهر الجزع والعجز والهلوع فإن الله يحبه، ومحبة الله تعالى للعبد عبارة عن إرادته إكرامه وإعزازه وتعظيمه، والحكم له بالثواب والجنة، وذلك نهاية المطلوب " (٥).

فالصبر نصف الإيمان وهو خلق لازم إلى آخر الحياة، وهو الفضيلة التي جمعت أمور كثيرة لم تُجمع في غيره، فليصبر الإنسان إذا محتسب الأجر عند الله، مفوض الأمر كله لله عز وجل، حيث تسمو النفس وتزداد قوة فيحصل لها الطمأنينة، عليها تكون من المنادى لهم: ﴿ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ (٦).

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، الراوي: الحارث بن سويد، رقم الحديث: ٢٧٤٤، رقم الصفحة: ١٤٦٨.

(٢) سورة النور، من الآية: ٣١.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٤٦.

(٤) الطبري، جامع البيان، ١١٩/٣.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٨/٥.

(٦) سورة الفجر، الآية: ٢٨.

ثامنا: القسط، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَافَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١).

قال الطبري: " العدل هو الاستقامة على الحق، والقسط، وقوله ﴿ وَأَقْسِطُوا ﴾ أي: واعدلوا أيها المؤمنون في حكمكم بين من حكمتم بينهم بأن لا تتجاوزوا في أحكامكم حكم الله وحكم رسوله،

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ يقول: إن الله يحبّ العادلين في أحكامهم، القاضين بين خلقه بالقسط " (٢).

وأضاف السعدي: " ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها، حتى إنه قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله، وعياله، في أدائه حقوقهم " (٣).

فانظر إلى هذا الطريق المؤدي إلى قوة الحب لله، وصلاح في النفس والمعاملات، بل طالما كان العدل هو ميزان قيام وسقوط الحضارات، فلنسعى إلى قوة الحب بتطبيق القسط.

تاسعا: الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين، قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) تدل الآية على طرق تنمية قوة الحب لله عز وجل بوصف علاماتهم وصفاتهم، " فيخبر الله تعالى أنه الغني عن العالمين، وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئا، وإنما يضر نفسه. وأن لله عبادا مخلصين، ورجالا صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم، ووعد بالإتيان بهم، وأهم أكمل الخلق أوصافا، وأقواهم نفوسا، وأحسنهم أخلاقا.

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٢) الطبري، جامع البيان، ١٣/١٣٠.

(٣) السعدي، تيسير الكريم المنان، ٨٧٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

أجل صفاتهم أن الله ﴿سُحِبْتُمْ وَمُحِبُّونَهُ﴾ فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووقفه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد.

ومن صفاتهم أنهم: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورافقتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله أعزة، قد اجتمعت همهم وعزائمهم على معادتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم" (١).

فكانت سبيل قوي للمؤمن لينال محبة الله تعالى.

عاشرا: **الجاهدة في سبيل الله**، لقوله تعالى: ﴿تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وتذكر الآية أن من صفاتهم أيضا أنهم يجاهدون في سبيل الله " بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم" (٢)، وهذا مما يجلب المحبة لهم.

الحادية عشر: **لا يخافون لومة لائم**، كما وضحت الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ أي: "بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة همهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين، وتفتر قوته عند عدل العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم" (٣).

فاملاً أيها المسلم نفسك بقوة الحب، وتخلق بصفات من يحبهم الله سبحانه، عله يكتب لك القبول في الأرض فتنال كل الخير، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ( إن الله إذا أحب عبداً

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٢٣١.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٢٣١.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٢٣١.

دعا جبريل فقال: إني أحب فلان فأحبه. قال فيحبه جبريل. ثم ينادى في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه. فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض (١).

٢- قوة الطاقة الإيجابية، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

أوضح بداية أن الطاقة عبارة عن ذرات مكونة من نيوترونات والكترونات، فالكون كله طاقة، والطاقة متعلقة بنفسية الإنسان الصحية، فمتى ازدادت ايجابية بالتعب والتعظيم لله، أصبحت نورا للمسلم، فالطاقة في حالة المؤمن هي نور له.

قال السعدي في هذه الآية: " يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضياءه، ويتمتعون بروحه وراحته، ويسألون الله أن يتم لهم نورهم فيستجيب الله دعوتهم، ويوصلهم ما معهم من النور واليقين، إلى جنات النعيم، وجوار الرب الكريم" (٣).

ومما يدل على أن النور المذكور هو الطاقة الإيجابية الإيمانية المكتسبة في الدنيا، قوله تعالى للمنافقين: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (٤)، لذا أدرجت هذه النقطة كخطوة نحو تنمية القوة النفسية، ولكن قبل تنمية الطاقة الإيجابية في النفس الإنسانية لا بد أولاً من تخلص النفس من الطاقة السلبية، من باب التخلية قبل التحلية.

فوجدت أن من طرق التخلص من هذه الطاقة السلبية:

أولاً: كثرة الاستغفار، لقوله تعالى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٥). ولنا في رسول الله أسوة حسنة في كثرة الاستغفار وهو أعظم الخلق وأغناهم عن ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حبه إلى عباده، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث:

٢٦٣٧، رقم الصفحة: ١٤١٧.

(٢) سورة التحريم، من الآية: ٨.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٩٥٧.

(٤) سورة الحديد، من الآية: ١٣.

(٥) سورة النمل، من الآية: ٤٦.



مرة<sup>(١)</sup>.

استغفر الله بكامل وعيك وخضوعك واعترافك لله تعالى ومع كل شهيق وزفير استشعر بأن الاستغفار يخرج من جسدك الطاقة السلبية. وهذا يعتبر من التطهر ﴿ إِنَّ اللَّهَ تُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: الوضوء، لقوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾<sup>(٣)</sup>.  
يعتبر الوضوء أيضاً من طرق التخلص من الطاقة السلبية الوضوء؛ لأنه يخرج الذنوب من الجسد، والذنوب طاقة سلبية محتزنة في الجسم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إذا توضأ العبد المسلم ( أو المؤمن ) فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء ( أو مع آخر قطر الماء ) فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يده مع الماء ( أو مع آخر قطر الماء ) فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء ( أو مع آخر قطر الماء ) حتى يخرج نقياً من الذنوب )<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: الصلاة، قال تعالى: ﴿ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

لما كان الأمر للغضب بأن يعيّر من وضعيته الجسدية أو يتوضأ ليهدأ ويذهب غضبه، كان الأمر بالصلاة لتغيير طاقة الإنسان السلبية إلى إيجابية، أو لتجديدها، فتكون كفاصل زمني منقطع عن شواغل الأفكار الدنيوية والتركيز في شيء آخر وأخذ وضعية أخرى في حركات الصلاة الجسدية

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم واللييلة، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث: ٦٣٠٧، رقم الصفحة: ١٠٩٧.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٢.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خروج الخطايا مع ماء الوضوء، الراوي: أبي هريرة، رقم الحديث ٢٤٤، رقم الصفحة: ١٤٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

والقوليه، فيذكر الله ويركز على آيات الله، فتتحول طاقته السلبية إلى إيجابية على قدر درجة خشوعه في الصلاة، وتزيد طاقته الإيجابية أكثر مما كان، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ( يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها )<sup>(١)</sup>، دليل على الطاقة الإيجابية التي تقوى في الجسد بالصلاة، وتريح بالتالي نفسية المؤمن.

ومما يزيد الطاقة الإيجابية إلى أقصى حدودها في الصلاة، السجود، ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: ( أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء )<sup>(٢)</sup>، فكان حريا في هذا الموضوع زيادة الطاقة الإيجابية إلى منتهاها.

ومن أسباب العلة لذكر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، هو اكتساب النفس الطاقة الإيجابية العالية أثناء الصلاة مما يؤدي إلى أن تنهى وتزجر الطاقة السلبية في المنكر والفحشاء.

رابعا: العفو، لقوله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> فالعفو عن الآخرين قوة إيجابية للنفس وتخلص قوي من الطاقة السلبية المخزنة في الجسد طوال فترة المخاصمة والكظم، فجعله سبحانه وتعالى من الإحسان. وقال تعالى: ﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله الحق: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال الشوكاني: " ﴿ وَلْيَعْفُوا ﴾ عن ذنبهم الذي أذنبوه عليهم، وجنابتهم التي اقترفوها، من عفا الربع، أي: درس، والمراد محو الذنب حتى يعفو كما يعفو أثر الربع ﴿ وَلْيَصْفَحُوا ﴾ بالإغضاء عن الجاني، والإغماض عن جنابته " <sup>(٦)</sup>. وأكده الألويسي: " ﴿ وَلْيَعْفُوا ﴾ ما فرط

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، الراوي: سالم بن أبي الجعد، حديث صحيح، رقم الحديث: ٤٩٨٥، رقم الصفحة: ٧٥٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، الراوي: أبي هريرة، رقم الحديث: ٤٨٢، رقم الصفحة: ٢٥٠.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٣٤.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٧.

(٥) سورة النور، من الآية: ٢٢.

(٦) الشوكاني، فتح القدير، ١٧/٤.

منهم ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ بالإغضاء عنه " (١).

فدل على أن (العفو) مخصوص بالنفس من الداخل حيث تتعافى الطاقة ذاتها وتتحول من سلبية إلى إيجابية، فقدم العفو وآخر الصفح، وليؤكد أن (الصفح) متعلق بالآخر.

أما من طرق تنمية الطاقة الإيجابية:

خامسا: إخلاص النية لله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (٢).

تحدثت سابقا عن النية وتعلقها بالإرادة، وهنا لا يتعد الحديث كثيرا، بل يتحدد بالنية أصلها وذاتها وتوجيهها، إذ إن تحديد النية هو تحديد واختيار للطاقة في داخلنا إيجابية أو سلبية، فكل شيء في الحياة تسبقه نية، فكان لزاما التعمق والتفصيل فيها، فكل ما يحدث لنا في واقعنا المادي هو انعكاس لنية أنشئت في العالم الطاقوي، ومن منظور مكمل لشرح حديث النية: (إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى) (٣)، وحديث: (كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة، فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض، فقال: (ما منكم من أحد، إلا وقد كتبت مقعده من النار ومقعده من الجنة). قالوا: يا رسول الله، أفلا تتكىل على كتابنا وندع العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أمّا من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأمّا من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٤) ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ (٥).

فعندما ينوي الشخص تحقيق أمر ما، فإنه بالنية يجذب ما في عالم الطاقة "العالم الغيبي" ولو سعى وأخذ بأسباب السعي التي يملكها، فسيظهر المراد في العالم المادي، كنتيجة طبيعية، وهو المكتوب، ولكن الأخذ بالأسباب يجعلك تستحقه. والدليل على ذلك، حديث حق التوكل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير،

(١) الألوسي، روح المعاني، ١٧ - ١٨ / ١٢٥.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان قدر ثواب من غزا فغزم ومن لم يغزم، الراوي: عمر بن الخطاب، رقم الحديث: ١٩٠٧، رقم الصفحة: ١٠٥٦ - ١٠٥٧.

(٤) سورة الليل، الآية: ٥ - ٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: (فسنيسره للعسرى)، الراوي: علي رضي الله عنه، رقم الحديث: ٤٩٤٩، رقم الصفحة: ٨٨٥.

تغدو خماساً، وتروحُ بطاناً) (١).

سادساً: الإيمان بالقدر خيره وشره، وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

فالإيمان بالقدر خيره وشره، ركن من أركان الإيمان التي من الواجب حصولها، وطاقة إيجابية تملأ المسلم عند كل حدث من أحداث الحياة، فيمضي بثقة وإيجابية، متيقن من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ( لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار) (٣).

ووصفهم الله عز وجل في كتابه، فقال: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٤) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (٤). و قال رسول الله عليه الصلاة والسلام توضيحا لكل حياة المؤمن: ( عجباً لأمر المؤمن. إن أمره كله خيرٌ. وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن. إن أصابته سراءٌ شكر، فكان خيراً له. وإن أصابته ضراءٌ صبر، فكان خيراً له) (٥)، وخيراً له لأنه يحافظ على الطاقة الإيجابية بداخله.

سابعاً: حسن الظن بالله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٦).

وأيضاً من الآيات التي تفيد في حسن الظن بالله، قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ

(١) جامع الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في التوكل على الله، الراوي: عمر بن الخطاب، حديث صحيح، رقم الحديث: ٢٣٤٤، رقم الصفحة: ٥٣٦. الترمذي، محمد ابن عيسى، جامع الترمذي، ط (الرياض: دار السلام، ١٤٢٠-١٩٩٩ م).

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٢١٦.

(٣) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، حديث صحيح، رقم الحديث: ٤٦٩٩، رقم الصفحة: ٧١٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٦ - ١٥٧.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير، الراوي: صهيب الرومي، رقم الحديث: ٢٩٩٩، رقم الصفحة: ١٥٩٨.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

رَبُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ  
 الصَّابِرِينَ ﴿١﴾، وقوله الحق: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا  
 مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى  
 نَصُرُ اللَّهَ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢) .

وهو من أقوى الطرق المنمية للطاقة الإيجابية، وفي الحديث القدسي، قال النبي صلى الله عليه  
 وسلم عن ربه: ( قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي. وأنا معه حيث يذكرني ) (٣).

وحسن الظن بالله يجعل المسلم يتفكر في: الابتلاء! حيث قول النبي صلى الله عليه وسلم: ( إن  
 عظم الجزاء مع عظم البلاء، والصبر عند الصدمة الأولى، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن  
 رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط ) (٤)، والفهم الدارج للحديث أن المؤمن مخصوص  
 بالابتلاء وهو دليل محبة، ولو تعمق الإنسان المسلم، لوجد أن الحياة الدنيا كلها دار ابتلاء، فكل  
 البشر مبتلون، والخصوصية في الحديث، هي خصوصية إيجاب، فليس الابتلاء للإنسان المسلم إلا  
 اختبار، إما أن يكون بكثرة المال، أو الولد، أو الصحة أو المرض، أو الفقر أو الرخاء، ولو اختار  
 المسلم الطاقة الإيجابية ورضي فله الرضى ولو سخط كان له السخط، فتكملة محبة الله للعبد بعد  
 البلاء ونجاح العبد باختيار الطاقة الإيجابية والتسليم لله، قوله الحق: ( وما زال عبدي يتقرب إلى  
 بالنوافل حتى أحبته فكنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها،  
 ورجله التي يمشي بها ) (٥).

وفي البلاء أيضا، يكمن التمني، لأنه يعتبر من الدعاء الذي يحاسب عليه الإنسان، وتجري فيه  
 الطاقة الإيجابية أو السلبية التي تؤثر على نفسية الإنسان، لذا ذكر في الحديث: ( إذا تمنى أحدكم

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٤ .

(٣) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في الحظ على التوبة والفرح بها، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث: ٢٦٧٥، رقم  
 الصفحة: ١٤٦٧.

(٤) البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، باب في الصبر على المصائب وعمما تترع النفس إليه من لذة وشهوة، فصل في أي الناس  
 أشد بلاء، الراوي: أنس بن مالك، رقم الحديث: ٩٣٢٥، رقم الصفحة: ٢٣٥، إسناده: حسن.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع، الراوي: أبي هريرة، رقم الحديث ٦٥٠٢، رقم الصفحة: ١١٢٧.

فليُنظر ما يتمناه فإنه لا يدري ما يكتب له من أمنيته (١)، فرمما تكون الاستجابة لأمنيته بلاء له من حيث لا يدري.

وأيضاً من حسن الظن: التفاؤل، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفأل، ومصدق ذلك، الحث عليه في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (٣). فطاقة الإنسان الإيجابية تجذب إليه بالإيجاب بفضل الله كل ما في الأرض لخدمته، فهي مسخرة له، قال عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٢﴾ ﴾ (٥) " (٦).

ثامناً: قراءة القرآن وقراءة سورة الكهف في يوم الجمعة، من أسباب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، هي تنمية الطاقة الإيجابية، فمن ينوي عند قراءتها بأن ينوره الله، يشحن بطاقة نورانية هائلة، وقد ذكر في الحديث، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ( من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين ) (٧)، فهو دليل قوة الطاقة الإيجابية بقراءة سورة الكهف الكهف كل يوم جمعة.

و قراءة القرآن عامة في كل سوره و حروفه تزود الإنسان بالطاقة، لأنه روح، لقوله تعالى: ﴿

(١) البيهقي، الجامع لشعب الإيمان، باب معالجة كل ذنب بالتوبة ( منه )، فصل في محقرات الذنوب، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث: ٦٨٨٩، رقم الصفحة: ٤١٠، إسناده: حسن. وأخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد، كتاب الأدعية، باب فيما يتمناه العبد، الراوي: أبو هريرة، ١٠/١٥١، وقال: رواه أحمد وأبو يعلى وإسناد أحمد رجاله رجال الصحيح.

(٢) سورة لقمان، من الآية: ٢٠.

(٣) سورة الجاثية، من الآية: ١٣.

(٤) سورة الفتح، من الآية: ٤.

(٥) سورة الشرح، الآية: ٥ - ٦.

(٦) الطبري، جامع البيان، ١٥/٢٣٥.

(٧) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، کتاب: التفسیر، باب: تفسیر سورة الكهف، رقم الحديث: ٣٣٩٢، رقم الصفحة: ٣٩٩، أخرجه الحاكم مرفوعاً، وعلق الأستاذ الدكتور فاروق حمادة فقال: وهو حديث حسن، وإن كان فيه نعيم بن حمادة عنده مناكير، فله شواهد ومؤيدات، وقال في التلخيص: نعيم ذو مناكير، وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير. حماده، فاروق، الصحيح في فضائل القرآن وسوره وآياته، ط١ (دمشق: دار القلم، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ٢١٥.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۗ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا ۗ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١﴾

قال ابن كثير: ﴿رُوحًا﴾ أي القرآن <sup>(٢)</sup>، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿آلم﴾ حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ) <sup>(٣)</sup> فهذا دليل على الطاقة الإيمانية والروحانية المكتسبة من كل حرف في القرآن وإنما الإيمان بكل ما فيه من عبادات و تشريعات هو طاقة إيجابية متدفقة للإنسان.

تاسعا: أذكار الصباح والمساء، قال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ <sup>(٤)</sup>.

المحافظة على أذكار الصباح والمساء تكسبك طاقة إيجابية لأنك تدخل في حماية الله ورعايته طوال الوقت، وهذه قمة القوة النفسية، والخطير أنه إذا لم ندخل أنفسنا في نطاق رعاية الله وحفظه بالأذكار سنكون من ضمن نية الآخرين، إذا قرروا مثلا أن يؤذوننا، أو مثلا الإصابة بالعين والحسد وغيره.

لأن قول الأذكار طاقة إيجابية أقوى من الطاقة السلبية الناتجة من الآخرين اتجاهنا سواء من فعل أو شرور أو حسد. وأيضا لا يحصل ذلك إلا بإذن الله. وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهُ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٥١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ <sup>(٥)</sup>.

وذكر الله كله طاقة إيجابية متولدة باستمرار داخل الجسد، ومن الذكر أيضا الدعاء، وخصوصا الدعاء بالبركة، طاقة إيجابية، والقرآن الكريم ذكر الدعاء بالبركة في مواضع عدة، منها قوله

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٦٧٥.

(٣) جامع الترمذي، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في من قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر، الراوي: عبد الله بن مسعود، حديث صحيح، رقم الحديث: ٢٩١٠، رقم الصفحة: ٦٥٤.

(٤) سورة الأحزاب، من الآية: ٣٥.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤١ - ٤٢.

تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾<sup>(١)</sup>. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بالبركة، ومثال ذلك دعائه عليه السلام للمدينة بالبركة في قوله: ( اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة )<sup>(٢)</sup>، فدل على أن البركة طاقة إيجابية تذهب الطاقة السلبية.

ومن ذلك أيضا الذكر عند الأكل بالتسمية، ليكون بعدها هنيئا مريئا للإنسان، ومنه التسمية عند الذبح أيضا، فكانت التسمية عند الذبح واجب شرعي، لأنها طاقة إيجابية، قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾<sup>(٤)</sup>.

عاشرا: ساعات الليل الأخيرة وساعات الصباح الأولى، ففي هذه الساعات الطاقة الإيجابية تكون في أوج قوتها وعلوها، لذا كانت الأعمال والعبادات في هذا الوقت قوية وذات تركيز عالي لعلو الطاقة الإيجابية وأجرها عظيم، بل تعادل حجة أو عمرة تامة، والآيات والأحاديث الدالة على طاقة هذه الفترة والحث على استغلالها كثيرة، منها، قوله تعالى: ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾<sup>(٦)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم ( يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ )<sup>(٧)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم: ( من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس،

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها وبيان حدود حرمة، الراوي: أبي هريرة، رقم الحديث: ١٣٧٣، رقم الصفحة: ٧١٣.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٨.

(٤) سورة الأنعام، من الآية: ١٢١.

(٥) سورة النازيات، الآية: ١٨.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٧) صحيح البخاري، كتاب: التهجد، باب: إذا الدعاء والصلاة من آخر الليل، الراوي: أبو هريرة، رقم الحديث: ١١٤٥، رقم الصفحة: ١٨٣.



الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له أجر حجة وعمرة تامة، تامة، تامة (١).  
وقد أقسم الله بالفجر في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (٢) " فأقسم تعالى بالفجر، الذي هو  
آخر الليل ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله  
تعالى، وأنه وحده المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة  
معظمة، يحسن أن يقسم الله بها " (٣).

كما أن وقت الفجر وساعات الصباح الأولى هي وقت توزيع الأرزاق، وقيل: البركة في البكور  
أيضا، وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ( لو يعلم الناس ما في النداء الأول  
والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا  
إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا ) (٤)، وكلها طاقات إيجابية مضاعفة،  
يحسن كسبها وعدم إضاعتها ليكون المسلم بكل جدارة صاحب نفسية صحية متنامية القوة بإذن  
الله تعالى.

---

(١) جامع الترمذي، أبواب السفر، باب ما ذكر مما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس،  
الراوي: أنس بن مالك، حديث صحيح، رقم الحديث: ٥٨٦، رقم الصفحة: ١٥٣.  
(٢) سورة الفجر، الآية: ١.  
(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٠٠٩.  
(٤) البخاري، كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، الراوي: أبي هريرة، رقم الحديث: ٦١٥، رقم الصفحة: ١٠٢.

## الفصل الرابع: تنمية القوة الفكرية

وفيه مبحثان

المبحث الأول: الفكر وعلاقته بالقوة

المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الفكرية

## المبحث الأول: الفكر وعلاقته بالقوة

لما كان الفكر مادة العقل، حيث العقل هو أشرف أجزاء الإنسان، كانت منزلته عظيمة ومتفردة عن غيره من الكائنات، إذ العقل بكله قوة للإنسان.

فالفكر هو: " إعمال الخاطر في الشيء. فَكَرَ في الشيء وأفكر وتفكر بمعنى " (١). وعبارة ابن فارس: " تردد القلب في الشيء " (٢).

وفي المعجم الاشتقاقي: " هو ترتيب المعاني الذهنية الجزئية وتقليبها للوصول إلى ما تؤدي إليه، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣)، فهو صلى الله عليه وسلم يبين ثم على الناس أن يتفكروا. ودائرة التفكير هنا مطلقة فهي أوسع، فكأن التفكير هدف مستقل ولا عجب فهو خاصة الإنسان التي بها كُرم " (٤).

قال الراغب: " الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكير: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ويستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها، طلبا للوصول إلى حقيقتها " (٥).

أصل هنا إلى تعريف شامل للفكر والتفكير، فأقول: هو تصرف القلب والعقل ومعاودتهما في النظر للدلائل، بغية الحصول على المعرفة، أو الحق، أو الفهم الصحيح للأمور وكيفيةها، أو اكتساب الحكمة، على حسب قدرة العقل البشري، وتختلف هذه القدرة من شخص إلى آخر.

وقد حث القرآن الكريم على تنمية قوة التفكير وإعمال العقل في آيات كثيرة، إن لم تكن جميع الآيات بتركيبها ومقاصدها. منها قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: " فكر "، ٦٥/٥.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: " فكر "، ٤٤٦/٤.

(٣) سورة النحل، من الآية: ٤٤.

(٤) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مادة: " فكر "، ١٧٤٥/٣.

(٥) الأصفهاني، المفردات، مادة: " فكر "، ٦٤٣.

مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ (١)، " فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمة المباركات، وهن أول رحمة رحم الله عز وجل بها العباد، وأول نعمة أنعم الله عز وجل بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقه، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البشرية آدم على الملائكة " (٢).

وقد ورد العقل في القرآن بالصيغ المتقدمة، ليدل على أن (العقل) يعني: العلم والمعرفة والفهم، مثل قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تَحَرَّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤).

وورد في مواضع أخرى من القرآن فعلا، يكون إما بمعنى الفهم والإدراك والعلم، وإما بمعنى التمييز بين الخير والشر، وإمساك النفس عن الأمور القبيحة، مثل قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥).

ومما سبق يتضح أن العقل في القرآن ليس عقلا نظريا مجردا، بل هو العقل العملي الذي يدفع صاحبه إلى فعل الخير والكف عن الشر، فلا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل هما معا، ولهذا قال أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٦). (٧)

فالفكر هو أساس القوة بنظر الباحث؛ لأنه مرتبط بالعقل الذي كرم به الإنسان دون غيره، وأيضا لأن ذلك العقل يعطي الإنسان ميزة أن يكون محيرا وليس مسيرا كغيره من الكائنات،

(١) سورة العلق، الآية: ١ - ٥.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٠١١.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٧٥.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٦) سورة الملك، الآية: ١٠.

(٧) انظر: عبيدات، عبد الكريم نوفان، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ط ١ )

الأردن: دار النفائس، ٥١٤٢٠ - ٢٠٠٠ م)، ٢٦ - ٢٧.

وأخيرا أن الإنسان بقوة الفكر يستطيع أن يغير أُمم ومجتمعات لا يستطيع تغييرها بأي قوة أخرى  
مغايرة.

## المبحث الثاني:

### وسائل تنمية القوة الفكرية

١ - قوة الغاية، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(١)</sup>.

من وسائل تنمية القوة الفكرية بمنهج القرآن الكريم، تحديد الغاية ووضوحها، وفي ذلك حفظ للعقل من تخبطه وانحرافه في مسائل تتخطى امكانياته وتركيبه، مثل محاولة نفاذ غير المسلمين إلى المعرفة المطلقة والبحث في الغيبات، مما يشتت العقل ويتخبط به حبط عشواء، على غير هدى ولا بصيرة. إذ العقل محدود، ذلك لأنه مرتبط ببيئة محددة، فقصوره عن الإحاطة والشمول بكل القضايا من جميع جوانبها، وفي كل زمان ومكان لا يؤهله أن يكون وحده مرجعاً، فهو يحتاج إلى وحي السماء ليهتدي إلى الحقيقة المطلقة، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

لذا وجه الوحي العقل الإسلامي، ليعمل ضمن إطار مشيد بالأصول والثوابت. ومن ثم فإنه حين يعالج الأفكار لا يبحث عن مكوناتها الذاتية، ولا يحاول الكشف عما هو جوهرى فيها، بل يبحث في كل فكرة عن مكانها وموقعها في منظومة ( القيم ) التي يتخذها العقل المسلم مرجعاً له ومرتكزاً؛ لأنه محدود في مهمته وفي طريقة تفكيره، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَنَفُلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالوحي يحدد معالم تفكير العقل المسلم، بداية بوضوح الغاية من الخلق، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾<sup>(٥)</sup>، الغاية إذا من خلق الإنسان هي العبادة، قال ابن كثير كثير في تفسير الآية: " إنما خلقتهم لأمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم. وقال علي بن أبي طلحة

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة المدثر، الآية: ١٨ - ٢٥.

(٣) سورة الإسراء، من الآية: ٨٥.

(٤) سورة الروم، الآية: ٧.

(٥) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

عن ابن عباس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾ أي: إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً " (١). ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٢).

ومن العبادة والتسليم لله، أن كلفه الله تعالى بمهمة الاستخلاف في الأرض، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣)، " والمراد بالخليفة ههنا آدم سماه خليفة لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم، وقيل لأنه يخلفه غيره، والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه " (٤)، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ (٥).

فالإنسان مستخلف في الأرض لإقامة حدود الله بمقتضى تشريعه، وضح له القرآن العظيم الرسالة في الأرض ورسالة الدعوة إلى الله، وأتبعه بتوضيح الجزاء والحساب. فلم يُخلق عبثاً في هذه الحياة، ولا خبط عشواء، بل خلقه الله سبحانه لمهمة العبادة والاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ فتعالى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾، " أي: أظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم، ولا حكمة لنا؟ وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم، لا ثواب لها ولا عقاب، وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ أي: لا تعودون في الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أَتَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٧)، يعني: هملاً. وقوله: ﴿فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أي: تقدر أن يخلق شيئاً عبثاً، فإنه الملك الحق المتره عن ذلك" (٨).

وكل ذلك بغية الوصول إلى المنتهى، إلى الله سبحانه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٧٦٨.

(٢) سورة البينة، من الآية: ٥.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٣٠.

(٤) البغوي، معالم التنزيل، ٢٥.

(٥) سورة ص، من الآية: ٢٦.

(٦) سورة المؤمنون، الآية ١١٥ - ١١٦.

(٧) سورة القيامة، الآية: ٣٦.

(٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٣٠٨.

(١). فهذه كلها توجيهات القرآن للعقل وطريقة تفكيره. فوضوح الغاية للعقل المسلم قوة متنامية؛ لأن تحديد الغاية والمنهج المتمثل في الوحي بمصدره: القرآن الكريم والسنة النبوية، يسهل على الإنسان المضي في الطريق القويم، فالغاية من العبادة هي التمكين والاستخلاف والامن، والتفكير فيما كُلف به من الإصلاح في الأرض قدر المستطاع، والدعوة إلى الله، وعدم تضييع الوقت في حوض العقل فيما لا ينفعه، بل يضره ويلحق به مالا تُحمد عقباه، لقوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (٢).

٢- قوة المعرفة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٣).

قال الراغب: " المعرفة ( كالعرفان ) من قولهم: عرفت الشيء أي أصبت عرفه أي رائحته أو حده" (٤).

وقال الفيروزآبادي (٥): " يقال: عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ إِذَا عَلِمَهُ ( علما خاصا )، أي أدركه بتفكير وتدبر لأثره، قال: وهي أحص من العلم، يقال: فلان يعرف الله ولا يقال: يعلم الله لأن معرفة البشر لله تعالى هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: الله يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا لأن المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل إليه بتفكير وتدبر " (٦).

وعرفها الجرجاني بقوله: " المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه، وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم "

(١) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٤) الأصفهاني، المفردات، مادة: " عرف "، ٥٦١.

(٥) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو الطاهر، مجد الدين الشيرازي، من أئمة اللغة والأدب، من مؤلفاته: القاموس المحيطة، ولد عام: ٥٧٢٩هـ، وتوفي عام: ٥٨١٧هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ١٤٦/٧ - ١٤٧. والسخاوي، الضوء اللامع، ١٠ / ٧٩.

(٦) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق: النجار، محمد علي، بصائر ذوي التمييز، ( بيروت: المكتبة العلمية، بدون تاريخ الطبع )، مادة " عرف "، ٤٧/٤.



(١)

أستخلص من هذه التعريفات إلى أن المعرفة: هي إدراك الحقائق بعد البحث عنها وتقصيها، من حيث طرقها ومصادرها وأحوالها وعواقبها.

والفرق بين العلم والمعرفة:

- أن المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله ولذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة، قال تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (٢).

- المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل: عرفه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (٣)، والمعرفة على هذا نسبة الذكر النفسي وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر، ولذا فإن ضد المعرفة الإنكار وضد العلم الجهل.

- أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره، ذلك أن التمييز الحاصل عن المعرفة يرجع إلى إدراك الذات وإدراك صفاتها، أما تمييز العلم فإنه يرجع إلى تخليص الذات وتخليص صفاتها من غيرها.

- المعرفة علم بعين الشيء مفصلا عما سواه، بخلاف العلم فإنه قد يتعلق بالشيء مجملا. (٤)

أما مصادر المعرفة التي ورد ذكرها في القرآن، يمكن إجمالها في:

١- العقل.

٢- الحس.

وهما يرتبطان معا في تحقيق المعرفة، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، فالعقل لا ينمو إلا عن طريق التجارب والمشاهدات التي تمدد بها الحواس، والعقل هو الذي يقف وراء الحواس، وهو الذي يجعل إحساساتها إدراكات أو معارف حقيقية. (٥)

مصدق ذلك أجده في آيات عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنََّّ

(١) الجرجاني، التعريفات، مادة: "المعرفة"، ٢٢١.

(٢) سورة محمد، من الآية: ١٨.

(٣) سورة يوسف، من الآية: ٥٨.

(٤) انظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، مادة: "عرف"، ٤/٤٩ - ٥١.

(٥) انظر: عبيدات، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ١١٣ - ١١٤.

السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٢﴾. فالعقل والحس يكمل بعضهما بعضا في عملية المعرفة، ولهذا كان تعطيل الحواس كتعطيل العقل، كما تشير إلى ذلك الآية الثانية.

وكما ذكرت في تعريف المعرفة: بأنها إدراك للحقائق بعد البحث عنها وتقصيها، واستنادا إلى مصادر المعرفة: العقل والحس، تتأكد لي هذه القوة، بنتاج فكري من انطباعات حسية تتفاعل مع كل من عوامل التعلم والتأويل والذكاء والموقف بحيث تضع هذه المنبهات الحسية بشكل منظم في وحدات بارزة في المجال الإدراكي للإنسان لتفرغ عليها النفس صيغ المعاني والدلالات. (٣)

### طرق الوصول إلى أعلى درجات المعرفة:

للوصول إلى أعلى درجات المعرفة، ثلاث خطوات أساسية، وهي:

**أولاً: قوة الإدراك والتفكير:** الإدراك هو: "عبارة عن الوصول والحقوق. يقال: أدركت الثمرة: إذا بلغت النضج. وقال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (٤)، أي ملحقون ومن رأى شيئاً ورأى جوانبه و نهاياته قيل أنه أدرك بمعنى أنه رأى وأحاط بجميع جوانبه. والإدراك هو كمال يحصل به مزيد من كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان أو الخير. وهذا الكمال الزائد على ما حصل في النفس بكل واحدة من الحواس هو المسمى إدراكا" (٥).

فالإدراك إذا هو تلك العملية العقلية التي يتم عن طريقها معرفتنا للعالم الخارجي وذلك عن طريق المثبرات الحسية، وهو الوسيلة الوحيدة التي يتصل عن طريقها الإنسان ببيئته التي يعيشها.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٣) راجع: الهاشمي، عبد الحميد محمد، أصول علم النفس العام، ط ٢ (جدة: دار الشروق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، ١٩٧ - ١٩٨.

(٤) سورة الشعراء، من الآية: ٦١.

(٥) الكفوي، الكلبيات، مادة: "الإدراك"، ٦٦.

ولقد كرم الله تعالى الإنسان بأن زوده منذ ميلاده بقوى فطرية هائلة لتحقيق عملية الإدراك وهي الحواس، لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

فقد " ذكر تعالى منته على عباده في إخراجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار التي بها يحسون المرئيات، والأفئدة، وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل: الدماغ، والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها، وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدرج قليلاً قليلاً، كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده. وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى، فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاه " <sup>(٢)</sup>.

فتبارك الله أحسن الخالقين كرم الوليد البشري بمعينات الإدراك بألوانه المختلفة وهي السمع والبصر والفؤاد، وكأن تلك الحواس هي بمثابة نوافذ الإدراك.

أما التفكير فهو عملية عقلية معرفية. فهو بذلك نشاط عقلي راقى يعكس فيه الإنسان الواقع بطريقة موضوعية. فالتفكير عملية أعمق وأشمل من الإدراك، والإدراك ينحصر في الشيء موضوع الملاحظة، أما التفكير يصل إلى ما هو أبعد من ذلك في بحث علاقة هذا المدرك بالمدركات الأخرى التي حوله والتي يتأثر بها ويؤثر فيها. <sup>(٣)</sup>

وقد تتبعت آيات القرآن الكريم التي تحت على تنمية قوة الإدراك والتفكير وإعمال العقل، فوجدتها تتمثل درجات عدة، دعا إليها الخالق عز وجل وحث على الارتقاء بها وبلوغ أعلاها، كالتالي:

١- **التيقظ**، وهو المنتبه كما قال القرطبي<sup>(٤)</sup>، ويقال: " تيقظ فلان للأمر إذا تنبه له " <sup>(٥)</sup>.  
وفي الاصطلاح: " التيقظ كمال التنبه والتحرز عما لا ينبغي " <sup>(١)</sup>، وأضاف الفيروزآبادي: "

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٠٧٠.

(٣) انظر: علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام، ٣٠٣ - ٣١٣.

(٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٠ / ٢٤١.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، مادة: " يقظ "، ٤٩٦٤.

اليقظة أول منازل العبودية، وهي انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، والله ما أنفع هذه الروعة، وما أعظم قدرها وخطرَها، وما أقوى إيعانتها على السلوك، فمن أحس بها فقد أحس والله بالفلاح، وإلا فهو في سكرات الغفلة، فإذا انتبه وتيقظ شمر بهمته إلى السفر إلى منزله الأولى" (٢).

لذا كان التيقظ والتنبه للمدركات المختلفة من حولنا وترك الغفلة، أول درجات العارفين.

٢- النظر، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣).

لما كان التيقظ أتى بعده النظر في الآيات بتنوع مجالاتها، من النظر في الكون كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ﴾ (٤)، والنظر في خلق الله عز وجل، من نبات وحيوان، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٥) وأيضا النظر في الذات الإنسانية، لقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٦).

قال القرطبي: "وقد ذم الله تعالى من لم ينظر، وسلبهم الانتفاع بحواسهم فقال: ﴿هَمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (٧) " (٨).

فالنظر عند ابن منظور (٩): "هو الفكر في الشيء تُقدِّره وتقيسه منك" (١٠)، وقال

(١) الكفوي، الكليات، مادة: "التيقظ"، ٣١٤.

(٢) الفيروزبادي، بصائر ذوي التمييز، مادة: "يقظ"، ٣٨٨ / ٥ - ٣٨٩.

(٣) سورة الأعراف، من الآية: ١٨٥.

(٤) سورة يونس، من الآية: ١٠١.

(٥) سورة الغاشية، الآية: ١٧.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٢١.

(٧) سورة الأعراف، من الآية: ١٧٩.

(٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٧ / ٣٣١.

(٩) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين بن منظور، الإمام والحجة في اللغة، من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس وعاد إلى مصر فتوفي فيها عام ٥٧١١هـ، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، أشهر كتبه: لسان العرب، مختار الأغاني، انظر: الزركلي، الأعلام، ١٠٨/٧. والعسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن أحمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط (صيدر اباد،

مجلس دائرة المعارف العثمانية، ٥١٣٩٢ - ١٩٧٢م)، ٦ / ١٥.

(١٠) ابن منظور، لسان العرب، مادة: "نظر"، ٥ / ٢١٧.

الفيروزبادي: " النظر: تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص " (١).

وأجد أن النظر يغلب عليه معنى التأمل بالبصر واستيعاب المحسوسات في الكون.

٣- التبصر، لقوله تعالى: ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (٢).

بعد النظر يأتي التبصر، حيث هو أعلى درجة من التيقظ والنظر، وقد خص به المنيبون إلى الله في الآيات، لأنه طلب لقوة الحق بالبصر والبصيرة.

قال السعدي مفسراً التبصر في هذه الآية الكريمة: " فإن في النظر في هذه الأشياء ﴿ تَبَصَّرَةٌ ﴾ يتبصر بها، من عمى الجهل، ﴿ وَذَكَرَى ﴾ يتذكر بها، ما ينفع في الدين والدنيا، ويتذكر بها ما أخبر الله به، وأخبرت به رسله، وليس ذلك لكل أحد، بل ﴿ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ إلى الله أي: مقبل عليه بالحب والخوف والرجاء، وإجابة داعيه، وأما المكذب والمعرض، فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " (٣).

فالتبصر كما استنبط من أقوال العلماء في معناه هو: طلب معرفة الأمور على حقيقتها من خلال البراهين الحسية التي يمكن للعين رؤيتها وللبصيرة ( أي قوة القلب المدركة ) تأملها واعتقاد صحتها.

والتبصر في بعض حالاته لا يشترط فيه أن يسبق بالنظر، فقد يكون نورا يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده .

٤- التذكر، لقوله تعالى: ﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٤).

يأتي بعد منزلة التبصر: التذكر، الذي هو خاصية مرتبطة بتركيب الإنسان المجبول على النسيان، فكان الأمر بالرجوع والتذكر بالغ الأهمية في درجات المعرفة، والقرآن يحث على التذكر في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾

(١) الفيروزبادي، بصائر ذوي التمييز، مادة: " نظر "، ٨٢/٥.

(٢) سورة ق، الآية: ٨.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٨٣.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٢١.

(٥) سورة المؤمنون، من الآية: ٨٥.

الذِّكْرَى ﴿١﴾ سَيَذَكِّرْ مَنْ تَخَشَى ﴿١﴾، للدلالة على أهمية التذكر، وأضاف الحشية لمن يتذكر للتأكيد على أهميته.

يقول الطبري في تفسير التذكر في قوله: ﴿ وَيَبِّئْ ءَايَاتِهِ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي " يوضح حججه وأدلته في كتابه الذي أنزله على لسان رسوله لعباده ليتذكروا فيعتبروا، ويميزوا بين الأمرين اللذين أحدهما دعاء إلى النار والخلود فيها والآخر دعاء إلى الجنة وغفران الذنوب، فيختاروا خيرهما لهم. ولم يجهل التمييز بين هاتين إلا غيُّ الرأي، مدخول العقل" (٢).

فالتذكر " تفعل من الذكر، وهو ضد النسيان، قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)، وهو حضور صورة المذكور العلمية في القلب، واختير له بناء الفعل لحصوله بعد مهلة وتدرج، كالتبصر والتفهم والتعلم" (٤).

٥- التفكير، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٥﴾.

من الدرجات الجوهرية لبلوغ قوة الإدراك والتفكير: الفكر، وهو خاصية العقل الإنساني في طريق المعرفة وفضول العلم، ووصف الخالق أصحاب الفكر بأولي الألباب لأهميته البالغة في مجال العقل والعلم والفكر.

ووضح ابن كثير مسالك أفكارهم كما ذكرت في الآية فقال: " ومعنى الآية أن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أي: هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتساعها، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة، ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أي: تعاقبهما وتعارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول

(١) سورة الأعلى، الآية: ٩ - ١٠.

(٢) الطبري، جامع البيان، ١ / ٣٨٠.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٥.

(٤) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ١/٤٧٤ - ٤٧٧.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠ - ١٩١.

الذي كان قصيراً، ويقصر الذي كان طويلاً، وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال تعالى: ﴿لَأَيُّتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي : العقول التامة الذكية، التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم: ﴿كَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ (١) (٢).

ثم يضيف في معنى التفكير المذكور في الآية: " ﴿ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ أي: يفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته. وقيل: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك، وعن عيسى عليه السلام أنه قال: طوبى لمن كان قلبه تذكراً، وصمته تفكراً، ونظره عبثاً. قال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة ألهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة. وقيل: ما طالت فكرة امرئ إلا فهم، ولا فهم امرؤ قط إلا علم، ولا علم امرؤ قط إلا عمل. وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله عز وجل حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة " (٣).

فالتفكير يدل على تردد القلب في الشيء وتقليب المعاني للوصول إلى الحقائق، ومن الناحية الاصطلاحية، قال الأصفهاني: " التفكير يشير إلى جولان الفكرة وهي القوة المطرقة للعلم بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان " (٤)، ولا يقال هذا إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب .

فالتفكير إذا معاودة النظر مرارا وتكرارا بالبصر والبصيرة حتى يصل للحكمة فيما يفكر، ويفهم وجه الدلالة من المدرك.

لذا جاءت منزلة التفكير بعد التذكر، وجاءت منزلة التذكر بعد التبصر، واتفق ما وصلت إليه مع كلام ابن القيم حيث قال: " فمتزلة التذكر من التفكير منزلة حصول الشيء المطلوب بعد التفتيش عليه، ولهذا كانت آيات الله المتلوة والمشهودة ذكراً، فالتبصر آلة البصر، والتذكر آلة

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤٢٩.

(٣) ابن كثير، المرجع السابق، ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٤) الأصفهاني، المفردات، مادة: " فكر "، ٦٤٣.

الذكر، والعمى بالتبصرة، والغفلة بالتذكرة؛ لأن التبصرة توجب له حصول صورة المدلول في القلب بعد غفلته عنها، فيحصل التفكير. فترتيب المنازل الثلاثة: التبصر، التذكر، التفكير، أحسن ترتيب، ثم إن كلا منها يمد صاحبه ويقويه ويثمره وينميه" (١).

٦- التدبر، لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ  
أَحْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٢).

وبعد التفكير: التدبر، وبهما معا يصل العبد إلى درجة العلم واليقين. وأساس التدبر ومنبعه الثابت هو تدبر آيات الذكر الحكيم، ويسير بعدها إلى كل الأمور الدنيوية المنتهية أخيرا إلى الآخرة. فمحل التدبر أي القرآن، والله عز وجل " يأمر بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديد الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه ( هو ) المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٤) " (٥).

والفرق بين التفكير والتدبر: هو أن التفكير تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب وما تصير إليه الأشياء، أي إنه يتجاوز الحاضر إلى المستقبل. وكلاهما لا يشترط فيه الديمومة أو الاستمرار، بخلاف التأمل ( النظر ). (٦).

٧- التبين، لقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا  
تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ١/٤٧٤ - ٤٧٧، ( بتصرف ).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٢.

(٣) سورة ص، الآية: ٢٩.

(٤) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٧٨.

(٦) انظر: الجرجاني، التعريفات، مادة: " التدبر "، ٥٤، ومادة: " التفكير "، ٦٣.



فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ حَبِيرًا ﴿١﴾.

﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ بالفاء، أي: " فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وما تذرّون ولا تعجلوا فيه بغير تدبرٍ وروية، وقرئ فتثبتوا أي اطلبوا إثباته " (٢).

فمترلة التبين مترلة مهمة في الطريق إلى تفكير صحيح سليم مستقيم، حيث لا يمكن العدل إلا بالتحقق والتبيين والتثبت.

ومن التبيين: وصف التبين المذكور مرتين في هذه الآية الكريمة، للسعدي. يقول: " يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهاداً في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشبهة. فإن الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة. فالواضحة البيّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشكّلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا ؟ فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشُرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزاقته، بخلاف المستعجل للأمر في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي. فإذا كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأموراً بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية في أنه إنما سلم تعوداً من القتل وخوفاً على نفسه - فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيتثبت فيها العبد، حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب " (٣).

فالتبين مرتبة من مراتب وصول العلم يراد بها ما يحصل من العلم بعد الالتباس. كما قال

الكفوي: " اعلم أن مراتب وصول العلم إلى النفس: الشعور ثم الإدراك ثم الحفظ ثم التذكر... ثم التبين وهو علم يحصل بعد الالتباس " (٤).

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١ - ٢ / ٢١٨.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٨٣ - ١٨٤.

(٤) الكفوي، الكليات، مادة: " الإدراك "، ٦٦ - ٦٧.

٨- النفقه، لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

من درجات قوة الإدراك والتفكير التي ذكرها القرآن هي مرتبة النفقه، وهي قمة الفهم، وقد أوتيت لني الله سليمان عليه السلام، لقوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾<sup>(٢)</sup>، فهي بلا منازع غاية الوصول التي يسعى إليها العارفون.

وأما قوله: ﴿ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ أي: " قد بينا الحجج وميزنا الأدلة والأعلام وأحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحجج ومواقع العبر ويفهمون الآيات والذكر، فإنهم إذا اعتبروا بما نبهتهم عليه من إنشائي من نفس واحدة ما عاينوا من البشر وخلقي ما خلقت منها من عجائب الألوان والصور، علموا أن ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شرك فيشركوه في عبادتهم إياه " <sup>(٣)</sup>.

وقال أبو السعود: " قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ ﴿ المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها ﴾ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿ غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فإن لطائف صنع الله عز وجل في أطوار تخلق بني آدم مما تحار في فهمه الألباب وهو السر في إشار ﴾ يَفْقَهُونَ ﴿ على يعلمون " <sup>(٤)</sup>.

وقد قال ابن عاشور في تعريف الفقه: " العلم هو المعرفة الموافقة للحقيقة، والفقه هو إدراك الأشياء الدقيقة " <sup>(٥)</sup>، و أضاف الراغب: " الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، ومن ثم فهو أخص من العلم " <sup>(٦)</sup>، وقال ابن منظور: " الفقه العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لشرفه و فضله على سائر أنواع العلم " <sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الأنبياء، من الآية: ٧٩.

(٣) الطبري، جامع البيان، ١٠ / ٢٩١.

(٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥ - ٦ / ١٦٦.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٩٧ - ٣٩٨.

(٦) الأصفهاني، المفردات، مادة: " فقه "، ٦٤٢.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة: " فقه "، ١٣ / ٥٢٢.

فهو من أشرف المنازل وأعلاها، وهو قوة للعقل، فكان الحث على بلوغه أولى في آيات القرآن.  
ثانيا: علم اليقين: لقوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾<sup>(١)</sup>.

أما الخطوة الثانية لبلوغ أعلى درجات المعرفة، اليقين، وقد عرفه التهانوي: " بالاعتقاد الجازم المطابق الثابت، أي الذي لا يزول بتشكيك المشكك، فبالاعتقاد يخرج الشك، وبالجزم يخرج الظن، وبالمطابق يخرج الجهل، وبالتاب يخرج اعتقاد المقلد " <sup>(٢)</sup>.

فعلم اليقين هو النقطة الثانية المهمة لبلوغ قوة المعرفة التي يطمح المسلم إلى الوصول إليها،  
وقوله: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ دليل قوي على أهمية تحصيله.

يقول الطبري في تفسيرها: " ما هكذا ينبغي أن تفعلوا، أن يلهيكم التكاثر أيها الناس، لو تعلمون أيها الناس علماً يقيناً، أن الله باعثكم يوم القيامة من بعد مماتكم، من قبوركم، ما أهاكم التكاثر عن طاعة الله ربكم، ولسارعتن إلى عبادته، والانتهاة إلى أمره ونهيه، ورفض الدنيا إشفافاً على أنفسكم من عقوبته " <sup>(٣)</sup>، وأضاف ابن عطية <sup>(٤)</sup> " و ﴿ اليقين ﴾ أعلى مراتب العلم " <sup>(٥)</sup>.

قال السعدي في تفسير اليقين: " أي: لو تعلمون ما أمامكم علماً يصل إلى القلوب، لما أهاكم التكاثر، ولبادرتن إلى الأعمال الصالحة، ولكن عدم العلم الحقيقي، صيركم إلى ما ترون " <sup>(٦)</sup>.  
وفي المدارج، اليقين على ثلاثة أوجه: " يقين خبر، ويقين دلالة، ويقين مشاهدة. يريد بيقين الخبر سكون القلب إلى خبر المخبر ووثوقه به، ويقين الدلالة ما هو فوقه وهو أن يقيم له مع وثوقه

(١) سورة التكاثر، الآية: ٥.

(٢) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مادة: " اليقين "، ٤١٦/٤.

(٣) الطبري، جامع البيان، ١٥ / ٢٨٥.

(٤) ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية، الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد الغرناطي القاضي، كان فقيها عارفا بالأحكام، والحديث، والتفسير، بارع الأدب، بصيرا بلسان العرب، ولى قضاء المرية، مولده سنة: ٥٤٨٠، وفاته في ٥٥٤١، انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تحقيق: عمر، علي محمد، طبقات المفسرين، ط ١ ( مصر: مكتبة وهبة، ١٣٩٦ - ١٩٧٦ م )، ٦٠ - ٦١، والزركلي، الأعلام، ٢٨٢/٣.

(٥) ابن عطية، أي محمد عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط ١ ( بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م )، ٢٠٠٢.

(٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٠٢٠.

بصدقه الأدلة الدالة على ما أخبر به وهذا كعامّة الأخبار بالإيمان والتوحيد وهو في القرآن، فإنه سبحانه مع كونه أصدق القائلين الصادقين يقيم لعباده الأدلة والبراهين على صدق أخباره، فيحمل لهم اليقين من الوجهين، من جهة الخير ومن جهة التدليل. فيرتفعون من ذلك إلى الدرجة الثالثة وهي يقين المكاشفة، بحيث يكون المخبر به كالمرئي لعيونهم، فنسبة الإيمان بالغيب هي إلى القلب كنسبة المرئي إلى العين، وهذا أعلى أنواع اليقين، وهي التي أشار إليها عامر بن عبد قيس في قوله: " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا " وليس هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما يظنه من لا علم له بالمنقولات " (١).

ثالثا: فقه الأولويات، لقوله تعالى: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٣﴾.

النقطة الثالثة في تنمية قوة المعرفة وجدتها في تعلم فقه الأولويات، وهو علم بالغ الأهمية والجمال، بل أظنه من أولى العلوم التي يجب على الإنسان المسلم أن يتعلمها ويفهمها، لارتباطها الوثيق الدائم في حياة المسلم من تفاوت درجة العبادات والسلوكيات، فتفاوت من شخص لآخر، ومن زمن إلى آخر، بل حتى من مكان إلى آخر. وفي هذا المقام سأكتفي بسرد أساسيات هذا العلم بشكل عام في مجال الفكر والعلم لارتباطه بعنوان الفصل، ومن ناحية أخرى لفتح الباب وتبسيط الضوء عليه والحث على طلبه وتعلمه وفهمه.

والمقصود بفقه الأولويات: " وضع كل شيء في مرتبته بالعدل، من الأحكام والقيم والأعمال، ثم يقدم الأولى فالأولى، بناء على معايير شرعية صحيحة، يهدي إليها نور الوحي، ونور العقل: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ ﴾ (٣)، فلا يقدم غير المهم على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل أو الأفضل. بل يقدم ما حقه التقديم، ويؤخر ما حقه التأخير،

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، ٢/٤٠٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٩ - ٢٠.

(٣) سورة النور، من الآية: ٣٥.

ولا يكبر الصغير، ولا يهون الخطير، بل يوضع كل شيء في موضعه بالقسطاس المستقيم، بلا طغيان ولا إحسار، كما قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ (١). وأساس هذا: أن القيم والأحكام والأعمال والتكاليف متفاوتة في نظر الشرع تفاوتاً بليغاً، وليست كلها في رتبة واحدة، فمنها الكبير ومنها الصغير، ومنها الأصلي ومنها الفرعي، ومنها الأركان ومنها المكملات، ومنها ما موضعه في الصلب، وما موضعه في الهامش، وفيها الأعلى والأدنى، والفاضل والمفضول. وهذا واضح من النصوص نفسها " (٢).

كما في آية التوبة السابقة، فمن أسباب نزول هذه الآية تفصيلها لتفاوت درجات الأعمال والثواب عليها وذلك كما في حديث النعمان بن بشير، قال: ( كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر، وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته رسول الله فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله عز وجل الآية إلى آخرها ) (٣). (٤)

وأفضل إثبات لهذا التفاوت ما ذكره أبو السعود في تفسيره لآية التوبة السابقة: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿١﴾ أَيْ فِي الْفَضِيلَةِ وَعِلْوِ الدَّرَجَةِ ﴿٢﴾ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٣﴾ السِّقَايَةُ وَالْعِمَارَةُ مُصْدَرَانِ لَا يَتَصَوَّرُ تَشْبِيهُهُمَا بِالْأَعْيَانِ فَلَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مُضَافٍ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ أَيْ أَجَعَلْتُمْ أَهْلَهُمَا كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ سُقَاةَ

(١) سورة الرحمن، الآية: ٧ - ٩.

(٢) القرضاوي، يوسف، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، ط ٢ ( القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م )، ٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله، الراوي: النعمان بن بشير، رقم الحديث: ١٨٧٩، رقم الصفحة: ١٠٤٤.

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان، ١٤/١٦٩، وابن الجوزي، أبي فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التنسير، ط ٣ ( دمشق: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م )، ٣/٤٠٩.

الحاجَّ وعُمْرة المسجد الحرام أو أجعلتموهما كإيمان من آمن، وعلى التقديرين فالخطابُ إما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الإيمان بجانب المشبّه به، وإما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان أعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يُشعر بعدم حرمان الأولين بالكلية، فالمعنى أجعلتم أهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله أو أجعلتموهما في ذلك كالإيمان والجهاد وشتان بينهما فإن السقاية والعمارة وإن كانتا في أنفسهما من أعمال البر والخير لكنهما وإن خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية أن يُشَبَّه أهلُهما بأهل الإيمان والجهاد أو يُشَبَّه أنفسهما بنفس الإيمان والجهاد، وذلك قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي لا يساوي الفريق الأول الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الأولين وبين الآخرين لأنه المدار في التفاوت بين الموصوفين، وإسناد عدم الاستواء إلى الموصوفين، لأن الأهم بيان تفاوتهم، وتوجيه النفي ههنا والإنكار فيما سلف إلى الاستواء والتشبيه مع أن دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين إنما هي الأفضلية دون التساوي والتشابه — للمبالغة في الرد عليهم فإن نفي التساوي والتشابه نفي للأفضلية بالطريق الأولى، والجملة استئناف لتقرير الإنكار المذكور وتأكيده، أو حال من مفعولي الجعل، والرابط هو الضمير كأنه قيل: أسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ حكمٌ عليهم بأنهم مع ظلمهم بالإشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون في هذا الجعل غير مهتدين إلى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح، وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم " (١).

وأضاف السعدي: " فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة؛ لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال، وتزكو الخصال. وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل. وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالاً صالحة، فهي متوقفة على

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣ - ٤ / ٥١ - ٥٢.

الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فلذلك قال: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الذين وصفهم الظلم، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير، بل لا يليق بهم إلا الشر " (١).

يؤيد هذا المعنى وهذا العلم، قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ( الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) (٢). فدل على تفاوت الدرجات وأولوية بعضها على بعض.

ودور فقه الأولويات في تنمية القوة الفكرية، هو توضيح الأولوية، كالتالي:

- أولوية العلم على العمل، لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (٣)، فالعلم قبل العمل؛ حتى يكون العمل صحيح البناء متقنا، إذ كيف يتم الوصول لدرجة الإحسان في العمل من غير علم ملم به! وفي الآية: " أمر بالعلم قبل الأمر بالعمل في قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ قال ابن عيينة لما سئل عن فضل العلم: ألم تسمع قوله حين بدأ به ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ وترجم البخاري (٤) في كتاب العلم من "صحيحه" (باب العلم قبل القول والعمل) لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم" (٥). وكذلك أغلب العلماء في تقسيم كتبهم، يقدمون باب العلم على غيره، مثل كتاب إحياء علوم الدين، للغزالي.

- أولوية الفهم على مجرد الحفظ، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (٦)، فالآية تخبر بأهمية الفهم وأولويته، أكده أبو السعود

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٣٤٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، الراوي: أبي هريرة، رقم الحديث: ٣٥، رقم الصفحة: ٣٩ - ٤٠.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٤) البخاري، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله، صاحب الجامع الصحيح، والتاريخ، والضعفاء، الأدب المفرد، توفي عام ٢٥٦هـ، انظر: الزركلي، الأعلام، ٣٤/٦.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠٥.

(٦) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

فقال: "للاية وجه آخر وهو أن المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا إلى النفي رغبة ورهبةً وانقطعوا عن التفقه فأمرُوا أن ينفي من كل فرقة طائفةً إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع الفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة، فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو، وفي رجعوا للطوائف، أي ولينذر البواقي قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم" (١).

- أولوية المقاصد على الظواهر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢﴾. لأنه من الأولى معرفة الغاية لئتم استحكام المقصد، وقد ذكرت قوة الغاية كأول خطوة في هذا الفصل لهذا المعنى ولأولويته، ففهم المقاصد يجلي الخفايا والدقائق للعقل البشري، وفي الآية إظهار أولوية المقاصد على الظواهر، تأكيده ختامها بدعاء من فهم المقصد فقال: ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

وضح المعنى أبو السعود فذكر: " ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ كلمة ﴿هَذَا﴾ إشارة إلى السموات والأرض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٣)، والتذكير لما أنهما باعتبار تعلّق الخلق بهما في معنى المخلوق، أو إلى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق، و ﴿بَطْلًا﴾ إما صفة لمصدر مؤكّد محذوف أو حال من المفعول به، أي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبثاً عارياً عن الحكمة خالياً عن المصلحة كما تنبئ عنه أوضاع الغافلين عن ذلك، المعرضين عن التفكير فيه، بل منتظماً لحكمة جليلة ومصالح عظيمة من جملتها أن يكون مداراً لمعيش العباد ومناراً يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد حسبما أفصحت عنه الرسل والكتب الإلهية كما تحققت مفصلاً. فإنهما مما يؤدي إلى

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٣ - ١١٢/٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠ - ١٩١.

(٣) سورة الإسراء، من الآية: ٩.



اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب " (١).

- أولوية الاجتهاد على التقليد، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (٢).

وهذه النقطة مرتبطة بما قبلها وكلها كذلك تباعا، فالاجتهاد مقدم على التقليد، إذ أن الاجتهاد عمق معرفة وتحليل وطلب في العلم ومزيد من اليقين، والعالم مثاب على اجتهاده، إن أخطأ أو أصاب. وقد اتفق العلماء بأن التقليد ليس بعلم، إذ لا بد من معرفة الطرق والمسائل باجتهاد الطالب والباحث وإن توصل أخيرا إلى نفس النقطة والنتيجة التي وصل إليها من قبله.

وقد قال أبو السعود في هذا المعنى: " ﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾ ولا تتبع من قفا أثره إذا تبعه، وقرئ ولا تقف من قاف أثره أي قفاه، ومنه القافة في جمع القائف ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ أي لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري أنه يوصله إلى مقصده، واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان أو ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا يندر شيوعه " (٣).

٣- قوة التقوى، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤).

من الخطوات التي أشار إليها القرآن في سبيل تنمية القوة الفكرية: التقوى. فكانت التقوى سبب للتعلم، وهي علاقة قوية بين التقوى والعلم، " وقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي: خافوه وراقبوه، واتبعوا أمره، واتركوا زجره ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ كقوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ تَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٥) وكقوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَتَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾ (٦) " (١).

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ١ - ٢ / ١٣٠ - ١٣١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) أبو السعود، مرجع سابق، ٥ - ٦ / ١٧١.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٢.

(٥) سورة الأنفال، من الآية: ٢٩.

(٦) سورة الحديد، من الآية: ٢٨.

وأضاف ابن عاشور: " وفي عطفه على الأمر بالتقوى إيماء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم، حتى قيل: إن الواو فيه للتعليل أي ليعلمكم " (٢).

٤ - قوة اللغة، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ (٣).

أيضا من الخطوات المهمة: قوة اللغة، وبالأخص اللغة العربية، التي بها أنزل القرآن فكان المعجزة القائمة على مر العصور التي يحار فيها العالمون وغيرهم. وقد عبر القرآن عن اللغة ومنطقها بالبيان، " في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ يعني: النطق، وقيل: يعني: الخير والشر، والقول الأول ههنا أحسن وأقوى؛ لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق، وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفقتين على اختلاف مخارجها وأنواعها " (٤).

فكانت اللغة قوة في تنمية الفكر لدى الإنسان، فقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ " تعييناً للمعلم وتبييناً لكيفية التعليم، والمراد بخلق الإنسان إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة و الباطنة، والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضاً إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن " (٥).

وقال سيد قطب في تفسير هذا البيان المتمثل في اللغة: " إننا نرى الإنسان ينطق ويعبر ويبين، ويتفاهم، ويتجاوب مع الآخرين، فنسى بطول الألفة عظمة هذه الهبة، وضخامة هذه الحارقة، فإردنا القرآن إليها، ويوقظنا لتدبرها، في مواضع شتى، فلننظر كيف يكون البيان؟ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ (٦).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٤٣.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١١٨.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ١ - ٤.

(٤) انظر: ابن كثير، مرجع سابق، ١٧٩٥.

(٥) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٧ - ٨ - ٩ / ١٧٦.

(٦) سورة النحل، من الآية: ٧٨.

إن تكوين جهاز النطق وحده عجيبة لا ينقضي منها العجب، اللسان والشفطان والفك والأسنان. والحنجرة والقصبه الهوائية والشعب والرئتان، إنها كلها تشترك في عملية التصويت الآلية وهي حلقة في سلسلة البيان. وهي على ضخامتها لا تمثل إلا الجانب الميكانيكي الآلي في هذه العملية المعقدة، المتعلقة بعد ذلك بالسمع والمخ والأعصاب. ثم بالعقل، ووراء العبارة، والموضوع، والفكرة، والمشاعر السابقة واللاحقة، وكل منها عالم عجيب غريب، ينشأ في هذا الكيان الإنساني العجيب الغريب، بصنعة الرحمن، وفضل الرحمن " (١).

فكل لفظ يؤثر على العقل وينمي عضلة في المخ، وكل نطق هو منطق يتعلمه عقل الإنسان، فتتكون ذخيرته اللغوية التي تعينه على مزيد من الفهم والتعلم. وكلما زادت حصيلة الألفاظ نمت قوة العقل والفهم وتفتحت المدارك بمزيد من البيان والفكر، لذا لما نزل القرآن فهمه ووعاه العرب وتيقنوا في أنفسهم إعجازه بسليقتهم فلم يحتاجوا تفسيراً له، بل فهموه ووعوه في كل ألفاظه ومعانيه، على غرار الأجيال المتأخرة، فإنه يقل الفهم للقرآن، لعدم معرفة اللغة العربية وفهم أسرارها ودقائقها كما فعل المتقدمون. فهي إذا دعوة إلى الغوص في أعماق اللغة حتى تزيد قوة الفكر في العقل الإنساني لارتباطه الوثيق بالنطق وقوة الفكر.

ومن أدلة قوة اللغة أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (٢)، قال أهل التأويل: " إن الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة ففرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة " (٣)، وقال السعدي: " أي: أسماء الأشياء، وما هو مسمى لها، أي: الألفاظ والمعاني، حتى المصغر من الأسماء والمكبر، كالقصبعة و القصبعة " (٤).

وكلها قوة لغوية لتنمية الفكر وإعمال العقل.

## ٥ - ملكة حصر الذهن:

وهي ملكة جميع العباقرة والمبدعين، وتعرف أيضاً ( بالتركيز )، فكانت بكل جدارة نقطة مهمة في تنمية القوة الفكرية، وقد درب الإسلام المسلمين على حصر الذهن وخضوعه بالكامل، فكان (

(١) قطب، في ظلال القرآن، ٦/٣٤٤٦ - ٣٤٤٧ ( بتصرف ).

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٣١.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ٢٥.

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٣١.

الخشوع ) منهج حياة، وليس كما يعتقد البعض أنه محصور في عبادات معينة مثل: قراءة القرآن فقط، أو الصلاة، فإننا إذا تأملنا حياة الأنبياء عليهم السلام نلاحظ أنها مليئة بالخشوع، بل كانوا في حالة خشوع دائم، وهذا ما أعانهم على التحمل والصبر على الأذى والاستهزاء، وقد وصف القرآن منهج الخشوع بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا <sup>١</sup> وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ (١). فعبارة ﴿ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ توحى بأن هؤلاء الأنبياء الكرام كانوا في حالة خشوع دائم.

فخشوع الإنسان في جميع سلوكيات يومه، هو قوة متنامية لعقله، وكل الشعائر التعبدية في الإسلام والسلوكيات الحياتية التي رسمها الشرع للمسلم في القرآن والسنة هي منهج يدرّب المسلم على الخشوع الدائم. فالحج، كمثال، قائم أساساً على الخشوع في كل مجرياته وبخاصة الوقوف بعرفة حيث هو ركنه الأساسي، وكأن الحج تنمية للقوة الفكرية بإعادة تأهيل الخشوع في النفس، وهو كذلك. وتحقيق ذلك أن نستثمر كل لحظة في الحج خشوعاً وتضرعاً للخالق.

مثال آخر: الصلاة، إذ هي تدريب لاكتساب التركيز، وبلوغ الخشوع أكبر نجاح، بل هو الفلاح كما عبر عنه القرآن العظيم، لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (٢)، أي: " والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها " (٣)، فكان الفلاح ثمرة هذا الخشوع.

والذي يؤكد هذه القوة المكتسبة ( التركيز ) بالخشوع في الصلاة، تفسير الآية التي تليها: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ ﴾ أي عمّا لا يعينهم من الأقوال والأفعال ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ أي في عامّة أوقاتهم كما ينبى عنه الاسم الدالُّ على الاستمرار فيدخل في ذلك إعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولاً أولياً ومدارُ إعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية إلى الإعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجدِّ في أمور الدِّين كما قيل فإنَّ ذلك ربّما يُوهم أن لا يكون في اللغو نفسه ما

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١ - ٣.

(٣) الطبري، جامع البيان، ١٠ / ٣.

يزجرهم عن تعاطيه وهو أبلغ من أن يُقالَ لا يلهون من وجوه جعلِ الجملةِ اسميةً وبناءِ الحكمِ على الضميرِ والتعبيرِ عنه بالاسمِ وتقديمِ الصلّةِ عليه، وإقامةِ الإعراضِ مُقامَ التّركِ ليدلّ على تباعدهم عنه رأساً مباشرةً وتسبباً وميلاً وحضوراً فإنَّ أصله أن يكونَ في عرضٍ غيرِ عرضه " (١).

فأصل أخيراً إلى: أن الخشوع قوة بشكل عام ومنهج حياة، وقوة للفكر بشكل خاص، بأدلة الشارع.

---

(١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٥ - ٦ / ١٢٣ - ١٢٤.

**الفصل الخامس:**  
**تنمية القوة البدنية**  
وفيه مبحثان

**المبحث الأول: الجسد وعلاقته بالقوة**

**المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة البدنية**

## المبحث الأول:

### الجسد وعلاقته بالقوة

مدح القرآن الكريم صفة القوة، وبين أهميتها في عدة مواضع، منها:

أولاً: قوله تعالى: ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾<sup>(١)</sup>، ففي هذه الآية الكريمة طلب القوم من ذو القرنين أن يبني لهم سداً لكف الفساد الذي يحصل من يأجوج ومأجوج مقابل المال ولكنه أبدل المال بالمساعدة الجسدية بأيديهم وقوة أبدانهم، وضح ذلك الطبري بقوله: " قال ذو القرنين: الذي مكنتني في عمل ما سألتموني من السد بينكم وبين هؤلاء القوم ربي، ووطأه لي، وقواني عليه، خير من جعلكم، والأجرة التي تعرضونها عليّ لبناء ذلك، وأكثر وأطيب، ولكن أعينوني منكم بقوة، أعينوني بفعلة وصناع يُحسنون البناء والعمل " <sup>(٢)</sup>.

وقال القرطبي: " ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ أي اخدموا بأنفسكم معي، فإن الأموال عندي والرجال عندكم، ورأى أن الأموال لا تغني عنهم، فإنه إن أخذها أجرة نقص ذلك مما يحتاج إليه، فيعود بالأجر عليهم، فكان التطوع بخدمة الأبدان أولى " <sup>(٣)</sup>.

وفي زهرة التفاسير: " لست مستعينا بخرج، ولكني مستعين بقوة منكم، فأعينوني بقوة تحتمل العمل من رجالكم، أي فلست أحتاج إلى المال، ولكن إلى أيدٍ عاملة تعمل " <sup>(٤)</sup>.

وهذا يدل على أهمية القوة الجسدية وأولويتها على المال للكسب والبناء، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام: ( ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله دواد عليه السلام كان يأكل من عمل يده ) <sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الكهف، من الآية: ٩٥.

(٢) الطبري، جامع البيان، ١٦ / ٢٣.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١ / ٦٠.

(٤) أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، ( القاهرة: دار الفكر العربي، بدون تاريخ الطبع )، ٩ / ٤٥٨٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، الراوي: المقدم رضي الله عنه، رقم الحديث:

٢٠٧٢، رقم الصفحة: ٣٣٣.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾<sup>(١)</sup>. ذكرت ابنة شعيب لأبيها صفة القوة في موسى عليه السلام لما رأت منه عند البئر وسقي أغنامهما مالا يستطيع عشره فعله، وذكرت أن هذه القوة من الخيرة، قال الطبري: " تعني بقولها: استأجره ليرعى عليك ماشيتك ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ تقول: إن خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحتها، الأمين الذي لا تخاف خيانتها، فيما تأمنه عليه " <sup>(٢)</sup>.

وقال البغوي: " يعني: خير من استعملت من قوي على العمل وأداء الأمانة، فقال لها أبوها: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أمّا قوته: فإنه رفع حجراً من رأس البئر لا يرفعه إلا عشرة، وقيل إلا أربعون رجلاً، وأمّا أمانته فإنه قال لي: امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك " <sup>(٣)</sup>.

فدلت القصة على أهمية القوة البدنية، وتأثيرها على الفرد في أخلاقه وسلوكياته كذلك.

ثالثاً: ذكر القرآن الكريم نبي الله داود عليه السلام كنموذج للقوة، في مواضع عدة وقصص مختلفة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾<sup>(٤)</sup>، فوضحت الآية إضافة القوة إلى نبي الله داود عليه السلام بلفظ ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ ذكره ابن كثير في تفسيره فقال: " يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه السلام أنه كان ذا أيد، والأيد القوة في العلم والعمل " <sup>(٥)</sup>.

ومن الآيات الدالة على قوته البدنية والعملية والعلمية، قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِبَالُ أَبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لَهُ الْحَدِيدَ﴾<sup>(٧)</sup>، فقد أيد الله سبحانه بمعجزة إلهة الحديد بين يديه يصنع به الدروع الحربية كأول صانع للدروع

(١) سورة القصص، من الآية: ٢٦.

(٢) الطبري، جامع البيان، ١١ / ٦٣.

(٣) البغوي، معالم التنزيل، ٩٧٩.

(٤) سورة ص، من الآية: ١٧.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٦٠٢.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ٢٥١.

(٧) سورة سبأ، الآية: ١٠.



في حياة البشرية، وهي قوة. وفي تفسير ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ " كان لا يحتاج أن يدخله ناراً، ولا يضربه بمطرقة، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط، ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتْ﴾<sup>(١)</sup> وهي الدروع " <sup>(٢)</sup>.

فكل الأمثلة السابقة أدلة على العلاقة الوثيقة بين القوة البدن، و أهمية تنميتها في الفرد المسلم.

---

(١) سورة سبأ، من الآية: ١١.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٥٣٣.

## المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة البدنية

قال صلى الله عليه وسلم: ( المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز )<sup>(١)</sup>. فالإسلام حرص على صحة الإنسان وقوة بدنه، فوضع ضوابط تحمي الجسد في آيات القرآن والسنة النبوية كحق اتجاه هذا الجسد، ووضح وسائل، منها:

أولاً: اللياقة البدنية، لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، حث الله سبحانه في هذه الآية على الاستعداد بالقوة الجسدية وغيرها لملاقاة العدو، فمن اللياقة البدنية التي جاء الحث عليها:

- الرمي، وقد فسرت القوة هنا بالسلاح وقال بعضهم الرمي، ذكره الطبري وغيره، وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال: ( سمعت رسول الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي<sup>(٣)</sup> )  
.

"وفضل الرمي عظيم ومنفعته عظيمة للمسلمين، ونكايته شديدة على الكافرين. قال صلى الله عليه وسلم: ( ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً )<sup>(٤)</sup> وتعلم الفروسية واستعمال الأسلحة فرض كفاية وقد يتعين " <sup>(٥)</sup>.

فالرمي وسيلة تنمي القوة البدنية.

(١) صحيح مسلم، كتاب: القدر، باب: في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله و تفويض المقادير لله، الراوي: أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث: ٢٦٦٤، رقم الصفحة: ١٤٣٢.

(٢) سورة الأنفال، من الآية: ٦٠.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، الراوي: عقبة بن عامر، رقم الحديث: ١٩١٧، رقم الصفحة: ١٠٦١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ( واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد )، الراوي: سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، رقم الحديث: ٣٣٧٣، رقم الصفحة: ٥٦٥.

(٥) القرطبي، جامع احكام القرآن، ٨ / ٣٩.

- **تعلم الفروسية**، وهي من اللياقة البدنية التي أشارت لها الآية، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ رَبَاطِ الْخَيْلِ ﴾، وجاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: ( الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ) <sup>(١)</sup>، وغير ذلك من النصوص ، بل جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم الحث على أنواع من الرياضة ، كقوله عليه الصلاة والسلام: ( لا سبق إلا في نصل، أو خف، أو حافر ) <sup>(٢)</sup>. والمقصود: أنه لا يصح أن توضع جائزة للمتسابقين إلا في أمور نافعة ، كالسباق في الخيل، أو بالإبل ، أو أن يكون من باب الرمي، والتعود وإجادة الرمي بالسهم سابقا ، ويقاس عليها أنواع الرمي الحديثة.

وقد أقسم الله سبحانه بالخيل في كتابه وذلك يدل على شرفها وفضلها عنده، قال تعالى: ﴿ وَالْعَدِيدِ تَضَبَّحًا ﴾ <sup>(٣)</sup>، قال البغوي: " هي الخيل العادية في سبيل الله عز وجل تَضَبَّحُ، والضَّبْحُ: صوت أجوافها إذا عدت " <sup>(٤)</sup>، وأضاف السعدي: " أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل، لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة، ما هو معلوم للخلق " <sup>(٥)</sup>.

" والفروسية أربعة أنواع أحدها ركوب الخيل والكر والفر بها، الثاني الرمي بالقوس، الثالث المطاعنة بالرماح، الرابع المداورة بالسيوف، فمن استكملها استكمل الفروسية. ولم تجتمع هذه الأربعة على الكمال إلا لغزاة الإسلام وفوارس الدين وهم الصحابة رضي الله عنهم وانضاف إلى فروسيتهم الخيلية فروسية الإيمان واليقين والتنافس في الشهادة وبذل نفوسهم في محبة " <sup>(٦)</sup>. <sup>(١)</sup>

(١) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الجهاد ماض مع البر والفاجر، الراوي: عروة البارقي، رقم الحديث: ٢٨٥٢، رقم الصفحة: ٤٧٢. صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الراوي: عروة البارقي، رقم الحديث: ١٨٧٣، رقم الصفحة: ١٠٤٠.

(٢) جامع الترمذي، أبواب الجهاد، باب: ما جاء في الرهان والسبق، الراوي: أبي هريرة رضي الله عنه، درجة الحديث: صحيح، رقم الحديث: ١٧٠٠، رقم الصفحة: ٤٠٧. أبي داود، كتاب: الجهاد، باب: في سبق، الراوي: أبي هريرة رضي الله عنه، درجة الحديث: صحيح، رقم الحديث: ٢٥٧٤، رقم الصفحة: ٣٩٧.

(٣) سورة العاديات، الآية: ١.

(٤) البغوي، معالم التنزيل، ١٤٢٨.

(٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٠١٨.

(٦) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الفروسية، ط ١ ( حائل: دار الأندلس، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م )، ٤٤٠.

فالفروسية من أهم الرياضات التي يحث عليها الإسلام، وقد قال عمر بن الخطاب في هذه الرياضات وفي ضرورة تنمية القوة البدنية، مقولته التربوية: " علموا أبنائكم الرماية والسباحة وركوب الخيل ".

ولابد من التنويه على أن هناك فرق بين القوة البدنية والشجاعة، وضحه ابن القيم فقال: " وكثير من الناس تشبه عليه الشجاعة بالقوة وهما متغايران فإن الشجاعة هي ثبات القلب عند النوازل وإن كان ضعيف البطش، وكان الصديق رضي الله عنه أشجع الأمة بعد رسول الله وكان عمر وغيره أقوى منه ولكن برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال وهو في ذلك ثابت القلب ربيط الجاش يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم فيثبتهم ويشجعهم ولو لم يكن له إلا ثبات قلبه يوم الغار وليلته وثبات قلبه يوم بدر وهو يقول للنبي يا رسول الله كفاك بعض مناشدتك ربك فإنه منجر لك " (٢).

فالسعي إلى تنمية قوة البدن ضرورة للفرد المسلم، وينبغي عدم التكاسل عن تنميتها، والحفاظ عليها.

ثانيا: الغذاء، لقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٣).

جاءت هذه الآية في معرض الحديث عن الطعام وهو غذاء الأبدان، وقد اعتبرت الغذاء نقطة جدية بالإشارة هنا، لأن المحافظة على البدن هو من استمرار القوة للجسد، بل الغذاء قد يكون واجبا لدفع الضرر عن النفس، وفي هذا نماء وقوة للبدن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (

---

(١) ومن الرياضات الأخرى، ما كان في هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، من مسابقته بالأقدام مع زوجته عائشة رضي الله عنها، ففي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: ( سابقني النبي فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك )، وفي تسابق أصحابه بين يديه بغير رهان، في صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع قال ( بينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق شدا فجعل يقول ألا مسابق إلى المدينة هل من مسابق فقلت أما تكرم كريما وتهاب شريفا قال لا إلا أن يكون رسول الله قال قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ذري أسابق الرجل فقال إن شئت فسبقته إلى المدينة )، وأما مصارعته ففي سنن أبي داود عن محمد بن علي بن ركانة، إن ركانة صارح النبي فصرعه النبي. انظر: ابن القيم، الفروسية، مرجع سابق، ٨٥ - ٨٦.

(٢) ابن القيم، الفروسية، ٥٠٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

لجسدك عليك حقا (١).

قال القرطبي في الآية: " والمراد بالأكل الانتفاع من جميع الوجوه. وقيل: هو الأكل المعتاد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين " فقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢) ثم ذكر الرجل يطيل السفر. أشعث أغبر. يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام. فأنى يستجاب لذلك (٣) " (٤).

وقيل: " إن الأمر في قوله: ﴿ كُلُّوْا ﴾ قد يكون للوجوب كالأكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها، وقد يكون للندب كالأكل مع الضيف وقد يكون للإباحة إذا خلا من هذه العوارض. والطيب هو الحلال " (٥).

فيكون أكل الحلال أول ضابط من ضوابط الشرع في الغذاء، كالتالي:

١- أن يكون حلال، لقوله تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾ (٦).

أي: " يا أيها الناس كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولي محمد صلى الله عليه وسلم فطيبته لكم مما تحرّمونه على أنفسكم، دون ما حرّمته عليكم من المطاعم والمآكل فنجسته من ميتة ودم ولحم حترير وما أهلّ به لغيري " (٧). وأضاف ابن كثير: " أي: مستطاباً في نفسه،

(١) صحيح مسلم، كتاب: الصيام، باب: النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق وبيان تفضيل يوم وإفطار يوم، الراوي: عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم الحديث: ١١٥٩، رقم الصفحة: ٥٨٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، الراوي: أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث: ١٠١٥، رقم الصفحة: ٥٠٦ - ٥٠٧.

(٤) القرطبي، جامع لأحكام القرآن، ٢ / ٢١٥.

(٥) الخازن، علاء الدين محمد بن إبراهيم البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، ط ١ ( بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م )، ١ / ١٠٢.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ١٦٨.

(٧) الطبري، جامع البيان، ٢ / ٧٦.

غير ضار للأبدان ولا للعقول " (١).

فالغذاء لابد أن يكون حلالاً طيباً، دون الحرام الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (٢).

٢- التوازن، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (٣).

وهذه الآية تعد باباً واسعاً في كيفية الأكل وآدابه وغيره مما توسع في ذكره المفسرون، ومن ذلك " ما قاله ابن عباس رضي الله عنه: " أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سرفاً أو مخيلة. فأما ما تدعو الحاجة إليه، وهو ما سدّ الجوع وسكّن الظمّ، فمندوب إليه عقلاً وشرعاً، لما فيه من حفظ النفس وحراسة الحواس؛ ولذلك ورد الشرع بالنهاي عن الوصال؛ لأنه يُضعف الجسد ويُميت النفس، ويُضعف عن العبادة، وذلك يمنع منه الشرع ويدفعه العقل. وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظّ من برٍّ ولا نصيب من زهد؛ لأن ما حرّمها من فعل الطاعة بالعجز والضعف أكثر ثواباً وأعظم أجراً. وقال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء. وقد بين النبيّ صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بياناً شافياً يُغني عن كلام الأطباء فقال: ( ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فنثث ل طعامه وثلث لشرا به وثلث لنفسه) (٤) (٥).

وقال القرطبي أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ " أي في كثرة الأكل، وعنه يكون كثرة الشرب، وذلك يثقل المعدة، ويثبط المعدة، ويثبط الإنسان عن خدمة ربّه، والأخذ بحظه من

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٢٧.

(٢) سورة الأنعام، من الآية: ١٤٥.

(٣) سورة الأعراف، من الآية: ٣١.

(٤) جامع الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في كراهية كثرة الأكل، الراوي: مقدم

بن معد يكرب، درجة الحديث: حسن صحيح، رقم الحديث: ٢٣٨٠، رقم الصفحة: ٥٤٢.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٧ / ١٩١.

نوافل الخير. فإن تعدى ذلك إلى ما فوقه مما يمنعه القيام بالواجب عليه حُرْم عليه، وكان قد أسرف في مطعمه ومشربه وقال ابن زيد: معنى ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ لا تأكلوا حراماً، وقيل: من الإسراف الأكل بعد الشبع. وكل ذلك محظور " (١).

وقد أشار القرآن الكريم أيضاً إلى التوازن في الغذاء والتزود بالغذاء المتكامل العناصر الذي يحفظ للجسم والعقل توازنهما بقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَخَلًّا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَيْكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَعًا لَكُمْ وَلِيُنَعِّمَ اللَّهُ ﴿٣٢﴾ وَقوله تعالى: ﴿وَاللَّانِعْمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٣٣﴾.

ثالثاً: قوة الذكر، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤﴾، الذكر يعطي الذاكر قوة في الروح، وقوة في البدن كذلك، وفي الآية " عَلَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنُونَ إِذَا اتَّقَوْا بِالفئة وهي الجماعة من المحاربين نوعين من الأدب، الأول: الثبات وهو أن يوطنوا أنفسهم على اللقاء ولا يحدثوها بالتولي. والثاني: أن يذكروا الله كثيراً" (٥)، فارتبط الذكر بالفلاح وهو قوة على قوة، في البدن والروح.

وذكر القرطبي في قوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٤﴾ ثلاثة أقوال للعلماء في هذا الذكر: " الأول: أذكروا الله عند جزع قلوبكم؛ فإن ذكره يُعين على الثبات في الشدائد. الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم؛ فإن القلب لا يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان؛ فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أقدامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦﴾. وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهي الشجاعة المحمودة في الناس.

(١) القرطبي، المرجع السابق، ٧ / ١٩٤ - ١٩٥.

(٢) سورة عبس، الآية: ٢٤ - ٣٢.

(٣) سورة النحل، الآية: ٥.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ٨ / ١٧٦، (بتصرف).

(٦) سورة البقرة، من الآية: ١٥٠.

الثالث: أذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في أبتياعه أنفسكم ومُثامنته لكم" (١).  
 فهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك،  
 ومن يخاف، وركوب الأهوال، ولها أيضا تأثير في دفع الفقر، وغيره من الفوائد الكثير.  
 والسنة النبوية مليئة بأحاديث تؤكد قوة الذكر للبدن، وتفسر مجمل القرآن الذي أيضا يشير إلى  
 هذه القوة في الذكر، أذكر من ذلك: أن فاطمة عليها السلام، شكت ما تلقى في يدها من الرحي  
 فأنت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة، فلما جاء أخبرته،  
 قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت أقوم، فقال: "مكانك"، فجلس بيننا حتى وجدت برد  
 قدميه على صدري، فقال: ( ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم ؟ إذا أويتما إلى  
 فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبرا أربعاً وثلاثين، وسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا  
 وثلاثين، فهذا خير لكما من خادم ) (٢)، فقل إن من داوم على ذلك وجد قوة في يومه تغنيه عن  
 خادم .

وقوله تعالى: ﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّلِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (٣)، جامعة لكل  
 من الذكر الذي جاء في حديث فاطمة رضي الله عنها عن النبي، من: التسبيح والتحميد والتكبير  
 والحوقة، قاله الجمهور في تفسير هذه الآية: وهي الكلمات المأثور فضلها: سبحان الله والحمد لله  
 ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ذكر الطبري في تفسيره هذا القول، فقال: " عن سعيد بن المسيب، قال: ﴿ وَالْبَقِيَّةُ  
 الصَّلِحَةُ ﴾: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله " (٤)  
 فالذكر له حظ كبير في تنمية القوة البدنية.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٨ / ٢٣.

(٢) البخاري، كتاب: الدعوات، باب: التكبير والتسبيح عند المنام، الراوي: علي رضي الله عنه، رقم الحديث: ٦٣١٨، رقم  
 الصفحة: ١٠٩٩.

(٣) سورة الكهف، من الآية: ٤٦.

(٤) الطبري، جامع البيان، ٩ / ٢٥٥.



رابعاً: أداء الشعائر التعبدية، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

أداء الشعائر التعبدية وسيلة لتنمية القوة البدنية، حيث كل حركة وكل فعل شرعه الله تعالى له حكمة عظيمة، ومن الناحية الفسيولوجية له أيضا بالغ الأثر والحكم، سواء كان في الصوم، أو الحج، أو الصلاة، أو غيره من العبادات. وسأذكر في هذا المقام شعيرة الصلاة، كيف تكون تنمية للقوة البدنية، موضحة الصحة في هذه العبادة ( الصلاة ) كنموذج، لما في الصلاة من بالغ الأهمية والأثر والمكانة، فهي ركن من أركان الإسلام، واخترت الصلاة لأنها تشمل جميع أركان الإسلام والعبادات، من حيث أن أدائها بجد ذاته يعتبر شهادة، بأنه: لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وفي الصلاة: إيتاء الزكاة عن كل سلامة في الجسم. وفي الصلاة من بدايتها حتى نهايتها صوم عن الأكل والشرب والكلام. والصلاة تبدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم والحج يبدأ بالتلبية وينتهي بالتحليل.

وفي معرض الحديث عن الصلاة كرياضة للبدن أقول: إن الركوع والسجود يتكرر في الصلوات المكتوبة ( ٥١ ) مرة في اليوم واللييلة، منها (١٧) ركوعا، و (٣٤) سجودا، وإذا أدى المسلم السنن فيكون قد أضاف (١٢٠) حركة جديدة. أما إذا نهل من سائر النوافل: كصلاة الضحى وقيام الليل و تهجد وتحية المسجد وسنة الوضوء وسجود التلاوة والشكر، فقد تصل هذه الحركات إلى ما شاء الله. وهي تصل في رمضان إلى (١٨٠) ركوعا وسجودا في اليوم الواحد أو أكثر، وذلك بحسب إمكانيات المسلم، فكثررة الركوع والسجود والصلاة عموما رياضة تنمي كل عضو في جسد الإنسان.

وهنا سأوضح بعض التمارين التي تحدث للجسم وأهميتها، بداية بالتكبير في الصلاة:

**تكبيرة الإحرام:** حيث يرفع المصلي يديه مبسوطتين إلى محاذاة أذنيه قائلا " الله أكبر ". وفي هذه الحركة تتمرن عضلات الأطراف العلوية بما فيها العضلات الباسطة للأصابع وتقلص العضلات الدالية وشبه المنحرفة وعضلات زنار الكتف الأخرى. ويرى بعض الأئمة أن رفع اليدين واجب عند الانتقال من الوقوف إلى حركة أخرى أو بالعكس، وبذلك تتكرر تمرينات هذه

(١) سورة الحج، الآية: ٧٧.

العضلات فتنمو وتنشط. وفي رفع الأطراف العلوية تبدأ انطلاقا التمارين المتلاحقة في الصلاة، فهي من الناحية الرياضية تعد طليعة الفائدة ومقدمة الخير والبركة، وكأنها تحمية الجسد لقيامه بباقي التمارين الحركية في الصلاة. (١)

**الوقوف:** وهو أن يقف المصلي مسترخي الجسم، ساكن الحركة، ثابت الرأس والجوارح، مركزا نظره أمامه، قابضا يمينه على يسراه، مفرجا بين أقدامه وموازيا بينهما. إن الوقوف بهذا الشكل النموذجي يعطي المصلي وضع استرخاء كامل لعضلات الجسم كلها، إلا عضلات اليد اليمنى، فالأطراف العلوية ليست مسبلة عموديا لأن اليد اليمنى قابضة على اليد اليسرى أمام الجسم، وهذا القبض يقوي عضلاتها وعضلات الساعد الأيمن لتبقى يميني المسلم قوية شديدة لغاية أرادها الله عز وجل. فلو أن اليد اليسرى هي التي تمسك باليمين لما حصل الاسترخاء الكامل المنشود للجسم، ولصادف المصلي عنقا وحرجا، وذلك لضعف اليد اليسرى وقلة حذاقتها. ولو كانت الأطراف العلوية مسبلة طويلة مدة الوقوف في الصلاة، لنجم بعض الأضرار التي تنتج عن ركود الدم الوريدي في الأوردة والأوعية الشعرية التابعة لهذه الأطراف، وترى عندها أوردة اليدين منتبجة مزرقة، ويخشى من تكرار هذا الركود الوريدي وبطئه أن تتشكل الخثرات الوريدية وترسل بالصمامات الوريدية - الجلطات - التي قد تكون سببا في كثير من الأمراض الخطيرة. (٢)

**الركوع،** قال تعالى: ﴿وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٣). ويكون بعطف الجذع على الأطراف السفلية بشكل زاوية قائمة، مع وضع اليدين على الركبتين والساقان منتصبين، والرأس معتدلا ممتدا على سوية الجذع لا مرفوعا ولا منخفضا، ويردد المصلي في الركوع ( سبحان ربي العظيم ) ثم ينهض فيستوي جسمه قائما. فبالركوع تقلص عضلات جدار البطن وعضلات الحوض والعضلة القابضة الفخذية، كما تقلص عضلات الكتفين واليدين والرقبة وغيرها، وتقلص هذه العضلات يجعلها قوية، كما إن تقلص عضلات جدار البطن يقويها وينشطها، ويخلص البطن من الشحوم الفائضة والدهون المتراكمة والتضخم والترهل، ويساعد حركات المعدة والأمعاء ويدعمها

(١) انظر: علوان، فارس، وفي الصلاة صحة ووقاية، ط١ ( جدة: دار المجتمع للنشر و التوزيع، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م )، ١٢٧.

(٢) انظر: وفي الصلاة صحة ووقاية، ١٢٨.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٤٣.

في أداء وظيفتها واستكمال نشاطها، كما أنه يدفع عضلة الحجاب الحاجز<sup>(١)</sup> باتجاه جوف الصدر، نظرا لاندفاع أحشاء البطن وضغطها على الحجاب الحاجز، والتسييح يزيد من تقلص هذه العضلة في أثناء الركوع ويساهم زفير جيد طويل يزداد طوله حتى يبلغ أقصى درجاته بازدياد التسييح وتكراره. وهذا الزفير الطويل المفيد يسمى " الزفير القسري " <sup>(٢)</sup> يطرح فيه المصلي الهواء الاحتياطي<sup>(٣)</sup> الموجود في الرئتين والمشبع بغاز الفحم - غاز ثاني اكسيد الكربون - ليحل محله بعد الشهيق الطويل، الذي يواكب النهوض من الركوع، هواء جديد نقي غني بالأوكسجين، مع نفحات سماوية غزيرة تنعش الروح قبل أن تنعش البدن متلازمة مع حمد الله تبارك وتعالى وشكره.

(٤)

**القيام من الركوع:** والقيام من الركوع يقلص عضلات الظهر والعمود الفقري والعضلات الباسطة الفخذية، ويفيد بخاصة كتلة العضلات المتينة التي تمتد على جانبي العمود الفقري والتي تسمى " الكتلة العضلية الظهرية العجزية " وهي أهم كتلة عضلات في جسم الإنسان، وإن جميع التمارين الرياضية المعروفة في عالم الرياضة مهما سمت أو دنت تشدد على تمرين هذه العضلات وتقويتها وذلك بحركات تشبه الركوع. وبهذا نستطيع أن نلم ببعض الأسباب التي جعلت نسبة إصابات العمود الفقري عند المصلين أقل من غيرهم، وبخاصة إذا قورنت مع شعوب البلاد الغربية حيث تكثر فيها أمراض العمود الفقري.<sup>(٥)</sup>

---

(١) الحجاب الحاجز: هي عضلة غشائية رقيقة على شكل قبتين تفصل جوف الصدر عن البطن، وتساهم في عمليات التنفس. علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية، مرجع سابق، ١٢٥.

(٢) فوائد الزفير القسري: يخلص الرئتين من الهواء المحبوس ( الهواء الاحتياطي )، يساهم في عودة الدم الوريدي إلى القلب الأيمن، يساعد على سرعة جريان الدم الوريدي من الأوردة المحيطة ويقاوم ركوده وتباطؤه، يشجع القشع أو البلغم والمفرزات المتراكمة في القصيبات الهوائية والقصبات والرغامى على الخروج، يزيد من مرونة الرئتين وليوتتهما، كما أنه يقوي عضلات التنفس الاحتياطية وبخاصة عندما يتبعه شهيق عميق، يقوي الإرادة يزيد من صفة التحمل والصبر. علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية، مرجع سابق، ١٣٠.

(٣) الهواء الاحتياطي: هو الهواء الآسن المتبقي في الرئتين في أثناء الزفير العادي المشبع بغاز الفحم ويكاد يخلو من الأكسجين، ولا يطرح هذا الهواء إلا بالزفير القسري. علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية، مرجع سابق، ١٢٦.

(٤) انظر: علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية، ١٣٠.

(٥) انظر: علوان، المرجع السابق، ١٣٣.

وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها)<sup>(١)</sup>. فهذه التوجيهات النبوية لها الأثر العظيم في صحة الجسد، وصحة الصلاة، فوجب الاطمئنان فيها.

السجود، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا ۗ بِأَلْسِنَةٍ وَأَقْدَامٍ وَآبَالٍ ۗ﴾<sup>(٢)</sup>

ويكون بالجثي على الركبتين ثم اليدين ثم الجبهة حتى تلامس الأرض بحركات موزونة رتيبة لا سريعة ولا بطيئة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: ( أمرت أن أسجد على سبعة أعظم: على الجبهة - وأشار بيده على أنفه - واليدين والركبتين وأطراف القدمين، ولا نكفت الثياب والشعر )<sup>(٣)</sup>، مردداً ( سبحان ربي الأعلى ). وخصائص السجود الصحية كثيرة لأنها أهم ما في هذه الرحلة وأقرب ما يكون المصلي إلى خالقه، نذكر منها، أنه في أثناء السجود يقوم المصلي من حيث لا يدري بتطبيق " الزفير القسري " العظيم المنفعة، وذلك لسبب وضعية الساجد المميزة، وتسييح الساجد، خاصة إذا كان بصوت يسمعه، يجعل الهواء يخرج عن آخره خلال إصدار الكلام في أثناء الزفير، وكلما زاد التسييح طال الزفير القسري وبلغ أوجه، ويضاف إلى ذلك إذا دعا الساجد بالأدعية الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويفضل هنا أن يسبح ويدعو بزفير واحد إذا استطاع لأنه أعم للفائدة. والأطراف السفلية وجميع العضلات الموجودة في الحوض تنقبض وتنسبط تبعاً مما يؤدي إلى تقويتها وتنشيطها، فتزداد تغذيتها وتنمو وتكبر. أما المفاصل، أكثرها

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، الراوي: أبو هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث: ٧٩٣، رقم الصفحة: ١٢٨. صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، الراوي: أبو هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث: ٣٩٧، رقم الصفحة: ٢١٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: السجود على الأنف، الراوي: عبد الله بن عباس رضي الله عنه، رقم الحديث: ٨١٢، رقم الصفحة: ١٣٢. صحيح مسلم، كتاب: الصلاة، باب: أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة، الراوي: ابن عباس رضي الله عنه، رقم الحديث: ٤٩٠، رقم الصفحة: ٢٥٣.

تتمرن وتعمل بانتظام واستمرار خلال السجود، فتزول ييوستها وتحتفظ بمرونتها وتحسن وظيفتها. وجاءت السنة الشريفة لتكتمل موكب الصحة، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ييسط أصابع قدميه أثناء السجود ويوجههم إلى القبلة مع بسط القدمين، كما روى ابن حميد في صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: ( رأيتُه إذا كبر جعل يديه حذو منكبيه، وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه ثم هصر ظهره، فإذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل فقار مكانه، فإذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة )<sup>(١)</sup>، وفي السجود تروية الدماغ وتغذيته، وتخليص الجسد من الشحنات الضارة به.

وباختصار فإن حركة السجود تؤدي إلى منافع جمّة في تيسير مهمة الارتجاع الدموي صوب القلب بما يلي: " توجية الدورة الوريدية بالجسم عموماً في اتجاه عمل الجاذبية الأرضية. تنشيط المضخة الوريدية في البطن إلى أقصى درجة ممكنة. سحب الدماء بمضخة الساق من الطاقم السطحي إلى الطاقم العميق من أوردة الطرف السفلي " <sup>(٢)</sup>.

فالصلاة بركوعها وسجودها جعلت من المسلمين الأوائل أبطال التاريخ وعباقرة الزمان وأعجوبة الدنيا، فترى أحدهم أفضل الناس عبادة وطهراً وعدلاً، وأحسنهم عقلاً وعلماً وفهماً، وأكملهم صحة وقوة وعزماً، وما اجتمع لأمة من الأمم هذا العدد الضخم من نوابغ العلماء وفطاحل المفكرين مثل ما اجتمع لأمة آمنت بقول ربها: ﴿ تَرَلُّهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾<sup>(٣)</sup>، بهذا أصبحوا سادة الدنيا وأساتذة العالم ورواد العلوم والمعارف لمدة زادت عن أحد عشر قرناً، ثم: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح البخاري، كتاب: الأذان، باب: سنة الجلوس في التشهد، الراوي: أبو حميد الساعدي، رقم الحديث: ٨٢٨، رقم الصفحة: ١٣٤.

(٢) قرامي، زهير رابع، الإستشفاء بالصلاة دراسة حول الفوائد الصحية للصلاة على ضوء العلم الحديث، ط١ ( مكة المكرمة: هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م )، ١٠٧.

(٣) سورة الفتح، من الآية: ٢٩.

(٤) سورة مريم، الآية: ٥٩.

**القعود:** القعود هو حالة استرخاء للجسم يقعد فيه المصلي على رجله اليسرى في القعود الأول، ويقدم الرجل اليسرى ليقعد على اليسرى في القعود الأخير، وفي كلتي الحالتين تبقى الرجل اليمنى منتصبة وتبقى أصابعها مثنية إلى الأمام تواجه القبلة. وفي القعود يكون معظم ثقل الجسم مركزا على الأطراف السفلية، فتضغط الأنسجة الرخوة التي تحويها وتنضغط العضلات والعروق الدموية، فتعصر هذه عصرا بثقل الجسم، فينضخ الدم الوريدي منها ليسير إلى الأعلى قدما باتجاه القلب الأيمن، وتتخلص الأطراف السفلية مرة ثانية من ركودة الدم أو تباطئه في الأوردة الأمر الذي قد يسبب أمراضا وخيمة. والقعود أيضا أقوم لصحة العمود الفقري إذ يصب المصلي ظهره عموديا أثناء القعود، فيتفادى بذلك أمراضا وآلاما كثيرة. (١)

**التسليم:** يعد التسليم من الناحية الصحية تمرينا جيدا لعضلات الرقبة، فالالتفات إلى اليمين واليسار يقلص العضلة القصية الترقوية الخشائية اليمنى واليسرى وعضلات الرقبة الأخرى، كما يقلص عضلات زنار الكتفين وأعلى الظهر. ويحرك التسليم العمود الفقري الرقي ويساعد على إزالة تصلباته والتصاقات، ويعمل على تحرير عروق الدم الكبيرة في الرقبة، فيخلصها مما قد يعيق وظيفتها ويشبط دوران الدم فيها من ثني أو ضغط من الأعضاء المجاورة (٢).

هذا بعض من تحليل وشرح كيف تكون الصلاة تنمية للقوة البدنية، لعل العبد يعي عظيم المنفعة الجسدية والروحية فيها، فيزداد خشوعا وإقبالا واثقانا في الدخول إليها وتأديتها، وذلك في الصلاة وفي جميع العبادات. ولو تحدثت عن كل شعيرة لأخذ ذلك بحوثا طويلة، ولكن أكتفي بهذا القدر من التوضيح والإشارة إلى هذه التنمية الجسدية في مثال ( الصلاة )، تحفيزا لتنمية هذه القوة في أداء الشعائر كلها.

(١) انظر: علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية، ١٤٥.

(٢) انظر: علوان، المرجع السابق، ١٥٠.

# الباب الثالث

## تنمية القوة في المجتمع المسلم

وفيه ثلاث فصول

الفصل الأول : تنمية القوة الاجتماعية

الفصل الثاني : تنمية القوة الاقتصادية

الفصل الثالث : تنمية القوة الحضارية

# الفصل الأول: تنمية القوة الاجتماعية

وفيه مبحثان

المبحث الأول: التنمية الاجتماعية وعلاقتها بالقوة

المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الاجتماعية



## المبحث الأول:

### التنمية الاجتماعية وعلاقتها بالقوة

القرآن الكريم ذكر ووضح كل الأصول الأساسية والجوهرية في حياة البشرية، وفيما يتعلق بالاتصال الاجتماعي خصوصا، فالقرآن توسع فيه وشمله بذكر جميع العلاقات الاجتماعية، دليلا على أهمية هذه العلاقات الاجتماعية في الحياة، وأنها من القوة التي تشد الإنسان وعضده. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضا )<sup>(١)</sup>، وهذه العلاقات الاجتماعية وضحتها الآيات القرآنية في مواضع كثيرة، دليلا على أهميتها في حياة الفرد والمجتمع، كالتالي:

أولاً: في علاقة الآباء والأبناء، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ ﴾<sup>(٢)</sup> وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا ۗ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۗ ﴾<sup>(٤)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةً ۖ اِمْلَقِ ۗ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۗ ﴾<sup>(٥)</sup>.  
ثانياً: في علاقة الزوج بزوجه، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الراوي: أبي موسى، رقم

الصفحة: ١٣٩٦، رقم الحديث: ٢٥٨٥.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٣ - ٢٤.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٨.

(٤) سورة الإسراء، من الآية: ٣١.

(٥) سورة الروم، من الآية: ٢١.

وقال تعالى: ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (١).

وقوله الحق: ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ حِفْظَةُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ (٢).

ثالثا: في علاقة الأرحام وذوي القربى، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى ﴾ (٣). وقوله تعالى: ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾ (٤).

رابعا: في علاقات الجوار، قال تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا ﴾ (٥).

خامسا: في العلاقة بعامة المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَافِيفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا إِنَّهُ أَخَذَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٦).

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٣) سورة النحل، من الآية: ٩٠.

(٤) سورة البقرة، من الآية: ١٧٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٦) سورة الحجرات، الآية: ٩ - ١٢.

سادسا: في العلاقة بغير المسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ  
وَلَمْ تُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١) إِنَّمَا  
يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ  
أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

هذه الآيات بعض النماذج على اهتمام وحث القرآن على التنمية الاجتماعية بكل نواحيها، مما

يثبت قوة العلاقة بينها وبين القوة، إذ أن الاتصال في ذاته قوة، تظهر جليا في كثير من آيات

القرآن وأحاديث السنة النبوية.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٨ - ٩.

## المبحث الثاني:

### وسائل تنمية القوة الاجتماعية

هناك وسائل كثيرة ذكرها القرآن لتنمية القوة الاجتماعية، من أهمها:

أولاً: تكوين انطباع أولي: وذلك بعدة خطوات أساسية ذكرت في القرآن الكريم، كالتالي:

١ - الابتسام، لقوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

لم تذكر كلمة ( الابتسام ) لفظاً إلا مرة واحدة في هذه الآية الكريمة، أما معناها الذي نريد، فقد ذكر في آيات شتى يؤكد أهمية هذه الحركة البسيطة في تعابير الوجه بالاتصال بالآخرين وترك انطباع أولي حسن في ذاكرتهم، قال السعدي في هذه الآية: " ﴿ فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ إعجاباً منه بفصاحتها ونصحها وحسن تعبيرها. وهذا حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأدب الكامل، والتعجب في موضعه وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم، فإن القهقهة تدل على خفة العقل وسوء الأدب. وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه، يدل على شراسة الخلق والجبروت " <sup>(٢)</sup>. و يظهر الابتسام أيضاً في مثل قوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٢٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وكما أن أغلب علوم التنمية البشرية تؤكد على ضرورة الابتسام لبناء العلاقات الإنسانية وكيفية التأثير على الآخر من خلال الابتسام، يأتي القرآن الكريم سباقاً للبحث على هذه السمة وتوضيح سبل التحلي بها أو كيف تكون هبة من الله تعالى لعباده المؤمنين، ولو لم تذكر بهذا اللفظ المعروف بين الناس، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِّنْ حَوْلِكَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النمل، من الآية: ١٩.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٦٥٤.

(٣) سورة عبس، الآية: ٣٨ - ٣٩.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٥٩.

٢- إلقاء السلام، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: " يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ ﴾: إذا دعي لكم بطول الحياة والبقاء والسلامة ﴿ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ فادعوا لمن دعا لكم بذلك بأحسن مما دعا لكم، ﴿ أَوْ رُدُّوهَا ﴾ أو ردّوا التحية " <sup>(٢)</sup>.

وقال السعدي: " التحية هي: اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها. وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع، من السلام ابتداءً ورداً. فأمر تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي تحية كانت، أن يردوها بأحسن منها لفظاً وبشاشة، أو مثلها في ذلك. ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أو ردها بدونها. ويؤخذ من الآية الكريمة الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين: أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعاً. الثاني: ما يستفاد من أفعل التفضيل وهو ( أحسن ) الدال على مشاركة التحية وردها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك " <sup>(٣)</sup>.

فإلقاء السلام لما له من الأثر الطيب في النفوس كان مهماً أن يذكر في القرآن، وهو أيضاً خطوة لاتصال اجتماعي يتسم بقوة الهوية الإسلامية والإعلان عن السلم بأرقى أشكاله في السلام والمصافحة عند اللقاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا. أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ) <sup>(٤)</sup>.

٣- حسن الاستماع، وأحب أن أشير في هذه الصفة إلى الحوارات الواردة في سورة ( يوسف ) عليه السلام، منها:

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَ يَبْنِي لَكَ قَصْصًا وَإِنِّي لَأَكِيدُكَ فِي الْكَيْدِ الْكَبِيرِ ۗ ﴾

(١) سورة النساء، من الآية: ٨٦.

(٢) الطبري، جامع البيان، ٤ / ١٨٨ - ١٨٩.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٧٩ - ١٨٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب حصولها، الراوي: أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الصفحة: ٤٧، رقم الحديث: ٥٤.

الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ تَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آئَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾. فكان أدب الاستماع واضحا في حوار يوسف عليه السلام مع أبيه، وكيف رد عليه الأب بروعة الجواب نتيجة حسن استماعه، وإن كان حسن الانصات والاستماع مطلوب في بناء العلاقات وتنميتها، فيجب توفرها في بيئة الأسرة وأفرادها في المقام الأول.

وفي موضع آخر، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِمْ فَأَرْسَلُونِي يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عَفَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢). أي ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا ﴾ " من الفتين، وهو: الذي رأى أنه يعصر خمرا، وهو الذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربه ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ أي: وتذكر يوسف، وما جرى له في تعبيره لرؤاهما، وما وصاه به، وعلم أنه كفيلا بتعبير هذه الرؤيا بعد مدة من السنين فقال: ﴿ أَنَا أُنْتَبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِمْ فَأَرْسَلُونِي ﴾ إلى يوسف لأسأله عنها . فأرسلوه، فجاء إليه، ولم يعنفه يوسف على نسيانه، بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك " (٣).

وهذا من حسن الاستماع واتقان الإنصات، إذ أنه عليه السلام، لم يعنفه ولم يشترط الخروج قبل أن يخبره، وكل الحوارات في السورة تعلم فن الاستماع، فحسن الاستماع يكون حتى نهاية الحديث، ولا يُقاطع المتحدث أثناء حديثه، وفي مواضع أخرى يكون الاستماع حسنا ولو كان الكلام رديئا سيئا، لأن حسن الاستماع يولد أيضا حسن الفهم، وحسن الرد وإظهار الحق في الإجابة أو الصمت.

ويظهر حسن الاستماع في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، لأهميته في الاتصال والتواصل الإنساني وبناء العلاقات وتنمية قوتها، كيف لا وهي من سبل هداية الإنسان إذا استمع وانصت لآي القرآن في المقام الأول ! قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٤).

(١) سورة يوسف، الآية: ٤ - ٥ - ٦.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٥ - ٤٦.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٤٢٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

ثانيا: صناعة المشاعر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

في هذه الآية كريمة، أساس مهم في وضع وتكوين العلاقات، وصناعة المشاعر الداخلية، وطرق الاتصال الاجتماعية بالآخرين، كيف ذلك؟

إذا استطاع المسلم أن يخضع مشاعره لتفكيره وواجباته، فإنه يمكن للمرء أن يقيم علاقاته الاجتماعية على أساس عقلاي ووفق حقوق التبادل الاجتماعي، كما يمكن أن يقيّمها على معطيات المشاعر. والعواطف شديدة التقلب سريعة التغير، وردود الأفعال الأولية على أحداث الحياة وتصرفات الناس، هي ردود عاطفية في المقام الأول. وإذا اعتمد الإنسان تلك الردود أساسا للتصرف، فإن علاقاته واتصاله الاجتماعي لن يكون جيدا بالقدر المتوازن في كل الأحوال. وحتى يكون الشخص من لبنة صالحة في بنية اجتماعي قوي، فإن عليه أمرين، هما خلاصة الآية السابقة:

١- أن يبني علاقاته على أساس عقلاي قوي، يتم من خلاله الأخذ بعين الاعتبار وجهات نظر الناس، وترتيبهم لسلمهم القيمي، إلى جانب ظروفهم ومصالحهم الخاصة. ولا يعني هذا إهمال العواطف والأحاسيس وتحييدها، وإنما يعني تطهيرها ببعض الخبرات والتواعد الثقافية؛ مما يضيف عليها المنطقية والاستمرار.

٢- النظر إلى المشاعر والعواطف على أنها نتائج وثمرات لتصرفاتنا وسلوكياتنا، وليست أشياء حتمية علينا أن نخضع لها. وهذه النظرة تشكل فارقا مهما بين الكسالى والمتقاعسين والفوضويين، وبين الواثقين في أنفسهم الذين يشعرون بقدر جيد من السيطرة على مشاعرهم وعاداتهم النفسية.<sup>(٢)</sup>

وهذا بالضبط ما ترشد إليه الآية الكريمة، إذا ما فهمت الفهم الصحيح، وضح ذلك السعدي في تفسيرها فقال في قوله ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾ أي: " لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجاء رضا الله تعالى، ولا فعلا السيئات والمعاصر التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها، ﴿ هَلْ جَزَاءُ

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

(٢) انظر: بكار، عبد الكريم، العيش في الزمان الصعب، طه (جدة: دار البشير، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ٢٧٥ - ٢٧٦.

إِلَّا أَحْسَنَ إِلَّا إِلَّا أَحْسَنُ ﴿١﴾، ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: ﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصاً من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك فاعف عنه، وإن تكلم فيك غائباً أو حاضراً فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك وترك خطابك، فطَّيَّبْ له الكلام، وابدل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة، وهي: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: كأنه قريب شفيق " (٢).

وهذا من المنطق العقلاني وتوجيه العاطفة من السلب إلى الإيجاب. والذي يدل على هذا المعنى، هذه القصة الاجتماعية في صناعة المشاء بعقلانية، تحت منحة الشدة، الآلة التي تليها، حيث قال سبحانه: ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣).

"أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يجبه الله، فإن النفوس مجبولة على مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟! فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتلأ أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس عمله، لا يفيد شيئاً، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذاً مستحلياً له ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق " (٤).

ثالثاً: التخلق بالأخلاق الحسنة (٥):

الحديث عن الأخلاق طويل، يكاد لا ينتهي، غير أنني سأسرد هنا أهم الأخلاق الاجتماعية من وجهة نظري، كأساس لتنمية الاتصال بين أفراد المجتمع، بحيث يكون أساساً قويا يؤدي إلى حسن

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٢٠.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٢٠.

(٥) الرجوع إلى: الباب الثاني: تنمية القوة عند الفرد المسلم، الفصل الثاني: تنمية القوة الخلقية، ص ٥٦.



ونماء التواصل، وهي:

١ - الصبر، لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: " ولمن صبر على إساءة من أساء إليه، وغفر للمسيء إليه جرماً إليه، فلم ينتصر منه، وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه، لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده، وعزم عليهم العمل به " <sup>(٢)</sup>.

وقال الزمخشري: " ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على الظلم والأذى ﴿وَوَغَفَرَ﴾ ولم ينتصر وفوض أمره إلى الله ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ منه ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وحذف الراجع لأنه مفهوم. ويحكي أن رجلاً سب رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله، فكان المسبوب يكظم، ويعرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون " <sup>(٣)</sup>.

وأضاف ابن كثير: " ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾، أي: صبر على الأذى، وستر السيئة ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ قال سعيد بن جبير، يعني: لمن حق الأمور التي أمر الله بها، أي: لمن الأمور المشكورة، والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل، وثناء جميل " <sup>(٤)</sup>.

فمخالطة الناس والصبر على أذاهم، هو بلا شك من تنمية القوة في الاتصال الاجتماعي، وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم: ( المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ) <sup>(٥)</sup>. قال تعالى: ﴿وَلَنَصَبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾<sup>(٦)</sup>. وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٣.

(٢) الطبري، جامع البيان، ١٣ / ٤٠.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٣ / ٤٧٣.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٦٧٤.

(٥) جامع الترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع، باب: في فضل المخالطة مع الصبر على أذى الناس، الراوي: يحيى بن وثاب، درجة الحديث: صحيح، رقم الصفحة: ٥٧٠، رقم الحديث: ٢٥٠٧. وابن ماجه، الفتن، باب: الصبر على البلاء،

الراوي: ابن عمر، درجة الحديث: صحيح، رقم الصفحة ٣ - ٤ / ٦٣٦، رقم الحديث: ٤٠٣٢.

(٦) سورة إبراهيم، من الآية: ١٢.

٢- التراحم، لقوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري، أي: " رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم " <sup>(٣)</sup>، وقال السعدي: " متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق " <sup>(٤)</sup>. وهذه هي الطريقة التي علمها الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وعلمها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم، ولنا فيهم أسوة حسنة، قال تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>، ووصفهم في موضع آخر بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ ﴾<sup>(٦)</sup> أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ<sup>(٦)</sup>. وهذه قوة اجتماعية واضحة لمن اتصف بالصبر، والرحمة في اتصاله مع الآخرين. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ( مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد. إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ) <sup>(٧)</sup>.

٣- الكلم الطيب، لقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾<sup>(٨)</sup>.

انتقاء أحسن الكلمات والعبارات في الاتصال مع الآخرين أمر بالغ الأهمية، وقد وضحت الآية مجمل هذه الأهمية وسببها، وهذا من لطف الله عز وجل بعباده أن دعاهم لأحسن الأخلاق وأكرمها لينالوا سعادة الدنيا والآخرة.

(١) سورة يوسف، من الآية: ١٨.

(٢) سورة الفتح، من الآية: ٢٩.

(٣) الطبري، جامع البيان، ١٣ / ١٠٩.

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٧٣.

(٥) سورة المائدة، من الآية: ٥٤.

(٦) سورة البلد، الآية: ١٧ - ١٨.

(٧) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، الراوي: النعمان بن بشير، رقم

الصفحة: ١٣٩٦، رقم الحديث: ٢٥٨٦.

(٨) سورة الإسراء، من الآية: ٥٣.

قال الطبري في هذه الآية: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وقل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة، إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضاً يترغ بينهم، يفسد بينهم، يهيج بينهم الشر " (١).

وقال القرطبي: " أمر الله تعالى في هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصةً، بحسن الأدب والإنابة القول وخفض الجناح وأطراح نزغات الشيطان، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ( وكونوا عباد الله إخواناً ) (٢) " (٣).

وقال ابن كثير: " يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك، نزع الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، وأوقع الشر والمخاصمة والمقاتلة " (٤).

وأضاف السعدي: " وهذا أمر بكل كلام يقرب إلى الله من قراءة، وذكر، وعلم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وكلام حسن لطيف مع الخلق على اختلاف مراتبهم ومنازلهم، والقول الحسن داع لكل خلق جميل وعمل صالح، فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره " (٥).

وهذه من أهم وسائل تنمية قوة الاتصال الاجتماعي، لقوله تعالى: ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٦).

رابعا: قواعد الآداب: قواعد الآداب التي ذكرها القرآن الكريم في مجال الاتصال الاجتماعي التي يجب التحلي بها كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - الاستئذان قبل الدخول على الغير، لقوله تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ

(١) الطبري، جامع البيان، ٩ / ١٠٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم التحاسد والتباغض والتدابير، الراوي: أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم الصفحة: ١٣٨٥، رقم الحديث: ٢٥٥٩.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٠ / ٢٧٧.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١١٢٣.

(٥) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٤٩٠.

(٦) سورة النحل، من الآية: ١٢٥.

تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذِنُوا كَمَا اسْتَعِذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾

٢- خفض الصوت، وعدم مناداة أهل الفضل والعلم من الخارج، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾

٣- التحية عند الدخول، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا

(١) سورة النور، الآية: ٢٧ - ٢٩.

(٢) سورة النور، الآية: ٥٨ - ٥٩.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٢ - ٤.

دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١﴾.

٤- حسن الجلسة، لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا﴾ (٢).

٥- أن يكون موضوع الحديث خيرا، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٣).

٦- الاستئذان عند الذهاب، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ (٤).  
خامسا: فن الاختلاف، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (٥).

الاختلاف هو من الفطرة التي جبل الناس عليها، قال ابن كثير: "﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم" (٦).  
وقال صاحب المنار: "خلقهم بمقتضى حكمته كاسيين للعلم لا ملهمين، وعاملين بالاختيار وترجيح بعض الممكنات المتعارضة على بعض، لا مجبورين ولا مضطرين، وجعلهم متفاوتين في الاستعداد وكسب العلم واختلاف الاختيار، وقد كانوا في طور الطفولة النوعية في الحياة الفردية والجماعية والاجتماعية، الساذجة أمة واحدة لا مثا، للاختلاف بينهم، ثم كشواها دخلها في طور الحياة الاجتماعية فظهر استعدادهم للاختلاف والتنازع فاختلّفوا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ

(١) سورة النور، من الآية: ٦١.

(٢) سورة المجادلة، من الآية: ١١.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٩.

(٤) سورة النور، من الآية: ٦٢.

(٥) سورة هود، الآية: ١١٨.

(٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٧٢.

النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴿١﴾، في كل شيء بالتبع لاختلاف الاستعداد ﴿٢﴾ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿٣﴾ في كل شيء حتى الدين الذي شرعه الله لتكميل فطرتهم وإزالة الاختلاف بينهم ﴿٤﴾.

فالناس مختلفون تماماً، ولا يمكن أن نجد شخصين في هذا العالم متطابقين على وجه التمام، فالتنوع و كثرة الخيارات جعلت الاختلاف يزداد بيننا، وكذلك اختلاف القيم والأفكار من شخص لشخص، بل قل من بيئة لبيئة أخرى، جعلتنا نختلف أكثر. وفي الاختلاف ميزة، فهمها يجد من المشكلات المعاصرة، خصوصاً تلك الخلافات التي تدعو للمساواة بين الذكر والأنثى، وهذا ينافي الصواب، لأن طبيعة كليهما مختلفة عن الآخر، ولم يحدث ذلك إلا لقصور الفهم والوعي، والانجذاب لحضارة الغرب وتقليدهم التقليد الأعمى، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ ﴿٣﴾

ومن أهم خطوات بناء القدرة على تقبل الاختلاف وتنمية الاتصال معه:

- ١- اليقين بأن هذا الاختلاف سنة إلهية، قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٤﴾.
- ٢- الاختلاف رحمة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴿١١٩﴾ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١٢٠﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥﴾

قال ابن عاشور: " فلا شك أن حكمة الله اقتضت هذا النظام في العقل الإنساني لأن ذلك أوفى بإقامة مراد الله تعالى من مساعي البشر في هذه الحياة الدنيا الزائلة المخلوطة، لينتقلوا منها إلى عالم الحياة الأبدية الخالصة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فلو خلق الإنسان كذلك لما كان العمل الصالح

(١) سورة يونس، من الآية: ١٩.

(٢) رضا، تفسير المنار، ١٢ / ١٥٠.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ٣٦.

(٤) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

(٥) سورة هود، من الآية: ١١٨ - ١١٩.

مقتضياً ثواب النعيم ولا كان الفساد مقتضياً عقاب الجحيم، فلا جرم أن الله خلق البشر على نظام من شأنه طريان الاختلاف بينهم في الأجور، ومنها أمر الصلاح والفساد في الأرض وهو أهمها وأعظمها لتفاهت الناس في مدارج الارتقاء ويسموا إلى مراتب الزلفى فتميز أفراد هذا النوع في كل أنحاء الحياة حتى يعد الواحد بألف ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (١) " (٢).

٣- احترام الوجود الذاتي للإنسان، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣).

هذه الآية الكريمة توضح المنهج في كيفية تعلم فن الاختلاف بشكل معجز، إذ أن الله سبحانه وتعالى لا يريد من هذا القول الكريم مجرد التقرير والخبر وإفادة المعنى، بل يريد النص على سنة باقية، وقانون أصيل من قوانين صلاح الفرد والمجتمع.

فلكل إنسان شخصيته المتفردة والمستقلة، " فإذا هو حافظ على هذا الاستقلال، ودعم أصوله، وزكى فروعه، وعاش في نطاق ذاتيته الخاصة، فقد مضى على سنة الله إذ أراد أمة واحدة، ودولة قائمة بذاتها. وإذا هو لم يعرف لنفسه حقها، فنافق الرؤساء ومن إليهم، أو مضى يقلد بعض ذوي الشهرة في حركاتهم وأصواتهم ومظاهرهم وطريقة أدائهم للأعمال، أو راح على غير سجيته يتكلف الأمور ويرائي الناس في تصرفاته، فقد جانب سنة الله، وأهدر شخصيته، وغير خلق الله الذي آثره به وسواه عليه، وتغيير خلق الله ما فتىء ديدن الشيطان منذ أقسم بين يدي الله: ﴿وَلَا مَرَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ (٤) " (٥).

ف نجاح الاتصال الاجتماعي يكمن في أن يحترم الإنسان ذاته أولاً، ثم يحترم الآخر، ففي الآية " يقرر سبحانه أن لكل إنسان حقه في اختيار الوجهة التي يريد لها لخدمة نفسه وقومه، أي حقه في أن يعيش حراً في نطاق المجتمع الصالح المتكافل، إذ يجب أن يكون هذا الاتجاه من نبع فؤاده ووحى ضميره ووجدانه، والله سبحانه يقول: ﴿هُوَ مُوَلِّيَهَا﴾ أي لكل إنسان وجهة هو الذي يتولى

(١) سورة الأنفال، من الآية: ٣٧.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٠ - ١١ - ١٢ / ١٨٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٤) سورة النساء، من الآية: ١١٩.

(٥) الغزالي، محمد، جدد حياتك، ط ٢٠ (جدة: دار البشير، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، ١٥٣ (بتصرف يسير).

نفسه التوجه إليها، أو هو الذي يولي وجهه ونفسه نحوها، فإذا حملناه على غير طبيعته، فقد حملناه على الرهق، وأدخلناه التشويش على عوامله النفسية المؤتلفة، وذلك أيضا من تغيير خلق الله " (١).

٤ - الاختلاف ضمان للصالح والوحدة، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢).

تقرر الآية شروط الاختلاف، وتكفل خيرها وبرها، بتحديد الغاية الكبرى التي تنظم سير وجهات الناس الخاصة والمختلفة، إذ لا يستقيم اتجاهها للمسلم من غير غاية مقصودة، وهي الخير، فذلك مقرر في كل فطرة، وكل فلسفة رشيدة، وكل دين، ولذا قال سبحانه: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ أي: فاجعلوا الخير غايتكم في كل وجه تنبعثون إليه. فإذا تقرر الهدف كانت وحدة الأمة. (٣)

٥ - الاختلاف للتكامل، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ ﴾ (٤).

لما ذكرت الآية كلمتين: ﴿ شُعُوبًا ﴾ و ﴿ قَبَائِلَ ﴾ دل ذلك على الاختلاف والتفاوت بينهم في أعراقهم وأنسابهم وألوانهم، قال الزمخشري: " والشعب: الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب، وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة؛ فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل: خزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصى بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة، وسميت الشعوب؛ لأن القبائل تشعبت منها. وقرئ: ( لتعارفوا ) ولتعارفوا بالإدغام. ولتعرفوا، أي لتعلموا كيف تتناسبون. ولتتعرفوا " (٥)، و ﴿ لِتَعَارَفُوا ﴾ أي ليتقبل كل منهم الاختلاف بينهم وينسجموا مع بعضهم البعض.

ومجددا ربط اختلافهم بالغاية لتكون الوحدة مقصدهم، وهي التقوى. قال السعدي: "جعلهم شعوبا وقبائل أي: قبائل صغارا وكبارا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم

(١) الغزالي، جدد حياتك، ١٥٣.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ١٤٨.

(٣) انظر: الغزالي، مرجع سابق، ١٥٥ - ١٥٦.

(٤) سورة الحجرات، من الآية: ١٣.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ٣ / ٥٦٩.



لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعةً وانكفافاً عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوماً، ولا أشرفهم نسباً " (١). وتحقيق هذه التنمية في الاتصال الاجتماعي، هو بلا شك من تحقيق القوة. فالاختلاف لا يفسد الاجتماع (٢)

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٨٨٠ - ٨٨١.

(٢) أنه أنبي ذكرت الاختلاف المحمود، وهناك اختلاف مذموم، مثل: الاختلاف في العقائد وأصول الأحكام الثابتة، وما كان سببه البغي واتباع الهوى، والاختلاف الذي يؤدي إلى تفرق كلمة الأمة وتسبب العداوة والتنازع والفرقة. فالاختلاف ليس في الحق الواضح ولا يسوغ الاتفاق على الباطل.

## الفصل الثاني: تنمية القوة الاقتصادية

وفيه مبحثان

المبحث الأول: التنمية الاقتصادية وعلاقتها بالقوة

المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الاقتصادية

## المبحث الأول:

### التنمية الاقتصادية وعلاقتها بالقوة

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾<sup>(١)</sup>. أي: " التي هي قوامك بعد الله، فهي قيام عيشك " <sup>(٢)</sup>.

وقال صاحب المنار: " معنى جعل الأموال قياماً للناس تقوم وتثبت بها منافعهم ومرافقهم ولا يمكن أن يوجد في الكلام ما يقوم مقام هذه الكلمة ويبلغ ما تصل إليه من البلاغة في الحث على الإقتصاد وبيان فائدته " <sup>(٣)</sup>.

فهذا بيان لأهمية التنمية الاقتصادية، وقوتها؛ إذا كبحت جماح النفس عن اتباع هواها وشهواتها، متذكراً أن المال وسيلة وليس غاية في نفسه. فالمال في نظر الإسلام مال الله، والإنسان مستخلف فيه، فهو مؤتمن عليه، ومقتضى الأمانة ألا ينفقه إلا فيما يرضي الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقد حذر القرآن من الافتتان بالمال، والانسحاق وراء البطر واللهو والغفلة والطغيان في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

أما علاقة التنمية الاقتصادية بالقوة على صعيد الجماعة والمجتمع، يتضح من تاريخ الأمم السابقة والحالية أن قوة اقتصاد الدولة هي قوة للدولة ذاتها ومركزها وقيادتها لباقي الدول، وهذا بالغ الأهمية إذ لا بد أن تكون الدولة قوية اقتصادياً لتحتمل مستويات عليا بين الدول والأمم، وتعتمد

(١) سورة النساء، من الآية: ٥.

(٢) الطبري، جامع البيان، ٣ / ٢٤٩.

(٣) رضا، تفسير المنار، ٤ / ٣١١.

(٤) سورة الحديد، من الآية: ٧.

(٥) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٦) سورة العلق، الآية: ٦ - ٧.

على نفسها ولا تتكل على الآخرين أو تكون عالة على غيرها، أو أن تكون لضعفها هدف لاستعمارها أو احتلالها من قبل الدول الأقوى وطبعاً تتضمن هذه القوة: القوة الاقتصادية. وهذا ما حدث لكثير من الدول المنهارة اقتصادياً أو الضعيفة؛ تم استغلالها.

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الطبري فيها: " إني حافظ لما استودعتني، عالم بما أوليتني، لأن ذلك عقيب قوله: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ ومسأله الملك استكفاه خزائن الأرض، فكان إعلامه بأن عنده خبرة في ذلك، وكفايته إياه، أشبه من إعلامه حفظه الحساب ومعرفته بالألسن " <sup>(٢)</sup>.

وفي مفاتيح الغيب: " قال المفسرون: لما عبر يوسف عليه السلام رؤيا الملك بين يديه قال له الملك: فما ترى أيها الصديق قال: أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعاً كثيراً، وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام، فإذا جاءت السنون المجدبة بعنا الغلات، فيحصل بهذا الطريق مال عظيم. فقال الملك: ومن لي بهذا الشغل، فقال يوسف: ﴿ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ أي على خزائن أرض مصر، وأدخل الألف واللام على الأرض، والمراد منه المعهود السابق. ﴿ حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾: إنه جار مجرى أن يقول حفيظ بجميع الوجوه التي منها يمكن تحصيل الدخل والمال، عليم بالجهات التي تصلح لأن يصرف المال إليها، ويقال: حفيظ بجميع مصالح الناس، عليم بجهات حاجاتهم، أو يقال: حفيظ لوجوه أياديك وكرمك، عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة والخضوع وهذا باب واسع يمكن تكثيره لمن أراد " <sup>(٣)</sup>.

وقال السعدي: " أي: على خزائن جبايات الأرض وغلالها، وكيلاً حافظاً مدبراً ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصاً من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبة منه في النفع العام، وقد عرف من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه " <sup>(٤)</sup>.

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

(٢) الطبري، جامع البيان، ٨ / ٥ - ٦.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ٩ / ١٦٣ - ١٦٤.

(٤) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٤٢٣.

استنتج مما سبق أن العلاقة بين الاقتصاد وبين القوة علاقة وثيقة في قيام وانهيار الدول بشكل عام، وهو أمر بالغ الأهمية والخطورة بلا شك. فيجب على المجتمع المسلم تنميتها واكتساب القوة بالأسبقية والريادة بين الدول، ليكون في الصدارة والقيادة، وهو مقصد مطلوب نسعى لتحقيقه كأفراد وجماعات.

## المبحث الثاني:

### وسائل تنمية القوة الاقتصادية

أولاً: فهم المشكلة الاقتصادية: وهي أن الموارد في الدنيا محدودة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

أما قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾<sup>(٤)</sup>، " فيجب الانتباه فيه إلى أنه قال: ( من كل ما سألتموه )، ولم يقل: ( كل ما سألتموه ) و ( من ) هنا للتبويض " <sup>(٥)</sup>.

وأدلة القرآن توضح أن الإنسان جبل على حب الخير، قال تعالى: ﴿ لَا يَسْعَمُ إِلَّا نَسْنُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾<sup>(٦)</sup>، أي: من طلب المال<sup>(٧)</sup>، ﴿ وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾<sup>(٨)</sup>، وقال تعالى: ﴿ أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾<sup>(٩)</sup>، أي: " التنافس في الاستكثار من المال " <sup>(١٠)</sup>، ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾<sup>(١١)</sup>، والخير هو المال، سمي بذلك لأن الأصل فيه أن يصرف في أوجه الخير، فإذا صرف في الشر كان في غير محله الذي وجد من أجله.

وبما أن الموارد محدودة، تبقى سبل الأفكار المتجددة والمعاني المنتجة غير محدودة، مثل الكلمات

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٣) سورة الحجر، الآية: ١٩.

(٤) سورة إبراهيم، من الآية: ٣٤.

(٥) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق: إبراهيم، محمد أبو الفضل، البرهان في علوم القرآن، ط ٢ (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، بدون تاريخ الطبع)، ٤ / ٤٢٤.

(٦) سورة فصلت، من الآية: ٤٩.

(٧) الطبري، جامع البيان، ١٣ / ٢.

(٨) سورة الفجر، الآية: ٢٠.

(٩) سورة التكاثر، الآية: ١.

(١٠) الطبري، جامع البيان، ١٥ / ٢٨٤.

(١١) سورة العاديات، الآية: ٨.

في اللغة محدودة، بعكس معانيها فهي متعددة.

" فالألفاظ والنصوص هي كالموارد النادرة، والمعاني والوقائع والنوازل هي حاجات كثيرة ومتكاثرة، ومتنوعة ومتغيرة ومتجددة. وكل عالم اقتصاد أو لغة أو أصول أو فقه إنما يحتاج إلى الاجتهاد لتكثير المعاني والموارد، ولمواجهة الحاجات، غير أن فريقا منهم يهتم بالموارد والحاجات المعنوية، والفريق الآخر يهتم بالموارد والحاجات المادية. فهناك مصدرين للندرة:

١- سنة الله في الموارد الحرة والاقتصادية.

٢- سلوك الناس:

أ- من حيث الجهل والعلم بوجود الموارد.

ب- من حيث الجدية أو التراخي في الإنتاج، وتنمية الموارد وإدارتها.

ج- من حيث العدالة والظلم، في مجال التزاحم والتنافس والتوزيع " (١). فيجب الاشتغال والعمل على تحسين ذلك.

ثانيا: اتباع سبيل الرشد، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ أَنْتُمْ مِّنْهُمْ رُّشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ (٢).

الرشد هو عكس السفه، وعند الإمام الشافعي: هو صلاح المال والدين معا.

من التعريف السابق يتبين أن اهتمام المسلم بإدارة ماله بنجاح، وحرصه على تنميته وتثميته فيما ينفعه، وتعلم كيفية صرفه وتوجيهه، أمر مشروع وواجب، لأنه من باب الرشد المذكور في الآية.

وكما ورد لفظ الرشد في القرآن، فكذلك ورد لفظ السفه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ (٣).

ذكر الطبري " أن السفه هو تضييع المال وسوء التدبير " (٤). وبين الزمخشري " أن السفه هو

تبذير المال، بإنفاقه فيما لا ينبغي " (٥). وذهب الرازي إلى " أن السفه هو خفة العقل " (١).

---

(١) المصري، رفيق يونس، الإعجاز الاقتصادي للقرآن الكريم، ط ١ (جدة: دار البشير، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥)، ٣١ - ٣٢ (بتصرف).

(٢) سورة النساء، من الآية: ٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥.

(٤) الطبري، جامع البيان، ٤ / ٢٤٧.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ١ / ٥٠٠.

ويمكن القول أن السفه هو سوء التصرف في المال وإصلاحه وثمريره؛ إما لصغر سن وعدم نضوج أو لجنون أو لإسراف أو لقلّة خبرة. وعلاج ذلك هو اختبار الرشد الذي ذكر في قوله تعالى:

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنَّ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، (ابتلوا) أي: "اختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف، واختلف في الابتلاء والرشد، فالابتلاء عند أبي حنيفة<sup>(٢)</sup> وأصحابه: أن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه. والرشد: التهدي إلى وجوه التصرف. وعن ابن عباس: الصلاح في العقل والحفظ للمال. وعند مالك<sup>(٣)</sup> والشافعي: الابتلاء أن يتبع أحواله وتصرفه في الأخذ والإعطاء، ويتبصر مخايله وميله إلى الدين. والرشد: الصلاح في الدين، لأن الفسق مفسدة للمال" <sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: تعظيم الربح، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "لا تقربوا أموال اليتامى بأكل، إسرافاً وبداراً أن يكبروا، وتصرفوا فيه بالثمير والإصلاح والحيلة" <sup>(٦)</sup>. وقال أيضاً: "أي ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وثمريره. قال السدي: فليثمر ماله" <sup>(٧)</sup>. وفي ذلك دعوة إلى التنمية الاقتصادية، ودليل على أن تنمية المال من

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ٥ / ١٩٢.

(٢) سورة النساء، من الآية: ٦.

(٣) أبو حنيفة: النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي، (٨٠ - ١٥٠ هـ)، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة، قيل: أصله من أبناء فارس، ولد ونشأ بالكوفة، وكان يبيع الخبز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء، وعن الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة، أراد المنصور العباسي على القضاء فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أنه لا يفعل فحبسه إلى أن مات، له مسند في الحديث جمعه تلاميذه، توفي في بغداد وأخباره كثيرة. انظر: الزركلي، الأعلام، ٨ / ٤٤. والشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، طبقات الفقهاء، تحقيق: عباس، إحسان، ط ١ (بيروت: دار الرائد العربي، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م)، ١ / ٨٦.

(٤) مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الحميري، (٩٣ هـ - ١٧٩ هـ) إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، من أشهر كتبه الموطأ، انظر: الزركلي، الأعلام، ٥ / ٢٥٧ - ٢٥٨. والشيرازي، طبقات الفقهاء، ١ / ٦٧.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ١ / ٥٠٠ - ٥٠١.

(٦) سورة الأنعام، من الآية: ١٥٢.

(٧) الطبري، جامع البيان، ١٥ / ٨٤.

(٨) الطبري، المرجع السابق، ٨ / ٨٤.



القوة التي يحرص الإسلام عليها، وعلى توجيهها التوجيه السليم الصحيح، الذي ينفع الفرد والمجتمع ويبعده ويحميه من البطر والبغي في نفس الوقت.

قال الرازي: " يسعى في تنميته وتحصيل الربح به، ورعاية وجوه الغبطة ( المنفعة القصوى ) له" (١)

وقال القرطبي: " أي: بما فيه صلاحه وثماره، وذلك بحفظ أصوله، وثمار فروع. قال مجاهد: بالتجارة فيه، لا يشتري منه ولا يستقرض " (٢).

وفي البحر المحيط: " وفيه سد الذريعة، أي: بالخصلة التي هي أحسن في حق اليتيم، وجاء بأفعل التفضيل: ﴿ أَحْسَنُ ﴾ ولم يقل: ( بالتي هي حسنة ) مراعاة لمال اليتيم، وأنه لا يكفي فيه الحال الحسنة، بل الخصلة الحسنى " (٣).

وقال في نظم الدرر: " أي بالتي هي أحسن من الخصال، من السعي في تنميته وثماره " (٤).  
فهذه الآية تدل على وجوب تعظيم منافع اليتيم، بالسعي إلى أعظم ثمن ممكن، إذا بيع ماله مثلاً، لأن ترك الزيادة مع القدرة عليها، عدول عن النفع لليتيم.

" وعلى هذا لو كان لدينا مشروعان استويا في كل شيء إلا الربح، لا اخترنا الأعظم ربحاً، وإنه لمن السفه، وخلاف الرشد الذي أمر به الإسلام، أن نختار الأقل ربحاً، أو أن يكون اختيارنا عشوائياً، ولو كان لدينا مشروعان استويا في كل شيء إلا الزمن، لا اخترنا الأعجل ربحاً، لأن المعجل أكبر قيمة من المؤجل، ولو كان لدينا مشروعان استويا في كل شيء إلا الإيرادات والمصاريف، لا اخترنا الأعظم إيرادات، والأقل كلفة. هذا هو فقهننا الإسلامي، قبل أن ينشأ علم الاقتصاد في الغرب بعدة قرون " (٥).

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ٧ / ٢٤٦.

(٢) القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ٧ / ١٣٤.

(٣) أبي حيان، البحر المحيط، ٤ / ٢٥٢.

(٤) البقاعي، نظم الدرر، ٢ / ٧٤٢.

(٥) المصري، الإعجاز الاقتصادي، ٤٩.

رابعاً: سياسة تقليل الخسائر، لقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾<sup>(١)</sup>.

قال تعالى في معرض الحديث عن هذه القصة: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾<sup>(٢)</sup>، معنى ذلك " أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا، ويدع كل معيبة، بقرينة قوله: ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾. وفي قراءة أبي: ( وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا )، فإذا مرّت أصلحوها " <sup>(٣)</sup>.

قال الرازي: " إن ذلك العالم ( الخضر ) علم أنه لو لم يعب تلك السفينة بالتخريق، لغصبها ذلك الملك، ولفاتت منافعها عن ملاكها بالكلية، فوقع التعارض بين أن يخرقها ويعيبها، فتبقى مع ذلك على ملاكها، وبين أن لا يخرقها فيغصبها الملك، فتفوت منافعها بالكلية على ملاكها. ولا شك أن الضرر الأول أقل، فوجب تحمله لدفع الضرر الثاني الذي هو أعظمها " <sup>(٤)</sup>.

فالتخريق كان فقط بالقدر الذي ينجي السفينة من الغصب، إذ لو كان الضرر بالغاً كان مساوي لضرر غصب السفينة، فلا يكون مفيداً. وعلى هذا فإن ( الخضر ) قد وازن بين خسارتين: خسارة العيب، وخسارة السفينة، فاختار العالم الرشيد، خسارة العيب لأنها أقل. قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلِمتَ رُشدًا ﴾<sup>(٥)</sup>.

ففي الآية الكريمة، توضيح أنه إذا كان لا بد من الاختيار بين شرين لا مفر منهما، كان الخيار لذي الخسارة الأدنى، تجنبا للخسارة بالكلية، وهو أخف الضررين. وهذا ما يعرف في الفقه بمبدأ إصلاح المال بإفساد بعضه لسلامة بواقه، وحفظ الجزء أولى من تضييع الكل.

خامساً: نظريات الفائدة، لقوله تعالى: ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾<sup>(٦)</sup>.

تحريم الربا وسيلة تنموية، لم يفهمها علماء الاقتصاد في الغرب، بالرغم من كثرتهم وأدواتهم وتمويلهم وعلمهم وذكائهم وفهمهم وجهودهم المضنية ومحاولاتهم المختلفة.

(١) سورة الكهف، من الآية: ٧١.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٧٩.

(٣) الطبري، جامع البيان، ١٦ / ٢.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ١١ / ١٦٠.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٦٦.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ٢٧٥.

قال صاحب الإعجاز الاقتصادي " ولا أعني بذلك أن الربا حرام في واقع البلدان اليوم، وإنما أعني أن نظريات الفائدة الربوية لم تفلح على التحقيق في مصادمة القرآن. فهذه النظريات ليست قوية بالمعيار المنهجي والعلمي " (١).

وجاء ذكر الربا في القرآن في عدة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّرَبُّوًّا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوًّا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ (٢). وهذا يعني أن الربا يتضاعف، والزكاة تتضاعف، ولكن التضاعف الأول حرام، والثاني حلال.

وقال تعالى: ﴿ وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوهَا عَنْهُ ﴾ (٣). هذا دليل على أن اليهود هم أول من حلل الربا وتحاييل على تحريمه، فهو أمر قديم وليس بجديد، وإلى اليوم هم ينشرون هذه الثقافة الاستباحية للربا في العالم، وهم المستفيد الأكبر من ذلك اقتصاديا وسياسيا وعالميا، لأنهم في أغلب الأحوال يقبضون ويأخذون الربا من غيرهم، دون أن يرجعوا أو يعطوا شيئا إليهم.

وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٤). لأن الربا في كل أحواله لا يؤدي إلى النجاح والفلاح في أمور الأفراد والجماعات، وفي نظام الدولة ككل، اجتماعيا، واقتصاديا، وحضاريا، فالربا هنا هو ربا الجاهلية، حيث كانوا يقرضون المال ويضاعفون رأس ماله عند عجز المقترض عن السداد في كل مرة. وهو ما وضحه سعيد بن جبير بقوله: " كان الرجل يكون له على الرجل المال، فإذا حل الأجل، فيقول: أخر عني، وأزيدك على مالك، فتلك الأضعاف المضاعفة " (٥).

فنتيجة تفشي الربا والمحرمات الأخرى المفروضة من البلدان القوية المسيطرة، التي تطلق الحرية باتجاه الرذائل، وتقيدتها باتجاه الفضائل، هي طريق المظالم والفتن والحروب وأخيرا الانحدار والسقوط. قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ

(١) المصري، الإعجاز الاقتصادي، ٦١.

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٩.

(٣) سورة النساء، من الآية: ١٦١.

(٤) سورة: آل عمران، الآية: ١٣٠.

(٥) ابن الجوزي، زاد المسير، ١ / ٤٥٨.

مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ <sup>ط</sup> وَإِنْ تَابْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ  
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿١﴾

فالربا لم يكن ولن يكون يوما وسيلة تنموية للأفراد أو الدول كما يعتقد البعض، بل هو انهيار  
بطيء لمخزون الدولة ومال الفرد. فثبتت الحكمة في تحريمه عند المسلمين، وخفيت أو تغافل عنها  
غيرهم.

سادسا: الزكاة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا  
وَالْمَوْلَاةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ <sup>ط</sup> فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ  
﴾ (٢).

قال البيضاوي: " أي الزكوات " (٣)، وسيلة تنموية بالغة الأهمية في عالم الاقتصاد وغيره، لذا  
قيل في أصل الزكاة: " النمو الحاصل عن بركة الله تعالى " (٤).

وفي آية التوبة السابقة، وضحت الآية مصارف الزكاة بأنها ثمانية مصارف، سبعة منها تمثل  
الإيرادات ( الزكوية )، وواحد منها يمثل النفقات ( الزكوية )، وهو مصرف العاملين عليها.  
والمصارف السبعة تأخذ من الزكاة على سبيل المواساة ( لأجل الحاجة )، ومصرف العاملين عليها  
يأخذ من الزكاة على سبيل المعاوضة ( أجر العمل ). وبعد تنزيل نفقات العاملين من إيرادات  
الزكاة نحصل على الإيرادات الصافية التي توزع على المصارف السبعة. (٥)

وفي دراسات الجدوى الاقتصادية التي تقوم بجمع المعلومات عن مشروع ما، وتحليلها لمعرفة  
إمكانية التنفيذ ، وتقليل المخاطر، وربحية المشروع؛ إذا طبقناها على الزكاة ولا بد، أقول: ما  
جدوى تطبيق الزكاة من الناحية الاقتصادية ؟

يتضح لنا أن القرآن الكريم يعلمنا أن ندرس الجدوى الاقتصادية للزكاة، لأنه أدخل مصرف  
العاملين عليها بين المصارف وجعله واحدا منها. ويجب أن نراعي هذه الجدوى، بحيث تكفي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٢) سورة التوبة، من الآية: ٦٠.

(٣) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ١ / ٥٢٢.

(٤) الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة: " زكا "، ٣٨٠.

(٥) انظر: المصري، الإعجاز الاقتصادي، ٧٦ - ٧٧.

حصيلة الزكاة للصرف على الفقراء والمساكين وغيرهم من المصارف، كما تكفي أيضا لتغطية مصاريفها الإدارية. فليس الغرض الأول من فرض الزكاة هو الإنفاق ( الإداري ) على موظفيها، بل الإنفاق ( الخيري ) على المصارف الأخرى. (١)

فالزكاة وسيلة تنموية في الخير وفي الاقتصاد، وأبعاد قوتها تملو الأفق، كيف لا وهي الركن الثالث من أركان الإسلام لأهميتها. وقد أمر الله بها في كثير من آيات القرآن الكريم، ويلاحظ أنها غالبا تكون مقرونة بالصلاة، مما يدل على كمال الاتصال بينهما، قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ (٢).

ويتبع الزكاة، الصدقات، كوسيلة اقتصادية تنموية، يجب الإشارة إليها، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣).  
سابعاً: نظرية المزايا النسبية، لقوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ (٤).

﴿ وَقَدَّرَ ﴾: " جعل قدرا، أي: مقدارا. والمقدار: النصاب المحدد بالنوع أو الكمية " (٥).  
﴿ فِيهَا ﴾: أي في الأرض. قال الطبري: " اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم: قدر فيها أقوات أهلها. بمعنى: أرزاقهم ومعاشهم. وقال آخرون: بل معنى ذلك: قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الأخرى، لمعاش بعضهم من بعض، بالتجارة من بلدة إلى بلدة. قال عكرمة: البلد يكون فيه القوت أو الشيء لا يكون لغيره " (٦).

وقال الرازي: " أي قدر الأقوات التي يختص حدوثها بها، وذلك بأن الله تعالى جعل كل بلدة معدنا لنوع آخر من الأشياء المطلوبة، حتى إن أهل البلدة يحتاجون إلى الأشياء المتولدة في تلك

(١) انظر: المصري، المرجع السابق، ٧٨.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٤٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٤) سورة فصلت، من الآية: ١٠.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤ / ٢٤٤.

(٦) الطبري، جامع البيان، ١٢ / ٩٥ - ٩٦.

البلدة، وبالعكس. فصار هذا المعنى سببا لرغبة الناس في التجارات من اكتساب الأموال " (١).  
وقال في نظم الدرر: " خص بعض البلاد بشيء لا يوجد في غيرها، لتنظم عمارة الأرض  
كلها، باحتياج بعضهم إلى بعض، فكان جميع ما تقدم من إيداعها ما ذكر من متاعها دفعة  
واحدة، لا ينقص عن حاجة المحتاجين أصلا، وإنما ينقص توصلهم، أو توصل بعضهم إليه. فلا يجد  
حينئذ ما يكفيه، وفي الأرض أضعاف أضعاف كفايته " (٢).

يتضح من الآية أن الله عز وجل خص كل بلد بميزة تميزه عن البلد الآخر، وقدر في كل أرض  
أقوات ليست موجودة في غيرها، وكذلك ينطبق الأمر على الإنسان؛ فالله عز وجل جعل وقدر  
فيه من المواهب والقدرات مالمس في غيره. ومن هنا كانت هذه الآية وسيلة تنمية اقتصادية، في  
قدرات الفرد، وفي خيرات الأرض.

فآية فصلت تعد أساسا للنظرية الاقتصادية الحديثة في التجارة الدولية: نظرية المزايا النسبية أو  
المقارنة (٣)، وذلك إذا استغل المجتمع موارده وثرواته وبركات أرضه في تنمية اقتصاده الذي هو  
أحد أركان القوة في الدولة، وإذا استغل الفرد مواهبه وقدراته فيما حباه الله حسب ميوله وقدراته  
وتخصصه ومزاجه ومزاياه النسبية.

وبعد الحديث عن المزايا النسبية للفرد والمجتمع، يأتي الحديث في كيفية العمل على هذه المزايا  
والقدرات لدى الأفراد والجماعات، وهي الطريقة التي وضحها قوله تعالى: ﴿كُلُّ يِعْمَلُ  
عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ (٤).

﴿شَاكِلَتِهِ﴾: " شكله، دينه، مذهبه، أصله، طبيعته، جبلته، نيته، ناحيته، طريقته " (٥).  
المراد: " أن كل أحد يفعل على وفق ما شاكل جوهر نفسه، ومقتضى روحه " (٦)، أو " ما

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ١٤ / ١٠٤.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، ٦ / ٥٥٤.

(٣) انظر: المصري، الإعجاز الاقتصادي، ٨٧.

(٤) سورة الإسراء، من الآية: ٨٤.

(٥) الطبري، جامع البيان، ٩ / ١٥٤. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٠ / ٣٢٢.

(٦) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ١١ / ٣٧.

وافق فاعله " (١)، أو " ما شاكله وناسبه وكان لائقا به، كما يقول الناس: كل إناء بالذي فيه ينضح " (٢)، أو " حسب ملكته الغالبة عليه " (٣)، أو " وفق طريقته و اتجاهه " (٤)، أو ما ينسجم مع مذاقاته الوجدانية والعقلية والجسدية.

فالأية باب واسع في التنمية بشكل عام، وفي التنمية الاقتصادية بشكل خاص، سواء كانت تنمية للفرد أو للمجتمع، وذلك بداية بتعلم كيفية استغلال القدرات الذاتية في المصلحة الفردية والاجتماعية.

ثامنا: مبدأ توزيع المخاطر، لقوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ (٥).

مبدأ توزيع المخاطر، مبدأ اقتصادي وإداري ومالي معروف في الأدبيات الحديثة (٦)، والآية الكريمة تدل على هذا المبدأ، وهو قول يعقوب عليه السلام لبنيه: " لا تدخلوا مصر من طريق واحد، وادخلوا من أبواب متفرقة. فقد خاف عليهم العين " (٧).

وقال الرازي: " اعلم أن الإنسان مأمور بأن يراعي الأسباب المعبرة في هذا العالم، ومأمور أيضا بأن يعتقد بأنه لا يصل إليه إلا ما قدره الله تعالى له، وأن الحذر لا ينجي من القدر. فإن الإنسان مأمور بأن يحذر من الأشياء المهلكة والأغذية الضارة، وأن يسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الإمكان " (٨). وتأتي باقي الآية لتكمل المعنى وتوضحه، قال تعالى: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحِمْتُمْ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُمْ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٩)، أي أنه من الوجوب: الأخذ بالأسباب والتوكل على الله تعالى، وهو من باب العقل والرشد الذي

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ٥ / ٨٠.

(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد بن حريز الزرعي، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه: محمد، يسري السيد، ط ١ (الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٤ - ١٩٩٣ م)، ٣ / ١٠١.

(٣) القاسمي، محاسن التأويل، ٤ / ٦١٩.

(٤) قطب، الظلال، ٤ / ٢٢٤٨.

(٥) سورة يوسف، من الآية: ٦٧.

(٦) انظر: المصري، الإعجاز التأثري، ٩٢ - ٩٣.

(٧) الطبري، مرجع سابق، ٨ / ١٣.

(٨) الرازي، مرجع سابق، ٩ / ١٧٨.

(٩) سورة يوسف، من الآية: ٦٧.

ينبغي. قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَدُوْعٌ لِّمَآ عَلَّمْنَاهُ ﴾<sup>(١)</sup>.

فعلى الإنسان المسلم، أن يراعي جميع الأسباب والمسببات، في طريق الكسب، بالإضافة إلى دوام ذكر الله تعالى وتحصين النفس والأهل والمال وغيره، لتقل نسبة الخسارة، أو المخاطرة في هذه الحياة الدنيا، مع الإيمان بالقدر والمشية والحكمة الإلهية.

تاسعا: إعادة توزيع الدخل والثروة، لقوله تعالى: ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: " كي لا يكون ذلك الفيء دولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة في أبواب البر وسبل الخير، فيجعلون ذلك حيث شاءوا، ولكننا سننأ فيه سنة لا تغير ولا تبدل " <sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عاشور: " أي جعلناه مقسوما على هؤلاء، لأجل أن لا يكون الفيء دولة بين الأغنياء من المسلمين، أي: لئلا يتداوله الأغنياء، ولا ينال أهل الحاجة نصيب منه. والمقصود من ذلك إبطال ما كان معتادا في العرب قبل الإسلام من استئثار قائد الجيش بأموال المغانم، وقد بدا من هذا التعليل أن من مقاصد الشريعة أن يكون المال دولة بين الأمة الإسلامية " <sup>(٤)</sup>.

وقال سيد قطب: " هذه الآية تضع قاعدة كبرى من قواعد التنظيم الاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الإسلامي، تمثل جانبا كبيرا من أسس النظرية الاقتصادية في الإسلام. فالملكية الفردية معترف بها في هذه النظرية، ولكنها محددة بهذه القاعدة، ولقد أقام الإسلام بالفعل نظامه على أساس هذه القاعدة، ففرض الزكاة، وحرم الاحتكار، وحظر الربا، وهما الوسيلتان الرئيسيتان لجعل المال دولة بين الأغنياء " <sup>(٥)</sup>.

(١) سورة يوسف، من الآية: ٦٨.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٣) الطبري، جامع البيان، ١٤ / ٣٩.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨ / ٨٤.

(٥) قطب، في ظلال القرآن، ٦ / ٣٥٢٤.



فالأية تبين موقف الإسلام من جميع طبقات المجتمع، من الفقراء، المساكين، الأغنياء، وكيف تراعي كل فئة، بحيث لا تطغى فئة على حساب أخرى، أو لا تطغى فئة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فإن الغنى ( الزائد على الحد ) مذموم، والتقريب بين الناس، وبين البلدان، مقصد اقتصادي واجتماعي وسياسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، وإن كان حصوله بين الناس صعباً أو بعيد المنال. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيد بالله من شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر.

وهذا المبدأ هو ما توصل إليه علماء التنمية الذين طرحوا ثلاثة أسئلة متصلة بمعايير التنمية في أي بلد: ماذا تم في مجال مكافحة الفقر، وفي مجال البطالة، وفي مجال سوء التوزيع؟ فإذا ما تحقق إنجاز في هذا الباب أمكن القول بأن هناك تنمية ما قد حدثت.<sup>(٢)</sup>

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٧.

(٢) انظر: المصري، الإعجاز الاقتصادي، ٩٧ - ٩٨.

الفصل الثالث:  
تنمية القوة الحضارية  
وفيه مبحثان

المبحث الأول: التنمية الحضارية وعلاقتها بالقوة

المبحث الثاني: وسائل تنمية القوة الحضارية

## المبحث الأول:

### التنمية الحضارية وعلاقتها بالقوة

القرآن العظيم منهج تشريعي متكامل لبناء الحضارات، حيث جمع بين المادة والروح، خلافا للغرب الذين اعتمدوا على المادة وحدها، واتهموا الشعوب الأخرى بالتخلف والجمود بسبب الدين السائد.

وقد وضع القرآن الكريم مخاطر وعواقب الاعتماد على المادة وحدها، بذكر قصص الأمم السابقة وتاريخ حضارتها وأسباب هلاكها وسقوطها وانهايار قوتها.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَسِقِينَ ﴾<sup>(١)</sup>. فالآية الكريمة توضح العلاقة بين القوة والتنمية الحضارية، توضحا رائدا، كالتالي:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾: أي أنزل الله سبحانه التوراة مكتوبة في

الوواح، فيها كل ما يحتاجون إليه بني إسرائيل في أمر دينهم ودنياهم، وفي جميع شؤون حياتهم، إذ إن الشريعة أمر أساسي في بناء حياة الأمة الاجتماعية والحضارية، وبقاء الأمة، واستمرار حضارتها مرهون بمدى تمسكها بالشريعة المترلة عليها.

﴿ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾: أي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام. فالشريعة الصالحة الكاملة مقوم أساسي من مقومات الحضارة، والمطلوب من بني إسرائيل الذين عاشوا في ظل حضارة الظلم والقهر والاستبداد، عندما كانوا في مصر، أن يقيموا في الأرض المباركة حضارة العدل والإيمان والحرية والسلام، وهاهي الشريعة الكاملة قد أنزلها الله عليهم، وهاهو نبي الله موسى يقودهم إلى الأرض المباركة، فهل سيكونون أهلا لهذه المهمة الجليلة ويرتفعون إلى مستواها أم ستتقاصر همهم وعزائمهم عنها؟<sup>(٢)</sup>

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

(٢) انظر: طهماز، عبد الحميد محمود، أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف، ط ١ (دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، ١٢٠.

وفي المنار: " أي: أننا أعطيناه ألواحاً كتبنا له فيها من كل نوع من أنواع الهدايا موعظة من شأنها أن تؤثر في القلوب ترغيباً، وترهيباً وتفصيلاً لكل نوع من أصول التشريع، وهي أصول العقائد والآداب، وأحكام الحلال والحرام وتفصيلها، ذكرها معدودة مفصلاً بعضها من بعض " (١).

وهذا أمر الله سبحانه في بناء الحضارات وتنميتها كما وضع سبحانه في قوله تعالى: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾: أي بجد وحزم وعزم، فالمهمة التي كلفتم بها شاقة وكبيرة تحتاج إلى جد وعزم وحزم لتكون قوية وناهضة.

وقال صاحب المنار أيضاً: " فهو مقول قوله مقدر؛ لأنه أمر لموسى، والخطاب قبله للنبي الخاتم عليهما الصلاة والسلام - والمعنى: كتبنا له في الألواح ما ذكر وقلنا له: خذها بقوة - أو قلنا له: هذه رسالتنا أو وصاينا وأصول شريعتنا وكلياتها فخذها بقوة، أي: حال كونك ملتبساً بجد وعزيمة وحزم، أو أخذاً بقوة وعزم، وذلك أن المراد بها تكوين شعب جديد بتربية جديدة شديدة مخالفة كل المخالفة لما نشأ عليه من الذل والعبودية لفرعون وقومه، والإنس بما كانوا عليه من الشرك والوثنية ومفاسدها، فإذا لم يكن المتولي تربية هؤلاء القوم، والمرشد لهم صاحب عزيمة قوية وبأس شديد وعزم ثابت، فإنه يعجز عن سياستهم وتربيتهم، ويفشل في تنفيذ أمر الله فيهم " (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾، إثبات لهذه القوة، " أي بعزائمها وواجباتها " (٣)، وفي جامع البيان: " يعملوا بأحسن ما يجدون فيها " (٤).

وانتهت الآية بالوعيد: ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾، " لأن ما قبلها كان أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة، فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه وفرط في العمل لله وحاد عن سبيله، دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر " (٥).

(١) رضا، تفسير المنار، ٩ / ١٦٣.

(٢) رضا، المرجع السابق، ٩ / ١٦٥.

(٣) طهماز، مرجع سابق، ١٢٠.

(٤) الطبري، جامع البيان، ٦ / ٥٨.

(٥) الطبري، جامع البيان، ٦ / ٥٩ (بتصرف).

وقال الرازي: " أن المراد التهديد والوعيد على مخالفة أمر الله تعالى، وعلى هذا التقدير: فيه وجهان: الأول: دار الفاسقين هي جهنم، أي فليكن ذكر جهنم حاضراً في خاطركم لتحذروا أن تكونوا منهم.

والثاني: سأدخلكم الشام وأريكم منازل الكافرين الذين كانوا متوطنين فيها من الجبايرة والعمالقة لتعتبروا بها وما صاروا إليه من النكال.

وقيل: ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ هي المساكن التي كانوا يَمرون عليها إذا سافروا، من منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله تعالى " (١).

والمعنى يتضح في أن أخذ ما في الألواح بقوة وتبع أحسنه بناء حضارة لهم، أما عدم الأخذ بما في التوراة وعدم تتبع الحسنى يؤدي بهم إلى الفسق عن أمر ربهم، فيحل لهم ما حل للقوم الفاسقين من قوم فرعون الذين أنجاهم الله منهم ونصرهم عليهم.

وإذا أردت أن أضرب نموذجاً للعلاقة بين القوة و تنمية الحضارة من سور القرآن الكريم و موضوعاتها، فسورة ( المائدة ) خير مثال للعلاقة بينهما، فهي سورة تمثل بكل إعجاز: تنمية القوة الحضارية في المجتمع المسلم.

" فسورة المائدة من أعظم سور القرآن الكريم التي تجلي بوحدها الموضوعية خصائص الأمة الإسلامية الحضارية، التي أعدها الله لتكون معلمة للبشرية شاهدة عليها " (٢).

وهدف السورة واضح من أول نداء جاء فيها: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (٣). " أي أوفوا بعهودكم " (٤) ولا تنقضوا الميثاق، " والعقود تشمل ما عقده الإنسان، من المسؤولية عن الأرض واستخلاف الله للإنسان " (٥). فهو المطالب بعمارتها والقيام بواجب

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ٧ / ٢٤٨.

(٢) الكيلاني، إبراهيم زيد، خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة، ط ١ ( عمان: المكتبة الوطنية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م )، ٤.

(٣) سورة المائدة، من الآية: ١.

(٤) الطبري، مرجع سابق، ٤ / ٤٦.

(٥) خالد، عمرو، خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن، ط ١ ( مكة: أريج للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م )، ٨٠.

الاستخلاف فيها على أكمل وجه، ومن العمارة والاستخلاف بلا شك، القيام بنهضة حضارية  
إسلامية دعوية رائدة .

## المبحث الثاني:

### وسائل تنمية القوة الحضارية

من الوسائل المهمة في تنمية القوة الحضارية التي ذكرها القرآن العظيم:  
أولاً: الوحدة الإسلامية، لقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ  
رِيحُكُمْ ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: " أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء،

﴿ وَلَا تَنزَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ يقول: ولا تختلفوا فترققوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا، يقول: فتضعفوا وتجنوا، ﴿ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ وتذهب قوتكم وبأسكم فتضعفوا، ويدخلكم الوهن والخلل " <sup>(٢)</sup>.  
والريح: " الدولة، شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها، فقيل: هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره " <sup>(٣)</sup>.

فالوحدة الإسلامية مهمة في بناء الحضارة، لأنها تقضي على التنازع والفرقة، وتدعو إلى التآلف والتعاون على البر والتقوى، وكما أن الوحدة هي طابع قوة للمجتمع المسلم فهي أيضا انعكاس هذا الطابع على الدول الأخرى من غير المسلمين كجبهة قوية، تولد الرهبة في نفوسهم.

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

" لما عاب سبحانه وتعالى الكفار بالضلال ثم بالإضلال أمر المؤمنين بالهدى في أنفسهم، وأتبعه الأمر بهداية الغير بالاجتماع، وكان الأمر بالاجتماع المؤكد بالنهي عن التفرق ربما أفهم الوجوب لتفرد الجميع في كل جزئية من جزئيات العبادة في كل وقت على سبيل الاجتماع مع الإعراض عن كل عائق عن ذلك سواء كان وسيلة أو لا بالنسبة إلى كل فرد فرد، أتبعه بقوله - منبهاً على

(١) سورة الأنفال، من الآية: ٤٦.

(٢) الطبري، جامع البيان، ٦ / ١٥.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ٢ / ١٦٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

الرضى بإيقاع ذلك في الجملة سواء كان بالبعض أو الكل كما هو شأن فروض الكفايات - : ﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ ﴾ أي جماعة تصلح لأن يقصدها غيرها، ويكون بعضها قاصداً بعضاً، حتى تكون أشد شيء ائتلافاً واجتماعاً في كل وقت من الأوقات على البدل ﴿ يَدْعُونَ ﴾ مجددين لذلك في كل وقت ﴿ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ أي بالجهاد والتعليم والوعظ والتذكير " (١).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم وسائل تنمية القوة الحضارية، والتي لها صلة قوية أيضاً بالوحدة الإسلامية، ولقد اهتم القرآن الكريم اهتماماً بالغاً بهذه الوسيلة، وبين أنها تحفظ الحضارات وقوتها من الهلاك، فسلط عليها الأضواء في عدة مواضع من سور القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَخْبَيْنَا مِنْهُمْ ۖ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (٢). وحفظ الله سبحانه للأمم بهؤلاء الأشخاص، الصالحين المصلحين في الأرض، لا يكون بشيء منهم، أو من أنفسهم، أو من عباداتهم المقتصرة عليهم، بل هم الذين يحفظ الله بهم الأمم من الهلاك؛ بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

ويقول صاحب الظلال: " وأما الأمم التي يظلم فيها الظالمون، ويفسد فيها المفسدون، فلا ينهض من يدفع الظلم والفساد، أو يكون فيها من ينكر ولكنه لا يبلغ أن يؤثر في الواقع الفاسد، فإن سنة الله تحق عليها، إما بهلاك الاستتصال، وإما بهلاك الانحلال والاختلال " (٣).

وأيضاً من الآيات الدالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من التنمية الحضارية وقوتها، قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ﴿ الَّذِينَ إِن مَكَّنَّهْم فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٤).

وهنا يذكر الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كشرط لنصرة عباده وتمكينهم في الأرض، وهذا من سبل التنمية للقوة الحضارية، حيث أكد سبحانه على ضرورة اقتران الأمور

(١) البقاعي، نظم الدرر، ٢ / ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٣) قطب، في ظلال القرآن، ٤ / ١٩٣٣.

(٤) سورة الحج، من الآية: ٤٠ - ٤١.



التعبدية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>، وخطب عمر بن عبد العزيز، فقال في هذه الآية: "﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ألا إنها ليست على الوالي وحده، ولكنها على الوالي والمولى عليه، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم، وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكره بها، ولا المخالف سرها علانيتها"<sup>(٢)</sup>.

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً رائعاً للمجتمع الذي يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فينجو وينمو، والمجتمع الذي يهمل ذلك فيهلك؛ ألا وهو مثل (السفينة). فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: (مثل القائم في حدود الله وواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم. فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)<sup>(٣)</sup>.

وهكذا يتضح أن قوة المجتمع وتنمية حضارته مرتبطة ارتباط وثيق بتطبيق منهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: وقاية النفس من الشح والغل، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ

(١) انظر: يوسف، محمد السيد، منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ط١ (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، ٣٢٣.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٢٨٠.

(٣) البخاري، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، الراوي: النعمان بن بشير، رقم لصفحة: ٤٠٣، رقم الحديث: ٢٤٩٣.

سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾.

في هذه الآيات الكريمة توضيح بالغ الروعة في بناء وتنمية قوة الحضارة في المجتمع المسلم، حيث الشح والغل يشكلان عائق كبير في التنمية الحضارية، وتبين كيف أن الوقاية منهما سبيل قوي لهوض الأمة والريادة، إذ أن الخير وفير لولا ضيق النفوس باستحواذه.

صور السعدي في تفسيره لهذه الآية المعنى بشكل جميل ومتكامل، فقال:

" ذكر تعالى الحكمة والسبب الموجب لجعله تعالى الأموال أموال الفيء لمن قدرها له، وأنهم حقيقون بالإعانة، مستحقون لأن تجعل لهم، وأنهم ما بين مهاجرين قد هجروا المحبوبات والمألوفات، من الديار والأوطان والأحباب والخلان والأموال، رغبة في الله ونصرة لدين الله، ومحبة لرسول الله، فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا بمقتضى إيمانهم، وصدقوا بإيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقة، بخلاف من ادّعى الإيمان وهو لم يصدقه بالجهاد والهجرة وغيرهما من العبادات، وبين أنصار وهم الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله ورسوله طوعاً ومحبةً واختياراً، وآووا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنعوه من الأحمر والأسود، وتبوأوا دار الهجرة والإيمان حتى صارت موئلاً ومرجعاً يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماه المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر، فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار، حتى انتشر الإسلام وقوي، وجعل يزيد شيئاً فشيئاً، وينمو قليلاً قليلاً حتى فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، والبلدان بالسيف والسنان " (٢).

ثم وضع من جملة أوصافهم بمزيد من التفصيل، فقال: " أنهم وهذا محبتهم لله ولرسوله، أحبوا أحبائه، وأحبوا من نصر دينه، ﴿ وَلَا تَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا ﴾ أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغل والحقد والحسد عنها " (٣).

ويدل على أهمية الاتصاف بهذه الخصال في عصرنا الحالي، الشح الذي تكالب عليه الناس

(١) سورة الحشر، الآية: ٨ - ٩ - ١٠.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٩٣٢.

(٣) السعدي، المرجع السابق، ٩٣٢.

فضعفوا وتمنى أصحاب النفوس المريضة ما في أيدي غيرهم، وانتشر الحسد بين الناس وعدم الرضا، هذا في فئة كبيرة من الأمة، فوجب التخلص من الشح والغل إذا ما أردنا ان نهض بأنفسنا وبحضارتنا.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ أي: " من أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها، ومن ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، حين أثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وباتوا جوعاً، والإيثار عكس الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، لأنها من خصال البخل والشح، ومن رزق الإيثار فقد وقى شح نفسه " (١).

فكانت النتيجة العظيمة لهذه الأخلاق الحسنة هي الفلاح للفرد والمجتمع ككل وتنمية قوته الحضارية، ﴿ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ " ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقى العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً، منشرحاً بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوباً للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته، فهذان الصنفان، الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين " (٢).

لذا كان ولا بد أن يكون في وسائل تنمية القوة الحضارية، إبقاء الشح والغل، والاقتران بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام في بناء الحضارة الإسلامية وتنمية قوتها في المدينة وكيفية ذلك، قال السعدي: " وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، ويأتم بهداهم، ولهذا ذكر

(١) السعدي، مرجع السابق، ٩٣٢ - ٩٣٣.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٩٣٣.

الله من اللاحقين، من هو مؤتم بهم وسائر خلفهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد المهاجرين والأنصار ﴿يَقُولُونَ﴾ على وجه النصح لأنفسهم ولسائر المؤمنين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضاً.

ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو الحبة بين المؤمنين والموالات والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين. فوصف الله من بعد الصحابة بالإيمان، لأن قولهم: ﴿سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ دليل على المشاركة في الإيمان، وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منها، واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين، لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمن لمحبة بعضهم بعضاً، وأن يجب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه، وأن ينصح له حاضراً وغائباً، حياً وميتاً، ودلت الآية الكريمة (على) أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض " (١).

وهذه من أهم الوسائل التي إذا ما طبقها المجتمع المسلم في كل زمان ومكان نما وازداد قوة وازدهر بالحضارة وقاد الأمم، ونفى عن نفسه الظلم والبغي والفساد وأبدله بالإيثار والنصح والعدل.

رابعا: الانفتاح على الحضارات الأخرى، دون الذوبان وفقدان الهوية الإسلامية، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (٢). دلت الآية على أهمية الانفتاح على الحضارات الأخرى والتعرف على حضاراتها وشعوبها. فالحضارة الإسلامية حضارة زاهية منفتحة، تدعو لخير الإنسان والإنسانية جمعاء، وأيضا قوله

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٩٣٣.

(٢) سورة الحجرات، من الآية: ١٣.

تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(١)</sup> يدل على عالمية الانفتاح الإسلامي، فرحمة الرسول صلى الله عليه وسلم تعم المؤمنين والكافرين، " رُوي عن ابن عباس، أن الله أرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به وبالعامل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان يتزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله " <sup>(٢)</sup>.

وفي أضواء البيان: " ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم. لأنه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه. ومن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى، وضرب بعض أهل العلم لهذا مثلاً قال: لو فجر الله عيناً للخلق غزيرة الماء، سهلة تناول. فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها، فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسلاً، عداً، فضعوا نصحهم. تلك العدا، فالعدا، المفجرة في نفسها، رحمة من الله، ونعمة للفريقين. ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرماها ما ينفعها. ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾<sup>(٣)</sup> " <sup>(٤)</sup>.

فكل ما يجيء به الإسلام هو من عناصر الرحمة المهداة، ولو اهتدينا بهدي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وانتهجنا منهجه في كل أمرنا، هو حقاً كل الحضارة.

والآيات التي تدل على عدم الذوبان في الحضارات الأخرى، هي الآيات التي تعمق الاعتزاز بالإسلام، كقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) الطبري، جامع البيان، ١٠ / ١٠٦.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٨.

(٤) الشنقيطي، أضواء البيان، ٤ / ٧٥٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ  
الْكِتَابِ ، لَكَانَ حَٰدِثًا لِّأُمَّةٍ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ .

خامسا: عمارة الأرض، لقوله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٢).

أن نعلم الأرض هذا من الحضارة ونمائها وقوتها، ونجد مثال الحضارة الناهضة بالعمران في الأمم السابقة المتحضرة كثير، والتي تفوقت وسبقت في هذا المجال حتى خلدت أفكارها وربما بقيت بعض آثارها حتى اليوم .

والمقصود من هذا الفن أكثر بكثير من مجرد بناء وعمارة، بل يغوص إلى صقل النفوس بالالتزام والصبر والإتقان واحترام الوقت وغيره كثير، وهو بلا شك إحياء الحضارة العامة بأشمل وأدق معانيها؛ " لأنه يشمل إحياء الفرد وإحياء الزمان والمكان، إنه إحياء شامل يعم جميع شؤون الحياة الصحيحة، ويدعو إلى مزيد من بناء الكون وعمارة الدنيا، وتقدم الحياة والمدنية وتحقيق خلافة الإنسان في هذه الأرض " (٣).

كما أنه في عمارة الأرض توظيف لليد العاملة ولقدرات كل فرد وما يمتلكه من مواهب وصناعات حباه الله إياها، وهو معنى يشمل كل بناء حضاري على صعيد الفرد والمجتمع، في المال والجمال وغيره.

قال الزمخشري: " ﴿ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ لم ينشئكم منها إلا هو، ولم يستعمركم فيها غيره. وإنشأؤهم منها خلق آدم من التراب ﴿ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ وأمركم بالعمارة، والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه، وكان ملوك فارس قد حفر الأنهار وغرس الأشجار، وعمروا الأعمار الطوال، مع ما كان فيهم من عسف الرعايا، فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعمييرهم، فأوحى إليه: إنهم عمروا بلادهم فعاش فيها عبادي " (٤).

وأضاف الرازي: " واعلم أن في كون الأرض قابلة للعمارات النافعة للإنسان، وكون الإنسان

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠ .

(٢) سورة هود، من الآية: ٦١ .

(٣) الزحيلي، وهبة، القرآن الكريم بنيتة التشريعية وخصائصه الحضارية، ط ١ (دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)،

.٨٨

(٤) الزمخشري، الكشاف، ٢ / ٢٧٨ .

قادراً علماً دلالة عظيمة على وجود الصانع، ودفع حاصله إلى ما ذكره الله تعالى في آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾<sup>(١)</sup>. وذلك لأن حدوث الإنسان مع أنه حصل في ذاته العقل الهادي والقدرة على التصرفات الموافقة يدل على وجود الصانع الحكيم وكون الأرض موصوفة بصفات مطابقة للمصالح الموافقة للمنافع يدل أيضاً على وجود الصانع الحكيم " <sup>(٢)</sup>.

وهذا من الروعة في تنمية الحضارة وقوتها. وقد ذكر الله سبحانه القدرة على عمارة الأرض في موضع آخر، فقال عز وجل: ﴿ وَبَوَّأْنَا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَنَازِلًا وَمِنْهَا مَنَازِلُ يُسْكِنُ اللَّهُ الَّذِينَ يَشَاءُ وَيُخْرِجُهُمْ مِمَّا يَشَاءُ وَمَا يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو الْجَوْلَادِ ﴾<sup>(٣)</sup>.

" واستعمل الاستعمار في عصرنا بمعنى استيلاء الدول القوية على بلاد المستضعفين واستثمارها واستعباد أهلها لمصالحهم " <sup>(٤)</sup>، كما وضع صاحب المنار، ولكن الاستعمار المقصود والذي أريده في ضوء الآية الكريمة، هو استعمار الأرض ببنائها والقيام بمصالحها، وسبل ازدهارها ونمائها.

ومن أساليب العمارة أيضاً: المنافسة الشريفة والتسابق والحرص على تحقيق المستوى الأفضل، علماً بأن القرآن الكريم حرك في طبع الناس عامل المنافسة الخيرة، فقال سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾<sup>(٥)</sup>. ووصف عباده المؤمنين السابقين، بقوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَاهُنَا سَابِقُونَ ﴾<sup>(٦)</sup>.

وفي موضع آخر أكد سبحانه وتعالى المعنى الإيجابي البناء لتقدم الحياة وبناء الحضارة وتنمية قوتها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾<sup>(٧)</sup>.

فكانت بلا شك عمارة الأرض من الوسائل المهمة في تنمية القوة الحضارية، بصرف النظر عن

(١) سورة الأعلى، الآية: ٣.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ٩ / ١٨.

(٣) سورة الأعراف، من الآية: ٧٤.

(٤) رضا، تفسير المنار، ١٢ / ٩٥.

(٥) سورة الأنعام، من الآية: ١٦٥.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

(٧) سورة النور، الآية: ٥٥.

المفهوم القائل، بأن الدنيا لهم والآخرة لنا. فهذا مفهوم ناقص وغير واع لمفهوم الاستخلاف في الأرض. معناه الصحيح الذي أراده الله سبحانه وتعالى ووضحته في هذا المقام.

سادسا: التوازن بين الماديات والروحانيات، لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١).

" لأن تاريخ كل الحضارات أثبت أن كلا من الروحية البحتة أو المادية البحتة وحدها لا يصلح أن يكون سبيلا لسعادة الإنسان الحققة، فليس في مسلك الروحية البحت سوى التخلف وتعطيل الإرادة البشرية والتفكير وطاقات العمل، وقتل آدمية الإنسان، وخسارة منافع الكون، وتضييع حكمة الخالق من خلق العالم. وليس في مسلك المادية البحت سوى الطغيان والظلم، والاستعمار المستعبد والذل، والتحكم الغاشم بالأرواح والأموال والأعراض والكرامة الإنسانية " (٢).

لذا كان التوازن بينهما أساس الحضارة الإسلامية الخالدة، وما يزال التوازن وسيلة تتطلب الكثير من العمل، والمحافظة عليه، لأنه وتيرة متقلبة في حياة المجتمع، لذا كان إيراد هذه الخصيصة كوسيلة تنمية بالغ الأهمية لقيام نهضة وتنمية قوة الحضارة.

وفي الآية: " يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيل قوم قارون له: لا تبغ يا قارون على قومك، بكثرة مالك، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا. وقوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ يقول: ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة، فتعمل فيه بما ينحيك غداً من عقاب الله " (٣) فالتوازن بين الروحانية والمادية مطلب أساسي على صعيد الأفراد والجماعات معا.

وقال القاسمي: " ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ أي: اطلب من الغني الذي تفضل الله به عليك، بعد الفاقة: ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: بأن تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب. وتجعله زادك إلى الآخرة: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وهو أن تأخذ منه

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) الزحيلي، القرآن الكريم بنيتة التشريعية وخصائصه الحضارية، ٨٩ (بتصرف).

(٣) الطبري، جامع البيان، ١١ / ١١٢.



ما يصلحك ويرفحك: ﴿ وَأَحْسِن ﴾ أي: إلى الناس. أو اعمل الإحسان من وجوهه المعروفة: ﴿ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: بهذا المال الذي جعله سبب صلاحها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١).

ووضح في الآية التي بعدها السنة والعاقبة، فقال: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (٢).

" ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ أي: بطرق التجارة أو المكاسب، ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَم ﴾ أي: مما سمع بالتواتر: ﴿ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ ﴾ أي: الكثيرة، بحيث صارت سنة له: ﴿ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً ﴾ أي: بالأموال والأتباع، ﴿ وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أي: لا يتوقف إهلاكه إياهم على سؤال، ليعتذروا عنها. بل متى حة. علما القهار، فسقمه، أهلكه بغنة بلا معاتبة وطلب عذر. ثم أشار تعالى إلى أن قارون لم يعتبر بذلك، ولا بنصيحة قومه، بقوله سبحانه: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ (٣) " (٤).

فكان لزوما على الأمة الاتعاظ وأخذ العبرة ممن سبق، وبناء حضارة قوية تتجنب أخطاء الأمم السابقة، وتحاول جاهدة التعلم منها.

سابعا: صلاح الفئة المستضعفة، لقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (٥).

أي: " ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ ﴾ أي: نفضل، ﴿ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ أي: نقتدي، هم في الدن. بعد أن كانوا أتباعاً مسخرين، ﴿ وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ أي: لملك عدوهم؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأُورَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقًا

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ٥ / ٤٣٣.

(٢) سورة القصص، من الآية: ٧٨.

(٣) سورة القصص، من الآية: ٧٩.

(٤) القاسمي، محاسن التأويل، ٥ / ٤٣٣.

(٥) سورة القصص، الآية: ٥ - ٦.

الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا  
وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١﴾.

﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي: بالتصرف فيها تصرف الملوك، ﴿ وَنُرِي فِرْعَوْنَ  
وَهَمَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ ﴾ أي: من أولئك المستضعفين، ﴿ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ أي:  
من هلاكهم وذهاب ملكهم، جزاء إفسادهم وعدم إصلاحهم وطغيانهم " (٢).

وأضاف السعدي: " ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ بأن نزيل  
عنهم مواد الاستضعاف، ونهلك من قاومهم، ونخذل من ناوهم. ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ في الدين،  
وذلك لا يحصل مع استضعاف، بل لا بد من تمكين في الأرض، وقدرة تامة، ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ  
الْوَارِثِينَ ﴾ للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا قبل الآخرة " (٣).

أما صاحب الظلال، فقد استرسل في هذه الآيات بأسلوبه البليغ ما يوضح المعنى الذي أريد،  
فقال: " هذه السورة مكية، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب  
الحول والطول والجاه والسلطان. نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك  
قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله، وأن هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان.  
فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله  
عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله،  
ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلاً " (٤).

وقال في موضع آخر: " فالمقصود أن الشرّ حين يمتحض يحمل سبب هلاكه في ذاته، والبغي  
حين يتمرد لا يحتاج إلى من يدفعه من البشر؛ بل تتدخل يد القدرة وتأخذ بيد المستضعفين المعتدى  
عليهم، فتنقذهم وتستنقذ عناصر الخير فيهم، وتربيهم، وتجعلهم أئمة، وتجعلهم الوارثين، والطغاة  
البغاة تخدعهم قوتهم وسطوتهم وحيلتهم، فينسبون إرادة الله وتقديره، ويجسبون أنهم يختارون  
لأنفسهم ما يحبون، ويختارون لأعدائهم ما يشاءون. ويظنون أنهم على هذا وذاك قادرين، فالله

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٢) القاسمي، محاسن التأويل، ٥ / ٤١٦.

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٦٦٤.

(٤) قطب، في ظلال القرآن، ٥ / ٢٦٧٣ - ٢٦٧٤.

يريد أن يمن على هؤلاء المستضعفون بعباته من غير تحديد، وأن يجعلهم أئمة وقادة لا عبيداً ولا تابعين، وأن يورثهم الأرض المباركة ( التي أعطاهم إياها عندما استحقوها بعد ذلك بالإيمان والصلاح ) وأن يمكن لهم فيها فيجعلهم أقوياء راسخي الأقدام مطمئنين. وأن يحقق ما يحذره فرعون وهامان وجنودهما، وما يتخذون الحيلة دونه، وهم لا يشعرون " (١).

وأوضح ابن عاشور أن سبب إظهار ﴿ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا ﴾ دون إيراد ضمير الطائفة " للتنبيه على ما في الصلة من التعليل فإن الله رحيم لعباده، وينصر المستضعفين المظلومين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً . وخص بالذكر من المن أربعة أشياء عطفت على فعل ﴿ نَمَنَّ ﴾ عطف الخاص على العام وهي: جعلهم أئمة، وجعلهم الوارثين، والتمكين لهم في الأرض، وأن يكون زوال ملك فرعون على أيديهم في نعم أخرى حمة، ذكر كثير منها في سورة البقرة. فأما جعلهم أئمة فذلك بأن أخرجهم من ذلّ العبودية وجعلهم أمة حرة مالكة أمر نفسها لها شريعة عادلة وقانون معاملتها وقوة تدفع بها أعداءها ومملكة خالصة لها وحضارة كاملة تفوق حضارة جبرتها بحيث تصير قدوة للأمم في شؤون الكمال وطلب الهناء " (٢).

فالتيجة بعد التفسير والتحليل، هي نيل الملك والتمكين في الأرض للفئة المستضعفة الصالحة على مدار الأمم والحضارات، " ولم يبين هنا السبب الذي جعلهم به أئمة جمع إمام، أي قادة في الخير، دعاة الله على أهل القلوب. ولم يبين هنا أيضاً الشيء الذي جعلهم به أئمة، ولكنه تعالى بين جميع ذلك في غير هذا الموضع، فبين السبب الذي جعلهم به أئمة في قوله تعالى: ﴿ هَجَعَلْنَا مِنْكُمْ أُمَّةً يَدُوعَةً نَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ قِسْمًا كَثِيرًا وَمَا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُ إِنَّهُمْ لَا عَلِيمُونَ ﴾ (٣)، فالصبر واليقين هما السبب في ذلك، وبين الشيء الذي جعلهم له وارثين بقوله تعالى: ﴿ هَآءِ رَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَهَا قَوْمًا

(١) قطب، المرجع السابق، ٥ / ٢٦٧٨.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٠ - ٢١ / ٧٠ - ٧١.

(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٤) سورة الأعراف، من الآية: ١٣٧.

ءَاخِرِينَ ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢﴾﴾ " (٣).

وفي الحديث الشريف: ( هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم؟ )<sup>(٤)</sup>.

فكان السعي لصلاح الفئة المستضعفة في المجتمع أمر بالغ الأهمية في تنمية القوة الحضارية، وفيه أيضا السعي لصلاح الفرد في نفسه، فلا يعلم التهيئة الربانية له في بناء الحضارة أو في الدعوة وغيره، ففي النهاية، يعمنا أنا جميعنا في هذه الأرض ضعفاء ! ولا بد من السعي إلى إصلاح ذاتنا وأهلينا.

ثامنا: قوة الوقت، لقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٥﴾.

لا يخفى على عاقل، أن الوقت قوة للإنسان إذا استغله فيما ينفعه، لذا كان الاهتمام والحرص على الوقت من أهم وسائل البناء الحضاري بالنسبة للفرد والمجتمع ككل، لأنه توضيح إلى مصارف الوقت، أين وكيف وفيما؟، وقد أقسم القرآن العظيم بالوقت في مواضع عديدة، بل وقد سميت سور عدة بأسماء الأوقات، مثل الفجر، الليل، الضحى، الشمس، العصر، وغيره، دليلا على أهمية الوقت، والحث على الانتفاع به في أوجه الخير، وبين أهمية الانتفاع بالوقت، وفضائل بعض الأوقات، مثل الليال العشر، وأيام رمضان، وغيره، ننتهي إلى نتيجة واحدة، وهي: أن كل القوة تكمن في حسن استغلال الوقت، حتى الحضارة تبني وتزدهر. بما يشغل عقول أبنائها، وطريقتهم في قضاء أوقاتهم وكيفية السعي والوصول إلى أهدافهم وغاياتهم، وماهية هذه الأهداف.

وسورة العصر، نموذج متكامل في بيان أهمية الوقت وعلاقته بالإنسان وإيضاح أهم طرق اغتنامه، ليكون نماء وقوة للإنسان، ولتنمية قوة الحضارات، " فالعصر: هو الزمان الذي يقع فيه

(١) سورة الدخان، الآية: ٢٥ - ٢٨.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٥٧ - ٥٩.

(٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ٦ / ٤٥١.

(٤) البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، الراوي: مصعب بن سعد، رقم

الحديث: ٢٨٩٦، رقم الصفحة: ٤٧٩.

(٥) سورة العصر، الآية: ١ - ٣.

حركات بني آدم من خير وشر" (١). وهو ببساطة عمر الإنسان ووقته الذي يقضيه في الأرض. وفي توضيح هذا النموذج المعجز في تنمية قوة الوقت، قال السعدي: " أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح. والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم. وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به . والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة. والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه. والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة. فبالأميرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأميرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم " (٢).

وقال ابن عاشور: " وأشهر إطلاق لفظ العصر أنه علم بالغلبة لوقت ما بين آخر وقت الظهر وبين اصفرار الشمس، فمبدؤه إذا صار ظل الجسم مثله بعد القدر الذي كان عليه عند زوال الشمس، ويمتد إلى أن يصير ظل الجسم مثلي قدره بعد الظل الذي كان له عند زوال الشمس. وذلك وقت اصفرار الشمس، والعصر مبدأ العشي. ويعقبه الأصيل، والاحمرار، وهو ما قبل غروب الشمس، فذلك وقت يؤذن بقرب انتهاء النهار، وفي ذلك الوقت يتهيأ الناس للانقطاع عن أعمالهم في النهار كالقيام على حقوقهم وجنائهم، وتجاراتهم في أسواقهم، فيذكر بحكمة نظام المجتمع الإنساني وما ألهم الله في غريزته من دأب على العمل ونظام لابتدائه وانقطاعه. وفيه يتحفز الناس للإقبال على بيوتهم لمبيتهم والتأنس بأهلهم وأولادهم. وهو من النعمة أو من النعيم، وفيه إيماء إلى التذكير بمثل الحياة حين تدنو آجال الناس بعد مضي أطوار الشباب والاكتهال والهزم" (٣).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢٠٢٩.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٠٢٠ - ١٠٢١.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٣٠ / ٥٢٨ - ٥٢٩.

وكل ذلك دلالة على أهمية الوقت وأهمية قضائه بالوجه الذي ينفع المسلمين، في مجتمعهم، وحضارتهم، فهو من الوسائل المهمة التي يجب استثمارها وعدم تغافلها في تنمية القوة الحضارية.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، وبفضله وجوده يبلغ أصحاب الآمال منتهى آمالهم، فله الحمد عز وجل على ما أنعم ويسر، وذلل من صعاب وأعان على إتمام ما من به؛ ليكون وسيلة من وسائل قربته.

- وحسبي هنا أن أقول: بحمد لله وتوفيقه أنجزت هذا البحث، وقد توصلت فيه إلى النتائج التالية:
- أن البحث في تنمية القوة، يعد من الأمور المهمة، والحاجات الملحة، فهو يعتبر من الدراسات القرآنية المتخصصة، وهو أيضا مما يزداد أهمية في زمان الأمة فيه بحاجة إلى من يستخرج قوتها ويوجهها إلى المنهج الصحيح، وينتشلها مما هي فيه من الضعف، في وقت بدأت تتملل فيه وتنتفض لاستعادة مجدها.
  - أن البحث في مجال تنمية القوة، يعد من الاهتمامات المتأخرة، لذا وجبت العناية به ودراسته من جميع جوانبه ونواحيه بشكل مفصل ودقيق.
  - أن فهم القوة وفهم آليتها وكيفية استخراجها، يهيئ الفرد والمجتمع المسلم ليكون قياديا ومتيقنا بنصر الله.
  - أن القوة منها ما هو عام مبثوث في كل المخلوقات بغير قدرة منها ولا اختيار، ومنها ما هو خاص بالمسلمين إذا ما استمسكوا بما أوجبها.
  - أن تعبير القرآن الكريم عن القوة جاء إما صريحا في ٢٩ آية، أو بالإشارة كما في أغلب سورته.
  - أن في إشارة القرآن لبعض جوانب القوة توجيهها للمؤمن ليعمل عقله في باقي جوانب القوة العامة.
  - أن القرآن ركز على صورة القوة في الأخذ بالكتاب وتعاليم الشريعة بعزم وجد، لأن في ذلك القوة بعينها التي تؤثر في حياة الإنسان الدنيوية والأخروية.
  - أن السبب الذي يحفز لاستخراج القوى الكامنة، هو مدى وعي المسلمين بالمفهوم الصحيح للقوة بمنهج القرآن الكريم، ومدى إدراكهم بأهميتها. واليقين بأن القوة لله جميعا.

- أن للقوة صوراً كثيرة، متدرجة من أعلاها في المواجهة المباشرة بالقتال، ومروراً بصور الجدل والحوار وإلى المداراة، فكما أن له صوراً نظرية أو سلمية، كذلك له صور من المواجهة الفعلية مع النفس، ومع الغير.

- أن تلمس الحكم والآثار القرآنية، والتي منها القوة، يعتمد في جانب كبير منه على النظر والتأمل، وهو من طرق العبادة لله، ويعود على المكلف بالنفع العظيم في دينه ودنياه.

- الرد على العلمانيين .

أما التوصيات فتتلخص في التالي:

١- ضرورة العناية بالقوة وتنميتها في الفرد والمجتمع المسلم، وتوجيه الدراسات لذلك، فالقوة والتنمية من المواضيع القرآنية التي لم تعط حقها من البحث والدراسة، رغم أهميتها وحاجة الأمة لها، ولتطبيقها على أرض الواقع.

٢- أن يراعى في دراسة تنمية القوة علاقتها بغيرها من المواضيع، فهي منظومة متناسقة مترابطة، وكل قرار أو فعل في أي جانب من جوانب الحياة يحتاج إلى قوة، فعلى الباحث مراعاة ذلك عند دراسة أي جانب من جوانب القوة، حتى يتوصل بذلك إلى التصور الصحيح لها.

٣- من المواضيع التي أوصي بالبحث فيها، مما له علاقة بالقوة:

- فقه الأولويات في مجال الفكر والعلم والتطبيق في ضوء القرآن الكريم.
- الرشد في ضوء القرآن الكريم.
- الوسائل التنموية في القرآن الكريم.
- الاتصال والتواصل في ضوء القرآن الكريم.
- قوة الوقت في ضوء القرآن الكريم.
- الاستثمار (... ) في ضوء القرآن الكريم.

وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام المترجمين
- فهرس المصادر والمراجع

## فهرس الآيات القرآنية

### سورة الفاتحة

الصفحة	رقم الآية
٤٩	٥

### سورة البقرة

الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية
١٥٢	٢٢٨	١٣٩	١٦٨	٨٦	93	١٠٩	30
٩٦	٢٣٧	١٣٨	١٧٢	١٦٥	148	١٢٩	31
٢٤	249	١٥٢	١٧٧	١٦٦	148	١٤٤	43
٢٣	250	٦٨	١٨٥	١٤١	150	١٧٩	43
١٣٤	251	٨٨	١٩٥	١٥٢	151	١٠٦	44
١٧	259	٩٨	٢١٦	٩٨	156	٩٥	45
١٧٦	275	٤٩	٢١٩	٩٨	157	١٩	63
١٧٨	278	١١٥	٢٢١	٢٦	165	٢٨	63
١٧٨	279	٩٠	٢٢٢	٨٥	165	١٠٦	75
١٢٧	282	٩٥	٢٢٢	٨٧	١٦٥	٢٨	93

### سورة آل عمران

الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية
١٢٦	190	٦٤	١٥١	١٨٩	104	٤٨	16
٤٩	191	١٥٤	١٥٩	١٣	110	٤٨	17
١١٦	191	١٤٨	١٥٩	٥٧	114	٨٧	31
١٢٦	191	٤٤	١٦٤	١٧٧	130	١٦٤	36

رقم الآية	الصفحة
200	٢٤
200	٧٦

رقم الآية	الصفحة
١٦٧	٦٤
١٨٦	٧٣
١٩٠	٤٩
190	١١٦

رقم الآية	الصفحة
134	٩٦
139	36
146	٣٦
146	٩١

رقم الآية	الصفحة
37	١٥
102	٩٠
103	٦٢
103	٦٤

### سورة النساء

رقم الآية	الصفحة
119	١٦٥
127	٣٢
161	١٧٧

رقم الآية	الصفحة
٨٤	٢١
٨٦	١٥٥
٩٤	١١٩
97	٣٤
98	٣٤
99	٣٤

رقم الآية	الصفحة
28	٣٥
36	١٥٢
65	٤٥
76	٣٦
٨٢	٤٤
٨٢	١١٨

رقم الآية	الصفحة
1	٧٧
5	١٦٩
5	١٧٣
6	١٧٤
6	١٧٣
11	٣٢

### سورة المائدة

رقم الآية	الصفحة
93	٩٠
83	١١٠

رقم الآية	الصفحة
٥٤	٩٢
٥٤	١٦٠

رقم الآية	الصفحة
48	٧٤
54	٨٦

رقم الآية	الصفحة
1	١٨٧
6	٩٥

### الأنعام

رقم الآية	الصفحة
١٥٣	٦١
160	٧٤
165	١٩٧

رقم الآية	الصفحة
118	١٠٢
121	١٠٢
١٤٥	١٤٠

رقم الآية	الصفحة
19	٤٦
98	١٢٠
99	١٦

## الأعراف

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٨٠	٤٢	١٤٥	١٨٥	١٣٧	٢٠٠	١٤٠	٣١
١٨٥	١١٤	١٧١	٢٨	١٣٧	٢٠١	١٩٧	٧٤
٢٠٤	١٥٦	١٧٦	١٨	١٤٥	٢٨	٨٧	٩٦
		١٧٩	١١٢	١٤٥	٨١	١٧	١٣٧

## الأنفال

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٦٠	٢٨	٤٦	١٨٩	٣٣	٤٨	١١	٢٤
٦٠	١٣١	٥٢	٢٦	٣٧	١٦٥	٢٣	٧١
٧٠	٥٩	٥٣	٩٨	٤٥	٢٢	٢٩	٦٠
		٦٠	٢٢	٤٥	١٤١	٢٩	١٢٧

## التوبة

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٠٩	٤٣	٧٩	٢٤	٤٦	٧١	٤	٨٩
١٢٢	١٢٥	٩١	٣٣	٦٠	١٧٨	١٩	١٢٢
١٢٣	٢١	١٠٣	١٣	٦٠	١٧٩	٢٠	١٢٢

## يونس

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٠١	١١٤	٢٦	٥٢	١٩	١٦٤

## هود

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١١٨	١٦٤	١٠٢	٢٣	٦٦	٢٧	٥٢	٢٩
119	١٦٤	١١٦	١٩٠	٨٠	١٩	٥٢	٤٧
		١١٨	١٦٣	٨٠	٢٩	٦١	١٩٦

## يوسف

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
105	١١٧	٥٥	١٧٠	22	٥٢	4	١٥٦
106	١١٧	٥٨	١١١	45	١٥٦	5	١٥٦
		٦٧	١٨١	46	١٥٦	6	١٥٦
		68	١٨٢	53	٧٩	18	١٦٠

## إبراهيم

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٢٨	١٩٥	١٢	١٥٩	٢٨	٨١	١١	٦٧
٣٤	١٧٢	٢١	٣١	٣٧	٨٤	١٥	١٤٦

## الرعد

## الحجر

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٢٩	٤٠	٢١	١٧٢	١٩	١٧٢

## النحل

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
125	١٦١	٩٠	٧٤	76	٢١	٥	١٤١
128	٥٠	٩٠	١٥٢	78	١١٣	44	١٠٥
		٩٢	٢٩	78	١٢٨	75	٢١

## الإسراء

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٥٣	١٦٠	٢٤	١٥	18	٦٦	5	٢٠
79	١٠٢	٢٤	١٥١	18	٨٥	9	١٢٦
82	١٧	٣١	١٥١	19	٦٦	13	٦٦
84	١٨٠	٣٤	٧٥	19	٨٥	13	٧٣
85	٤١	٣٦	٧٥	20	٨٥	14	٧٣
85	١٠٨	٣٦	١١٢	23	١٥١	15	٧٣

## الكهف

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
95	٢٨	٧٩	١٧٦	46	١٤٢	18	١٠٩
95	١٣٣	٨٤	٢٢	66	١٧٦	28	٨٤
		95	١٩	٧١	١٧٦	39	٢٦

## مريم

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٢	٨٢	١٢	١٩

١٤٧	٥٩	٢٨	١٢
-----	----	----	----

طه

الصفحة	رقم الآية
٦	٥٠

الأنبياء

الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية
١٩٥	107	١٣٠	٩٠	١٢٠	79

الحج

الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية
١٤٣	77	٦٨	46	١٩٠	41	٢٧	40
		٢٦	٧٤	٦٣	46	١٩٠	40

المؤمنون

الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية
١٠٩	116	١٩٧	٦١	١٦	42	١٣٠	1
		٤٤	٦٨	١٣٩	51	١٣٠	2
		١١٥	٨٥	٦٤	60	١٣٠	3
		١٠٩	١١٥	٥٨	61	١٠٢	29

النور

الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية
١٦٣	62	١١٠	٥٥	٩١	31	٩٦	22

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٦٢	٥٨	١٢٢	35	١٦٢	27
١٦٢	٥٩	٢٣	53	١٦٢	28
١٦٣	61	٤٧	٥٤	١٦٢	29

### الفرقان

رقم الآية	الصفحة
٦٤	٥٥

### الشعراء

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٨٩	٦٥	٥٩	193	٥٧	٢٠٢
٦١	١١٢	٦١	193	٥٨	193

### النمل

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٤٦	٩٤	٣٩	٢٩	١٩	١٥٤

### القصص

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
79	١٩٩	٧٧	١٩٨	26	٢٧	١	٥
٧٨	٣٠	٧٨	٣٠	26	١٣٤	6	١٩٩



١٩٩	78	٢٩	٧٦	٢٩	26
-----	----	----	----	----	----

### العنكبوت

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
69	٥٩	56	٣٥	43	٦٩	8	١٥١
69	٨٣	٦٩	٥١	43	١٠٦	13	٧٥

### الروم

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٥٤	٣٦	٣٩	١٧٧	٧	١٠٨
٥٤		٥٤	٣٠	٢١	١٥١

### السجدة

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٦	٥٤	٢٠	١٠٠
٢٤	٢٠١	٢٢	٦١

### لقمان

### الأحزاب

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٣٥	١٠١	١٥	٧٥	١	٦٠
٤١	١٠١	٢١	٤٦	٤	٦٠
٤٢	١٠١	٢٥	٢٧	٨	٧٥

### فاطر

### سبأ

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة

٤٢	٢٨	١٣٤	١٠
٦١	٢٨	١٣٥	١١

ص

الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية
٤٤	29	١٠٩	26	١٣٤	17

الزمر

الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية
٦٤	٤٥	٩٧	١١	٥٥	٩

غافر

الصفحة	رقم الآية
٤٩	٥٧

فصلت

الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية
١٥	٣٩	١٥٧	34	١٧٩	10
١٧٢	49	١٥٨	35	٣٠	15

الشورى

الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية
١٥٩	٤٣	١٨٣	27	٨٤	15
١٠١	52	٧١	٤٣	٢٧	19

## الزخرف

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٣٢	١٦٤	١١	١٦

## الدخان

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
28	٢٠٢	27	٢٠٢	26	٢٠٢	25	٢٠٢

## الجاثية

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٢٣	٨٤	١٣	١٠٠

## محمد

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
24	١١٨	19	١٢٥	14	٨٥
		٢٤	٤٤	18	١١١

## الفتح

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة

١٦٠	٢٩	٨٩	26	١٠٠	4
		١٤٧	٢٩	٦٩	18

### الحجرات

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
13	١٩٤	١١	١٥٢	9	٩٢	2	١٦٢
		١٢	١٥٢	9	١٥٢	3	١٦٢
		13	١٦٦	10	١٥٢	4	١٦٢

### ق

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٨	٨٥	١٧	٧٧	٨	١١٥
		١٨	٧٧	١٦	٧٧

### الذاريات

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
56	١٠٨	٢١	١١٤	18	٥١	15	٥١
58	٢٧	٥٥	١١٦	18	١٠٢	16	٥١
		56	١٠٨	19	٥١	17	٥١

### النجم

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٤٢	١١٠	5	٢٩	4	٢٩

### القمر

رقم الآية	الصفحة
٤٩	١٧٢

## الرحمن

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٦٠	٤٩	٧	١٢٣	١	١٢٨
٦٠	١٥٨	٨	١٢٣	٢	١٢٨
		٩	١٢٣	٤	١٢٨

## الواقعة

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٢١	٧٢	١٨	٧٢	١٥	٧٢
٢٢	٧٢	١٩	٧٢	١٦	٧٢
٢٣	٧٢	٢٠	٧٢	١٧	٧٢

## الحديد

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٢٥	٢٧	٢٠	١٦	٧	١٦٩
٢٨	١٢٧	٢٥	٢١	١٣	٩٤

## المجادلة

رقم الآية	الصفحة
22	٤٠

رقم الآية	الصفحة
٢١	١٩
21	٢٥

رقم الآية	الصفحة
11	١٦٣
١١	١٥٧

رقم الآية	الصفحة
9	١٦٣
11	١٧

### الحشر

رقم الآية	الصفحة
18	٧٦

رقم الآية	الصفحة
٩	١٩٢
10	١٩٢

رقم الآية	الصفحة
8	١٩٢
9	٥٨

رقم الآية	الصفحة
7	٤٧
7	١٨٢

### المتحنة

رقم الآية	الصفحة
٩	١٥٣

رقم الآية	الصفحة
٨	١٥٣

### المنافقون

رقم الآية	الصفحة
٩	١٦٩

### الصف

رقم الآية	الصفحة
٤	١٧

### الطلاق

رقم الآية	الصفحة
٣	٦٠

رقم الآية	الصفحة
٢	٦٠

### التحریم

رقم الآیة	الصفحة
٨	٩٤

### الملک

رقم الآیة	الصفحة
١٠	١٠٦

### الحاقة

رقم الآیة	الصفحة
٤٨	٨٥

### المعارج

رقم الآیة	الصفحة
٢٤	٥١

### نوح

رقم الآیة	الصفحة
10	٤٨

رقم الآیة	الصفحة
11	٤٧

رقم الآیة	الصفحة
١٢	٤٨

رقم الآیة	الصفحة
12	٤٨

### المزمل

رقم الآیة	الصفحة
١	٥٣
٢	٥٣

رقم الآیة	الصفحة
٣	٥٣
٤	٥٣

رقم الآیة	الصفحة
٥	٥٣
٦	٥٣

### المدثر

رقم الآیة	الصفحة
18	١٠٨
19	١٠٨

رقم الآیة	الصفحة
20	١٠٨
21	١٠٨

رقم الآیة	الصفحة
٢٢	١٠٨
٢٣	١٠٨

رقم الآیة	الصفحة
24	١٠٨
25	١٠٨

### القیامة

رقم الآیة	الصفحة
١	٨٠

رقم الآیة	الصفحة
٢	٨٠

رقم الآیة	الصفحة
٣٦	١٠٩

## الإنسان

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٩	٧١	16	٧١	13	٧١
٢٠	٧١	17	٧١	14	٧١
٢١	٧١	18	٧١	15	٧١

## النازعات

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٤١	٨٣	٤٠	٨٣

## عبس

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
38	١٥٤	٣٠	١٤١	27	١٤١	24	١٤١
39	١٥٤	٣١	١٤١	28	١٤١	25	١٤١
		٣٢	١٤١	29	١٤١	26	١٤١

## التكوير

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٢٠	٢٩	١٩	٢٩

## الانفطار

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٢	٧٧	١١	٧٧	١٠	٧٧



## البروج

رقم الآية	الصفحة
١٢	٢٣

## الأعلى

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٣	١٩٧	٩	١١٦	١٠	١١٦

## الغاشية

رقم الآية	الصفحة
١٧	١١٤

## الفجر

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
1	١٠٣	20	١٧٢	28	٨٠	٢٧	٨٠

## البلد

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٧	١٦٠	١٨	١٦٠

الشرح

الليل

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٥	١٠٠	٥	٩٧
٦	١٠٠	٦	٩٧

### العلق

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
١٤	٧٧	٥	٦٨	٣	٦٨	١	٦٨
		٥	١٠٦	٣	١٠٦	١	١٠٦
		٦	١٦٩	٤	١٠٦	٢	٦٨

### التكاثر

رقم الآية	الصفحة
١	١٧٢
٥	١٢١

### العاديات

رقم الآية	الصفحة
١	١٣٢
٨	١٦٦

### البينة

رقم الآية	الصفحة
٥	١٠٩

### العصر

رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة	رقم الآية	الصفحة
٣	٢٠٢	٢	٢٠٢	١	٢٠٢

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
١	أحب الأعمال أدومها إلى الله وإن قل	٧٦
٢	إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمناه	١٠٠
٣	إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) فغسل وجهه	٩٥
٤	إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن	١٤٦
٥	ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً	١٣٦
٦	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء	٩٦
٧	ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟	١٤٢
٨	ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي	١٣٦
٩	أمرت أن أسجد على سبعة أعظم	١٤٦
١٠	أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني	٩٩
١١	إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلان	٩٤
١٢	إن الله كتب الإحسان على كل شيء	٥٠
١٣	أن تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك	٨٩،٥١
١٤	إن عظم الجزاء مع عظم البلاء	٩٩
١٥	إنما الأعمال بالنية وإنما لامرئ ما نوى	٩٧،٧٠
١٦	إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً	٤٢
١٧	إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر	٥٨
١٨	إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له	١٠٠

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
١٩	الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة	١٢٥
٢٠	أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً	١٣٩
٢١	الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات	٦٥
٢٢	الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة	١٣٧
٢٣	رأيته إذا كبر جعل يديه حذو منكبيه	١٤٧
٢٤	عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خيرٌ	٩٨
٢٥	عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة	٣٥
٢٦	كان خلقه القرآن	٦٢
٢٧	لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا	١٥٥
٢٨	لا سبق إلا في نصل، أو خف، أو حافر	١٣٧
٢٩	لجسدك عليك حقاً	١٣٩
٣٠	لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس محدثون	٦٠
٣١	لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دويةٍ	٩١
٣٢	اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارنا وفي مدنا	١٠٢
٣٣	لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه	٩٨
٣٤	لو أنكم توكلتم على الله حقَّ توكله	٩٨
٣٥	لو يعلم الناس ما في النداء الأول والصف الأول	١٠٣
٣٦	ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً	١٤
٣٧	ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاجَّ	١٢٣
٣٨	ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده	١٣٣

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
٣٩	ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن	١٤٠
٤٠	مامنكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار	٩٧
٤١	ما من مولود إلا يولد على الفطرة	٦٦
٤٢	مثل القائم في حدود الله والواقع فيها	١٨٣
٤٣	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم	١٦٠
٤٤	من صلى الفجر في جماعة	١٠٣
٤٥	من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة	١٠١
٤٦	المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم	١٥٩
٤٧	المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف	١٣٦،٣٧
٤٨	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً	١٥١
٤٩	هل تُنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟	٢٠٢
٥٠	والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين	٩٥
٥١	وكونوا عباد الله إخواناً	١٦١
٥٢	ولن يُشادَّ الدين أحد إلا غلبه	٢٠
٥٣	وما زال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحببته	٩٩،٨٨
٥٤	يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها	٩٦
٥٥	يا عبد الله ألم أخبرك أنك تصوم النهار وتقوم الليل	٦٩
٥٦	يَنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا	١٠٢

## فهرس الأعلام

الصفحة	العلم	الرقم
١٩	الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل	١
٤٧	الألوسي، شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله	٢
١٢٥	البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة	٣
٣٤	البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد الفراء	٤
٨٠	البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي	٥
٢١	التهانوي، محمد علي بن الشيخ علي بن القاضي	٦
١٩	الجرجاني، علي بن محمد	٧
٤٤	الحسن البصري	٨
١٧٤	أبو حنيفة، النعمان بن ثابت التيمي	٩
١٥	الرازي، محمد بن عمر بن فخر الدين	١٠
٥٢	الزخشري، محمد بن عمر بن الخوارزمي	١١
٣٣	السعدي، عبد الرحمن بن ناصر	١٢
٥٧	أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي	١٣
٢٢	الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني	١٤
٢٣	الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله	١٥
١٥	الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي	١٦
٤٠	ابن عاشور، محمد الطاهر	١٧
١٢١	ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام	١٨

الصفحة	العلم	الرقم
٤٥	الغزالي، محمد بن محمد الغزالي الطوسي	١٩
١٣	ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني	٢٠
١١٠	الفيروزابادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر	٢١
٢١	القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري	٢٢
٤٤	قطب، سيد بن إبراهيم	٢٣
٣٠	ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعيد الزرعي	٢٤
١٦	ابن كثير، إسماعيل بن عمر	٢٥
١٧٤	مالك بن أنس الأصبحي الحميري	٢٦
١١٤	ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي	٢٧

## فهرس المصادر و المراجع

- ١- الأصفهاني، الراغب، تحقيق: داوودي، صفوان عدنان، مفردات ألفاظ القرآن، ط١، (دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- ٢- الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ٣- الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار التراث العربي).
- ٤- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، الأدب المفرد، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).
- ٥- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، ط٢ (الرياض: دار السلام، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
- ٦- البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، ط١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- ٧- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
- ٨- بكار، عبد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، ط١ (الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).
- ٩- بكار، عبد الكريم، العيش في الزمان الصعب، ط٥ (جدة: دار البشير، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).
- ١٠- البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن محمد الشيرازي، تحقيق: السيد، مجدي فتحي، أبو شادي، ياسر سليمان، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (القاهرة: المكتبة التوقيفية، بدون تاريخ الطبعة).
- ١١- البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: حامد، عبد العلي عبد الحميد، الجامع لشعب



- الإيمان، ط ٢ ( الرياض: مكتبة الرشد، ٥١٤٢٥ - ٢٠٠٤ م ).
- ١٢- الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، ط ١ ( الرياض: دار السلام، ٥١٤٢٠ - ١٩٩٩ م ).
- ١٣- التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، ط ١، ( لبنان: دار الكتب العلمية، ٥١٤١٨ - ١٩٩٨ م ).
- ١٤- جبل، محمد حسن حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، ط ٢ ( القاهرة: مكتبة الآداب، ٥١٤٣٣ - ٢٠١٢ م ).
- ١٥- الجرجاني، الشريف علي محمد، كتاب التعريفات، ط ١، ( بيروت: دار الكتب العلمية، ٥١٤٠٣ - ١٩٨٣ م ).
- ١٦- ابن الجوزي، أبي فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير، ط ٣ ( دمشق: المكتب الإسلامي، ٥١٤٠٤ - ١٩٨٤ م ).
- ١٧- الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، إعداد: عطا، مصطفى عبد القادر، المستدرک علی الصحیحین، ط ١ ( بيروت: دار الكتب العلمية، ٥١٤١٥ - ١٩٩٥ م ).
- ١٨- حقي، مصطفى شيخ إبراهيم، المنتقى من الفوائد الإيمانية، ط ١، ( الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع، ٥١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م ).
- ١٩- الحلبي، أحمد عبد العزيز محمد، المسؤولية الخلقية والجزاء عليها، ط ١، ( الرياض: مكتبة الرشد، ٥١٤١٧ - ١٩٩٦ م ).
- ٢٠- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: عباس، إحسان، ط ١، ( بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ م ).
- ٢١- حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، ط ١، ( القاهرة: دار السلام، ٥١٤٠٣ - ١٩٨٣ م ).
- ٢٢- أبو حيان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، ط ١، ( بيروت: دار الكتب العلمية، ٥١٤٢٢ - ٢٠٠١ م ).

- ٢٣- الخازن، علاء الدين محمد بن إبراهيم البغدادي، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ط ١ ( بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ).
- ٢٤- خالد، عمرو، **خواطر قرآنية نظرات في أهداف سور القرآن**، ط ١ ( مكة: أريج للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ).
- ٢٥- ابن خلكان، أبو عباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، **تحقيق: عباس، إحسان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ( بيروت: دار الثقافة، دون تاريخ طبع ).
- ٢٦- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، **سنن أبي داود**، ط ١ ( بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ).
- ٢٧- الداوودي، شمس الدين محمد بن علي بن أحمد، **طبقات المفسرين**، ط ١ ( بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ).
- ٢٨- دراز، محمد عبد الله، **دستور الأخلاق في القرآن**، ط ١٠ ( بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ).
- ٢٩- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، ط ٤، ( بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ).
- ٣٠- الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، ط ٧ ( القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ).
- ٣١- الرازي، فخر الدين، **تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، ط ٣، ( بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ).
- ٣٢- رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، ط ١ ( بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ).
- ٣٣- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **تحقيق: إبراهيم، محمد أبو الفضل، البرهان في علوم القرآن**، ط ٢ ( بيروت: دار المعرفة للطباعة و النشر، بدون تاريخ الطبع ).
- ٣٤- الزحيلي، وهبة، **القرآن الكريم بنيته التشريعية وخصائصه الحضارية**، ط ١ ( دمشق: دار الفكر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ).

- ٣٥- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التثريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط ١، ( بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ).
- ٣٦- أبو زهرة، محمد، زهرة التفاسير، ( القاهرة: دار الفكر العربي، بدون تاريخ الطبع ).
- ٣٧- السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ( بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ الطبع ).
- ٣٨- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط ١ ( الرياض: دار المغني للنشر و التوزيع، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ).
- ٣٩- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ( بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ الطبعة ).
- ٤٠- السمالوطي، نبيل، علم اجتماع التنمية دراسة في اجتماعيات العالم الثالث، ط ٢ ( بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م ).
- ٤١- السيوطي، عبدالرحمن جلال الدين، تحقيق: عمر، علي محمد، طبقات المفسرين، ط ١ ( مصر: مكتبة وهبة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ).
- ٤٢- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط ١، ( بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ).
- ٤٣- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، ( القاهرة: أخبار اليوم قطاع الثقافة ).
- ٤٤- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ( القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ).
- ٤٥- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ط ٢، ( مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م ).
- ٤٦- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، تحقيق: عباس، إحسان، طبقات الفقهاء، ط ١ ( بيروت: دار الرائد العربي، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ).

- ٤٧- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥-١٩٨٤م).
- ٤٨- طهماز، عبد الحميد محمود، أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف، ط ١ (دمشق: دار القلم، ١٤١٢-١٩٩٢م).
- ٤٩- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٤٠٥-١٩٨٤م).
- ٥٠- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ الطبع).
- ٥١- عبد الكريم نوفان، الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة الإسلامية، ط ١ (الأردن: دار النفائس، ١٤٢٠-٢٠٠٠م).
- ٥٢- عبده، جمال محمد أحمد، دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية، ط ١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١-١٩٨٤م).
- ٥٣- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن أحمد بن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط ٢ (صيدرآباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢-١٩٧٢م).
- ٥٤- ابن عطية، أبي محمد عبد الحق الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط ١ (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣-٢٠٠٢م).
- ٥٥- علوان، فارس، وفي الصلاة صحة ووقاية، ط ١ (جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٧-١٩٨٧م).
- ٥٦- ابن عماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ الطبع).
- ٥٧- العويد، عصام بن صالح، المراحل الثمان لطالب فهم القرآن، ط ١ (الرياض: مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، ١٤٣٠-٢٠٠٩م).
- ٥٨- الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، ط ٥، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠١-١٩٨١م).

- ٥٩- الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، ( بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م ).
- ٦٠- الغزالي، محمد، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، ط ٢ ( دمشق: دار القلم، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ).
- ٦١- الغزالي، محمد، جدد حياتك، ط ٢٠ ( جدة: دار البشير، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ).
- ٦٢- ابن فارس، أبي الحسن زكريا، تحقيق: هاون، عبد السلام محمد، معجم مقاييس اللغة، ( إيران: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ الطبع ).
- ٦٣- الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق: النجار، محمد علي، بصائر ذوي التمييز، ( بيروت: المكتبة العلمية، بدون تاريخ الطبع ).
- ٦٤- القاسمي، محمد جمال الدين، تحقيق: عبد الباقي، محمد فؤاد، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، ( بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م ).
- ٦٥- قرامي، زهير رابح، الإستشفاء بالصلاة دراسة حول الفوائد الصحية للصلاة على ضوء العلم الحديث، ط ١ ( مكة المكرمة: هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م ).
- ٦٦- القرضاوي، يوسف، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، ط ٢ ( القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ).
- ٦٧- القرضاوي، يوسف، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، ط ٢، ( بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ).
- ٦٨- القرطبي، محمد أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ( الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ الطبع ).
- ٦٩- القشيري، مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ط ١ ( الرياض: دار المغني للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ).
- ٧٠- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ٣، ( القاهرة: دار الشروق، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م ).
- ٧١- قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط ٨، ( القاهرة: دار الشروق،

١٤٠٣-١٩٨٣ م).

٧٢- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، تهذيب: العزي، عبد المنعم صالح، تهذيب مدارج السالكين، (الإمارات: وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، بدون تاريخ الطبع).

٧٣- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٢-١٩٧٢ م).

٧٤- ابن القيم، شمس الدين محمد أبي بكر الزرعي، الفوائد، ط ٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣-١٩٧٣ م).

٧٥- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الفروسية، ط ١ (حائل: دار الأندلس، ١٤١٤-١٩٩٣ م).

٧٦- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق: يوسف علي بديوي، وأيمن عبد الرزاق الشوا، أسماء الله الحسنى، (دمشق: دار الكلم الطيب، ١٤١٩-١٩٩٨ م).

٧٧- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، بدائع الفوائد، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٦-٢٠٠٥ م).

٧٨- ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله أبو بكر الزرعي، تحقيق: محمد علي القطب، وليد الذكرى، الروح، (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٠-٢٠٠٩ م).

٧٩- القنوجي، صديق حسن، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ط ١ (الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤١٦-١٩٩٥ م).

٨٠- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ط ١، (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٠-٢٠٠٠ م).

٨١- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ط ١، (طبعة الرسالة، ١٤١٤-١٩٩٣ م)

٨٢- الكفوي، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: المصري، محمد، ودرويش،

- عدنان، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ط ٢ ( بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ).
- ٨٣- الكيلاني، إبراهيم زيد، خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة، ط ١ ( عمان: المكتبة الوطنية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ).
- ٨٤- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شيخا، خليل مأمون، سنن ابن ماجه، ط ١ ( بيروت: دار المعرفة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ).
- ٨٥- مراد، يوسف، مبادئ علم النفس العام، ط ٤، ( القاهرة: دار المعارف: ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م ).
- ٨٦- مردم بك، خليل، قدم له عدنان مردم بك، أعيان القرن الثالث عشر، ط ٢ ( بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧م ).
- ٨٧- المحاسبي، الحارث بن أسد، تحقيق: العجمي، أبو اليزيد، التوهم، ط ١ ( الزقازيق: دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ).
- ٨٨- محمد، محمد محمود، علم النفس المعاصر في ضوء القرآن، ط ١، ( جدة: دار الشروق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ).
- ٨٩- المصري، رفيق يونس، الإعجاز الاقتصادي للقرآن الكريم، ط ١ ( جدة: دار البشير، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ).
- ٩٠- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ( بيروت: دار صادر، بدون تاريخ الطبع ).
- ٩١- الميداني، عبد الرحمن حنبكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط ٢، ( دمشق: دار القلم، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ).
- ٩٢- كيف تنمي ملكتك الفقهية، النورين، أحمد محمد، ط ١ ( الرياض: مجلة البيان مركز البحوث والدراسات، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ).
- ٩٣- الهاشمي، عبد الحميد محمد، أصول علم النفس العام، ط ٢ ( جدة: دار الشروق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ).

- ٩٤- الهيثمي، نور الدين بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط٣ ( بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ).
- ٩٥- يالجن، مقداد، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، ط١ ( بيروت: دار الشروق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ).
- ٩٦- يالجن، مقداد، التربية الأخلاقية الإسلامية، ط١ ( الرياض: دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ).
- ٩٧- يوسف، محمد السيد، منهج القرآن في إصلاح المجتمع، ط١ ( القاهرة: دار السلام، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ).